



كتاب اليوم

يصدر
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعدة

رئيس التحرير :

نبيل أباطة

□ يونيو ١٩٩٦ □

أسعار كتاب اليوم في الخارج

الجمهورية العظمى ١ دينار	المغرب ١٧ درهم
لبنان ٢٥٠٠ ليرة	الأردن ١٥٠٠ فلس
العراق ٧٠٠٠ فلس	الكويت ١ دينار
السعودية ١٠ ريات	السوربان ٢٢٠٠ قرش
تونس ٢ دينار	الجزائر ١٧٥٠ سنتيم
سوريا ٧٥ ل.س	الحبشة ٦٠٠ سنت
البحرين ١ دينار	سلطنة عمان ١ ريال
غزة ١٥٠ سنت	ج. اليمنية ١٥٠ ريال
البحرين ١ دينار	الصومال ٨٠ بتي
السندقال ٦٠ فرنك	الإمارات ١٠ درهم
قطر ١٠ ريال	انجلترا ١,٧٥ جك
فرنسا ١٠ فرنك	المانيا ١٠ مارك
إيطاليا ٢٠٠٠ ليرة	هولندا ٥ فلورين
باكستان ٣٥ ليرة	سويسرا ٤ فرنك
اليونان ١٠٠ دراخمة	النمسا ٤٠ شلن
الدنمارك ١٥ كرون	السويد ١٥ كرون
الهند ٣٥٠ روبية	كندا أمريكا ٢٠٠ سنت
البرازيل ٤٠٠ كروزيو	نيويورك واشنطن ٣٥٠ سنت
لوس أنجلوس ٤٠٠ سنت	استراليا ٤٠٠ سنت

● الاشتراكات

جمهورية مصر العربية
قيمة الاشتراك السنوي ٤٨ جنيهاً مصرياً

● البريد الجوي

دول اتحاد البريد العربي ٢٥ دولاراً
اتحاد البريد الأفريقي ٣٠ دولاراً
أوروبا وأمريكا ٣٥ دولاراً
أمريكا الجنوبية واليابان وأستراليا
٤٥ دولاراً أمريكياً أو ما يعادله
● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور
● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت: ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

● فاكس: ٥٧٨٢٥٤٠

● تليكس دولي: ٣٠٣٢١٠

● تليكس محلي: ٢٨٢

الفصل الثاني

والإخراج الفني

محمدي حمادي

شعب وحرب

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

إهداء..

إلى أرواح الشهداء الذين سطوروا بدمائهم أروع آيات
البطولة.. وسجلوا بتضحياتهم أرفع سمات الشجاعة..
إلى أرواح الزملاء الذين قدموا ملحمة رائعة من العطاء
والقداء..

إلى روح الشهيد النقيب: سيد عبد الغفار والشهيد: سيد
ياسين..

إلى روح الضابط جمال والضابط خالد..
إلى روح الشهيد / الرقيب: قاروق عبد الوهاب والرقيب:
على سليمان..

إلى أرواح الشهداء الجندي تغيان وزميله الجندي فرغلي
والجندي حسن وإسماعيل وإبراهيم.. إلى غيرهم وغيرهم من

الأرواح الطاهرة التي صعدت إلى بارئها في هدوء دون صخب إعلامي أو ضجيج دعائي.. اختارت التضحية بأنفسها من أجل مصر.. وفضلت الاستشهاد بكرامة على الأسر المهين.

إلى أبطال الكتيبة ٣٤٢ مشاة ورجال اللواء ١١٤ الذين خاضوا معارك يونيو ٦٧ غير المتكافئة..

إلى هؤلاء الصناديد الذين واجهوا مدرعات اليهود بصدورهم وقلوبهم بعد أن عجزت نيرانهم عن مواجهتها.. وانتزعوا رغم ضعفهم وقلة امكاناتهم من عدوهم أسمى آيات الاكبار وأرفع أواسمة الإعجاب..

إلى هؤلاء المغاوير الذين طمست الهزيمة معالم بطولتهم وشوهدت ملامح جسارتهم.. فظلت راسخة في الأعماق.. وماثلة في الذاكرة.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا.. بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله.. ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم.. ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾. صدق الله العظيم

شوقي حامد

حب .. وحرب

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

مقدمة

ظلت أهوال الأسر تراودنا ونحن نخطو أولى خطواتنا في الكلية الحربية عام ١٩٦٢ وحتى واجهناها في معارك يونيو الخالدة عام ١٩٦٧..

حكى لنا عنها النقيب محمد عبد الرازق زهرة مدرسة فن القتال حينذاك..

وقص علينا كيف واجه الأسرى المصريون في معارك ١٩٥٦ صنوفا مبتكرة من العذابات مثل نزع أطافر اليد وكى المناطق الحساسة بالحديد والصعق بالتيار الكهربائي ولم يضمن علينا النقيب زهرة في سرد كل ما واجهه الأسرى على أيدي من ليس لهم ذمة أو ضمير لا يرعون الله ولا يلتزمون بأى موثيق أو اعراف دولية تحدد أسلوب معاملة الأسير مثل الاعتداء على العفاف وبتر الاعضاء التناسلية وغير ذلك مما لا يقره ولا يرضاه

حتى الإنسان البدائي الأول الذى كان يعيش فى الغابات ويتعامل بلغة الحيوانات!

وعندما فرض علينا الحصار فى يونيو ٦٧ ونحن على مشارف خط المواجهة الأول مع إسرائيل فى أبو عجيلة والحسنة والعريش.. واجهنا شعب الأسر بأعيننا.. وفاضلنا بين أن تستسلم له أو نقتل منه.. لم يكن أخطر ما يمكن مواجهته تلك المذابح الجماعية التى مارستها القوات الإسرائيلية الفاشمة فى مواقع أمامية كثيرة لتروى ظمأ رجالها للدماء.. وتشبع رغبتهم فى القتل.. وتسبب غورهم فى إزهاق الأرواح وإنما كان الخطر الداهم هو الوقوع فى الأسر.. هذا الأسر الذى يبدأ بانتهاء كل مقومات رجولة الأسير.. وينتهى اما بقتله بتيار رشاشات اليهود أو تحطيم وتدمير عناصر الحياة فى تكوينه الإنسانى وهو أسوأ من القتل.

ألقنا ونحن تحاور اليهود خلال حصارنا فى شبه جزيرة سيناء مشاهد القتل وبحيرات الدماء.. داكنة الحمرة غليظة القوام.. اعتدنا على رؤية الجثث وهى مسجاة والاشلاء وهى متناثرة تتخاطفها الطيور الجارحة لتعلن عن آثار جريمة وتقص عن بشاعة أسلوب مارسه اليهود البغاة تجاه أسراهم من المصريين العزل..

وعندما فكروا فى ستر فضائهم ومدارة جرائمهم أمروا الأسرى بحفر قبورهم قبل أن يمطروهم بوابل أسلحتهم ثم يسحقوهم بجنازير دباباتهم حتى لا يكلفوا أنفسهم مشقة مواراتهم التراب.

واستباح اليهود مع رجالنا الصناديد كل شيء.. ولم يتوقفوا عند حد أو يلتزموا بميثاق.. كانوا أشد من النازي الذي اذاقهم من قبل صنوف العذاب وأهدر آدميتهم وأحرقهم في الأفران الجماعية.. كانوا أبشع وأقسى من الحيوانات المفترسة التي تتلذذ برؤية الدماء الطاهرة تسيل.. وبمشاهدة الأجساد البريئة وهي تخرصرعى.. كانوا لا يرعون الله.. ولا يتحلون بذمم أو ضمائر.. وليس لديهم مشاعر إنسانية وأدمية.. تعاملوا مع مقاتلينا بقانون الغابة.. وكانوا هم هوامها وضوايرها!!

الحزن الدافئ

وقف شوقى مشدوها على بعد أمتار من منزله العتيق الكائن بالحي الشعبى المجاور لجامعة القاهرة.. تسمرت قدماه فلم يقو على نقلهما خطوة أخرى وزاغت عيناه فتوقفتا على مشهد مأساوى بدا أمامه من خلال السرداق الضخم المقام قبالة باب منزله تماما.. جال ببصره بين صفوف المعزين الذين إمتلأ بهم السرداق ، جميعهم من جيرانه ومعارفه وأقربائه.. استرعى انتباهه أن جانبا كبيرا منهم زملاءه بالدراسة وأقرانه من جيله الذين أمضوا معه أجمل فترات العمر.. وأحلى أيام الطفولة السعيدة.. وسنوات الصبا المنطلقة.

الجميع واجم.. الكل تنضح قسماات وجسوههم بالأسى العميق والحزن الدفين .. أحمد عبد الرحمن ومحمود وفتحى الشبكشى ومحمد حنفى ومحيى حماد.. إنهم بعض رفاقه الذين قطعوا معا مشوار المدرسة اليومى وهم يتصاحكون دون تحفظ.. ويتحدثون بانطلاق.. وعندما انتقلوا من مدرسة الأورمان الاعدادية إلى السعيدية الثانوية لم يتغير من أمرهم شىء.. إختفت فقط حقيبة المدرسة التقليدية وتحولت إلى حافظة جلدية حوت بعض الكتب والكشاكيل تشبها بطلبة الجامعة.. غير أن ملامحهم الصبغانية وملابسهم الطفولية كانت تكشف مراهقتهم وتقضح عدم إنضامهم بعد إلى المرحلة الجامعية.

■ الحُصْن الدافئ ■

راح شوقي يفكر في كيفية عبور السرادق في طريقه إلى باب منزله دون أن يشارك في واجب العزاء.. إنه تواق للقاء أمه وأشقائه بعد فترة غياب زادت عن الشهر.. إنه في شوق جارف لحضن أمه الدافئ ومشاعرها الحانية التي طالما أمدته بالقوة والقدرة على مواجهة الصعاب.. أين هو من أشقائه الذين أحاطوه بالحنان وغمروه بالحب.. كان لهم دائما الأب والأخ والصديق بعد أن فقدوا والدهم ولم يتعد الخمسين.. كان هو رب العائلة رغم سنوات عمره القصيرة التي لم تتعد العشرين.. كانت أسرته الصغيرة تظلها الألفة ويحفظها الهدوء ويسودها الود والترابط.. هاأنذا قادم إليكم بعد طول فراق.. ها أنذا أتوحد معكم لايفصلني عنكم سوى خطوات قليلة أود الإسراع بها لالتقي بكم.. هكذا حدثته نفسه وهو يحاورها - ولكن كيف يتسنى له أن يعبر هذه المسافة ويدلف إلى منزله دون أن يظهر أمام المعزين.. وحتى لوظهر كيف يمكن له أن يصافح أهل المتوفى فقط ويعدهم بالعودة بعد تغيير ملابسه والسلام على أمه.. ونظر إلى هندامه وكأنه يختبر مظهره قبل أن يخرج من الردهة المظلمة في طريقه إلى واجهة السرادق.. تحسس الجروح التي ملأت ساقيه.. والأريطة والضمادات التي لفت أقدامه.. واستعرض ثيابه غير المهندمة التي تسلمها من معسكر الشاردين ببورسعيد وأعدوها لهم على عجل.. لا.. لا.. لايمكن أن يؤدي واجب العزاء في أحد جيرانه بهذه الهيئة التي لاتليق.. لابد من تغيير ثيابه وتعديل مظهره حتى لايبثر على الأقل تساؤلاتهم الفزعة.

فجأة أفاق شوقي من شروده وكأن عقربا لدغه - لمح شقيقه الوحيد يتصدر المتلقين للعزاء.. يصافحه شباب الحي بحرارة وقد عجز حتى عن مد يده إليهم لمصافحتهم.. بعضهم ربت على كتفه قبل انصرافه من السرادق وهم يودعون.. البعض الآخر احتضنه بعنف.. وقبله بصدق.. إن دموعه تنساب بغزارة من مقلتيه.. لايمكن أن تكون دموع شقيقه تأثرا بوفاة أحد الجيران.. لايمكن لهذه العبرات المنهمرة إلا أن تكون لفقد عزيز من أهله.. رياه.. أبعد هذا العذاب الذي كابده وهذه المرارة

■ الحزن الدافئ ■

التي عايشها طوال الشهر المنقضى وهذه الأهوال التي مرت به والتي لم يكن يتصور أن تنتهى بسلام يجد أمامه لحظة وصوله هذا المشهد الدرامي.. لقد نضب معين دموعه وجفت مآقيه وتجمدت مشاعره.. كان يمنى نفسه بالراحة بعد عذاب.. والسكينة بعد انزعاج.. كان يرنو إلى شحنات معنوية من أفراد أسرته تعود عليها وغمره هم بها.. لقد وصل في وقت غير مناسب.. كان يجب أن يصل مبكرا حتى يلحق بالعضو المفقود من أسرته.. ربما استطاع مساعدته. ربما نجح في إنقاذه على الأقل ربما استطاع توديعه وتقبيله قبل أن يفارق الحياة.. لكن هكذا أراد الله ولا راد لقضائه ولا بد لنا من الانصياع لمشيئته.. وراح القارئ يردد آيات معبرة عن قدرة الله على بعض عباد.. واختياراته التي لا يمكن لعقولنا أن تدركها ولا نملك أمامها إلا الرضا والقناعة بما قسمه منها.

(الله يتوفى الأنفس حين موتها.. والتي لم تمت في منامها.. فيمسك التي قضى عليها الموت.. ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى.. أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

وقع نظره من جديد على وجه شقيقه.. انه ينبئ عن أن المصاب جلل. الخسارة فادحة.. الصلة التي تربطه بالمتوفى صلة وثيقة.. ترى من يكون.. لابد أن يكون واحدا من أعضاء أسرته الصغيرة.. هم خمسة ليس لهم سادس.. أربعة أشقاء وأمهم.. أه.. لقد ماتت أمي.. ماتت من كان يود لقيائها ولو للحظة.. كم كان يود أن يرتقى في حضنها وينهل من نبع حنانها.. كم كان يشاق لذراعيها وهى تضمه إلى صدرها وكفيها وهو يغمرها بقبلاته ويلثمها بقلبه قبل شفتيه.. أه خرجت من صدره بزفرات ساخنة ، مادت الأرض تحت قدميه واطلمت الدنيا في عينيه واختفى بريق الثريات التي ملأت السرادق وتحول إلى شعاعات باهتة تلوح من بعيد خلف دموعه التي بللت ملابسه.. لم يستطع أن يكتم أهاته أو يحبس أناته أو يتحكم في زفراته .. أه قالها من جديد.. كان يود أن يسند رأسه على صدرها ويقرب أكثر من نبض قلبها..

■ الحصن الدافئ ■

فقد كان دائماً ملجأه وملأه.. كان يتمنى لو حكى لها ما رآه وقص عليها ما مر به طوال هذا الشهر اللعين.. انها وحدها في هذه الدنيا التي كانت ستصدقه.. لن يجروا على سرد تلك الأهوال أو أن يجتر تلك الفضائح إلا لها ومعها.. لكن الآن وبعد أن فقدوها لا يمكن له إلا أن يصمت.. لن يحكى كيف أنقذته بركة دعواتها والعناية الإلهية من المدرعات اليهودية.. مرت على خنادقهم وداست على أجسادهم وسحقتهم تحت جنازيرها.. وأبدا لم يجبن هؤلاء الجنود.. ولم يخف هؤلاء الرجال.. لم يفقدوا اللحظة شجاعته ولا إيمانهم بربهم.. واجهوا نيران اليهود بصدورهم.. أوقفوا تقدم دباباتهم بعنادهم.. نالوا منهم وأصابوهم بالذعر وانتزعوا إكبارهم وإعجابهم.. كيف لهذه الامكانات النيرانية الضعيفة أن تتصدى للقولاذ.. وتوقف تقدم الدبابات. وتحطم الصلب.. لابد أن هؤلاء المصريين يتمتعون بشجاعة نادرة وبسالة غير طبيعية.. لا انهم يتمتعون برعاية السماء ومساندة الرب.. نعم هم أضعف من الاستمرار في القتال لكنهم لم يتخاذلوا أو يتهاونوا.. نعم يسقطون بالعشرات وتسيل دماؤهم تروى حبات الرمال.. لكن أقدامهم راسخة في الأرض.. وأعناقهم تطاول السحاب.. أه.. أه.. أه.. انه لا يمل هذه التأوهات ولن تنقطع هذه العبرات مادام على وقفته في هذه الردهة المظلمة تخيل ابتسامة أمه الحانية وهى تودعه قبل رحيله إلى سيناء وقد ارتسمت على واجهة السرادق.

لم يدر شوقى كم مر عليه من الوقت وهو يختفى في الردهة المظلمة أمام السرادق الضخم.. تاه مع نكرياته.. تدافعت الصور إلى ذهنه ومرت المرأى في خياله سريعة خاطفة.. تصاعدت نغمة الحرب وسيطرت على مشاعر رجل الشارع المصرى.. استولت الأناشيد الحماسية والأغاني الوطنية على البث الإذاعى والتليفزيونى لتحفيز الهمم وتأجيج الأحاسيس القومية.. بات كل أفراد الشعب بمختلف فئاته ونوعياته يترقب لحظة الخلاص وينتظر ساعة الصفر التى ستخلصه من الشوكة التى نزعها الاستعمار في قلب المنطقة.. لحظة الانتقام من عدو بغض

■ الحظن الدافئ ■

أهان العرب واحتل قطعة عزيزة من أظهر بقاعه وطرد أهلها وأذل شعبها.

ظالما حلم شوقي بتلك اللحظة.. بالمشاركة بخبرته.. بقلبه ونبضه وروحه.. كان يتلقى دروسه العسكرية بالكلية الحربية يستعد لها.. كان يحارب على جبال اليمن ويساعد ثورته الوليدة وفكره وقلبه مشغولان بأرض فلسطين.. أرض الميعاد.. كان يثق في قضيته ويتمسك بعقيدته ويؤمن بهدفه.. كان متاكدا من قدرته ورجاله على قتال اليهود واجلائهم عن بقعة الأرض العربية الطاهرة التي احتلوها، كان واثقا أنهم قادرون على دك حصونهم وحصد أرواحهم وطردهم شر طردة.

تذكر شوقي تفاصيل تلك اللحظات بوقائعها وأحداثها.. انها محفورة بذهنه، مسطورة بذاكرته. كان يتعايش مع ساعاته وأيامه ترقبا لتلك اللحظة.. يعد لها العدة.. ويؤهل نفسه بدنيا ومهاريا لها.

تذكر شوقي عندما زاره رجال سريته بمستشفى الحلمية العسكري في أواخر مايو ١٩٦٧ كيف أبلغوه انه ربما كانت آخر زيارتهم له.. أنبأوه بصدور الأوامر الإنذارية للكتيبة.. وطلب منهم قائدها بالاستعداد للتحرك إلى الخطوط الأمامية بسيئات لكتهم استسمحوه في زيارة خاطفة لقائدهم طريح الفراش بالمستشفى.. وهامم الآن يودعونه قبل السفر مباشرة.

أه قالها للمرة العاشرة وهو يتذكر كيف حرمته إصابة ركبته اللعينة من المشاركة في لحظة العمر التي انتظرها كما حرمته من قبل في قيادة رجاله على ربوع اليمن.. في المرة الأولى أصر قائد كتيبته على عدم نزوله إرسالية مرضية من اليمن ليجري عملية جراحية بركبته واحتفظ به وسط رجاله حتى فرغت الكتيبة من مهمتها ونزلت إلى مصر.. أما هذه المرة فيجب عليه أن يبادر بانقاذ نفسه من هذه الورطة.

لا يمكن أن تمنعه تلك الإصابة القديمة من المشاركة في لحظة الخلاص.. لا بد له أن يشارك في الزفة السعيدة لفلسطين وعودتها

■ الحضن الدافئ ■

لحضن العرب.. لابد له أن يسهم في إزاحة المحتل البغيض الجاسم على هذه الأرض الطاهرة مهما كانت التضحيات.

اتخذ قراره بسرعة.. لم يتردد لحظة.. ولم يتراجع عما انتواه.. لابد أن يتمرد على إصابته اللعينة.. لابد أن يقهر ألامها ويتناسى أوجاعها.. لابد أن يهرب من مبضع الجراح الذي ينتظره حتى لو كان الثمن عدم شفاء ركبته وإصابته بعاهة في أهم مفاصل جسده.

بمجرد طلوع شمس اليوم التالى جلس على كرسيه المتحرك وقاده بتصميم نحو غرفة الأطباء.. الحمد لله.. التقى بالجراح حسن رضا.. ورغم قسوته وغلظته التى تعودها من العمليات الجراحية الكثيرة التى يجريها إلا أنه لقيه بوجه باش.. ما لك.. لماذا اتيت إلى هنا.. اننى فى طريقى إليك..؟ أجاب شوقى الأمر لا يحتمل الانتظار.. ملامحه تنبئ عما انتواه من قرار نهائى لاحث فيه.. أود الخروج من المستشفى فوراً كى ألحق برجال الكتيبة إلى سيناء — ألحق برجال سريتى وأقودهم فى معركة الشرف وأقاتل معهم لرد الاعتبار والثار من اليهود العتاة.. لعلك لاتدرى الأواصر الوطنية التى تربطنى بهم.. لعلك لاتفهم الوشائج القوية التى تجمعنى وإياهم.. كيف أتركهم لقائد غبرى.. لايدرك امكاناتهم.. ولايتفهم قدراتهم.. ولايحدث التمازج والتجانس المطلوب بينهم لتكوين مجموعة عمل منسقة ومنسجمة لتنفيذ المهام الجسام الملقاة على عاتقهم..؟ إنهم ينتظروننى بلهفة ويترقبون وصولى بشغف.

ماذا دهاك.. وما الذى تهزى به وتردده ولا أفهمه أنا أفهم فقط أنك لابد أن تستسلم لمبضعى غدا أعمله فى ركبته كيف أشاء.. أستأصل الأورام الزائدة.. وأصل الأوتار المقطوعة.. وأزيل الغضاريف المتآكلة.. فلتصمت وتسمعنى.. لابد لك من الانصياع فليس أمامك بديلاً سواه.. وليس لركبته لو أردت لها السلامة سوى الجراحة.. هكذا وقعت كلمات د/ حسن رضا عليه كالصاعقة.. لكنها لم تتل من تماسكه ولم تعدل من قراره وقال بنبرات أشد عنفا وصرامة فلتسمعنى حضرتك سأخرج فى التو.. لتذهب ركبتى وجراحاتها للجحيم الذى لن أقبل أن أرمى فيه

■ الخضن الدافئ ■

رجالى لو قاتلوا العدو من غيرى.. ركبتي تحتل التأجيل.. ومفصلى
أستطيع أن استعيز عنه بمفصل صناعى أو حتى عكاز خشبى ، لكن
المعركة لن تنتظرنى.. ورجالى يحسبون الدقائق ويعدون الأميال التى
تفصلنى عنهم.. أذن لك ماشئت رغم اننى أعتبره ضربا من الجنون.. لك
ماتريد شريطة أن تكتب إقرارا بتحملك لكافة المسئوليات والتبعات
لقرارك الخاطيء.. هكذا انطلقت كلمات د/ حسن بلسما يمنحه الحرية.

ماهى إلا دقائق حتى كان قلب شوقى يعدو داخل السيارة التى أقلته
فى طريقه إلى منزله.. وطلب من والدته التى لم تكد تضمه إلى صدرها أن
تعد له حقيبته وتجهز له حاجياته ليستطيع أن يلحق بأخر معدية ليعبر
بها القناة قبل حلول المساء.

ليته فطن أنها كانت لحظة الوداع.. ليته شعر ألا لقاء.. آه يا أماء..
وكم كان مرارة تلك الآه وهى تصدر من أعماقه.. كم كان يود حتى
ولو شارك فى جنازتها.. وانسابت الدموع فى صمت.. واجتهد الخيال فى
قطع مشوار الذكريات.

البنى والحلال

مرت الساعة الست التى استغرقتها الرحلة من القاهرة إلى المنطقة التى اختلتها الكتيبة بسيناء طويلة وكأنها ست سنوات .. لم يغفل شوقى عينيه عن عداد السرعة وكأنه يرى فيه الخلاص من حالة القلق والتوتر التى انتابته..

إنه غريب وهو بعيد عن رجاله شعر بالوحشة وهم بعيدون عنه .. أنه لن يغفر لنفسه مجرد التفكير فى الركون إلى نصيحة الطبيب والاستسلام لمبضع الجراح .. كيف سمح لهذا خاطر أن يجول بباله .. كيف لم يذهب مع رجاله الذين زاروه دون أن يمر حتى على الطبيب . ماذا كان يضيره لو تحمل هذه المسئولية. أنها ساقه وهو أدرى بمصلحتها .. أنها صحته وهو الوحيد الذى يتحمل تبعاتها ..

مصر لم تكن بحاجة إلى كل رجالها كما هى فى احتياج إليهم الآن والكتيبة لم تكن مستعدة ومستكملة فى أى فترة من فتراتنا كما هى مكتملة الآن .. بمجرد نزولها من اليمن أجتهد رجالها لاستكمال معداتها وتكملة الناقص منها وإصلاح التالف وضبط الأسلحة وصرف النخائر والمهمات.

أخيرا ظهرت الخيام بمنطقة تمرکز الكتيبة - نعم .. أنها خيامهم ..

■ لبنى والحلال ■

هى هى بعينها الخيام التى كانت منصوبة بمنطقة هايكسب بعد العودة من اليمن لاعادة التشكيل واستكمال الاستعداد أنه يعرفها من بين آلاف الخيام.. لقد حفظها كما يعرف الأب ابناءه أسهم من قبل فى رتق الممزق منها وشارك فى دق أوتادها .. وشد حبالها وحفظ ألوانها .. هذه الخيمة (الميس) صالة الطعام المتحركة دائما مع الكتيبة وصاحبة النصيب الأوفر من الاهتمام .. أول الخيام المنصوبة كلما ذهبت الكتيبة إلى منطقة وحطت رحالها سارع رجالها فى نصب هذه الخيمة كأول المهام التى يحرصون على انجازها .. لابد أن يتوافر خلفها مكان يصلح للمطبخ .. غالبا ما يتم بناؤه من الخشب والصاج المعرج .. وبه فتحات تصل بينه وبين الخيمة الميس ليسهل تداول ونقل الصحاف.

خيمة الميس لها مكانة خاصة عند الجميع .. فهى مكان لقائهم اليومى.. بعد الظهيرة .. يتجمع كل الضباط لتناول وجبة الغذاء .. كم هو مشتاق لهذا اللقاء .. لقد قاته نحو اسبوعين انقطع خلالهما لعلاج ركبتة وتحضيرها للجراحة .. ها هو يعود من جديد لهذا اللقاء الأسرى الهام..

يتصدر العقيد أركان حرب / عاطف عبدالغفار الجلسة .. إنه نعم الأب وخير الأخ الكبير لآخوانه الصغار لايعرف التمييز طريقا إلى قلبه فى معاملة أخوانه .. كل ضابط يشعر أنه المحظى لديه وهو المفضل عنده .. ومع ذلك فهم جميعا يحترمونه ويخشونه.

عندما يغضب يثور لكن فى التزام .. ويصيح ولكن فى تأدب .. لا يخذل حياء من يعملون معه .. الجنود لهم مكانة لا تفتة فى نفسه .. يعرفهم بأسمائهم ويفهم احتياجاتهم .. يوصى قادتهم الاصاغر عليهم.. ويوجههم لطاعتهم وسماع وتنفيذ أوامره.

يجلس الرائد رمسيس رئيس عمليات الكتيبة يمين العقيد / عاطف .. انه الرجل الهادئ .. مخفف الصدمة .. وقناة التوصيل الجيدة بين القائد والضباط .. ينقل تعليماته إليهم وييسرها عليهم .. ويبلغه طلباتهم

■ لينى والحلال ■

واحتياجاتهم .. كم تحمل عنهم بعض المسئولية .. وكم شارك معهم فى أداء مهامهم .. وكان النقيب سيد عبدالغفار أقدم الضباط بالكتيبة يجلس دائما على يسار العقيد / عاطف - إنه يقربه إليه لمعرفة بطيئة قلبه وحسن سيرته .. إنه بورسعيدى المولد ولم تؤثر سنوات عمره الطويلة التى أمضاها بالقاهرة بعد تخرجه من الكلية الحربية فى لهجته .. تستطيع أن تتبينها من أول لقاء .. أما النقيب سيد ياسين رئيس الشئون الإدارية وهو مايلقبونه بالرجل الصامت .. يتأمل كثيرا ويتحدث قليلا لكنه فى جميع الأحوال ينجز الأعمال والمهام التى يكلف بها بكفاءة وإتقان .. ينتزع إعجاب الضباط عند تعامله أمامهم مع القادة .. لايهتز ولايتوتر .. دائما يتحدث بثقة ويفهم قدراته ولايتخلى عن حقوقه ..

اصطدم مره بالعقيد / عاطف وواجه ثورته بعنف .. ولم يتراجع عن موقفه بل طلب تصعيده إلى العميد / سعيد قائد اللواء .. غير أن العقيد / عاطف تفهم أخيرا أن النقيب سيد لم يكن يتعمد الخطأ ولم يقصر فى واجبه .. فاستدعاه بشجاعة أدبية نادرة وطيب خاطره ولم يدع الموقف يزداد تازما والهوة تزداد اتساعا .. تصطف بقية الضباط يمينه ويساره تبعاً لأقدميتهم لايوجد اثنان فى نفس المركز .. هناك دائما الأقدم والأقل أقدمية حتى مع تساوى الرتب وتاريخ التخرج وكل شىء .. الأقدمية حينئذ تحسب بحروف الهجاء .. من يتغيب لأى ظروف حتى ولو كان فى أجازة ميدانية .. يتقدم الذى يليه فوراً ليحل محله .. النقيب صلاح حسين والنقيب صلاح بدوى.

ثم بعد ذلك يأتى الملازم أول / همام رياض وزميله ممدوح اسماعيل الذى يسبق شوقى مباشرة فى الأقدمية ويأتى بعده رستم وأمير السبكي ومحمد صبحى وعبدالعزيز مرعى ومصطفى حسن .. أنه يذكر جميع زملائه .. له مع كل منهم موقف .. ويشارك جميعهم تكريات جميلة أمضوها معا فى اليمن ثم بها يكتسب .. وهامو ذا يعود إلى احضانهم من جديد ..

■ لبنى والحسبال ■

قفز شوقى من العربة ناسيا أن بركبته آلاما شديدة لا تحتمل ..
شوقه إلى رجاله انساه هذه الآلام وسعادته بوصوله بينهم قبل ساعة
الصفير لاحدود لها .. سارع اليه الجندى فرغى انه يشم رائحته من على
بعد أميال.. كان ينتظره دائما عند نهاية مطلع الجبل باليمن ممسكا بيده
منشفة ليمسح بها عرقه وباليدين الأخرى يناوله كوب الليمون الذى أعده
بعناية ليعوضه عما افتقده من سوائل .. إنه الآن يسرع إليه دون
المنشفة وكوب الليمون حسبه لقاءه .. والتف حوله بعض الجنود هذا
يسلم عليه والآخر يساعده فى حمل حقيبته وبعد مراسم الاستقبال التى
لم تستغرق دقائق.. كان وجهها لوجه أمام العقيد / عاطف .. استقبله
العقيد / عاطف بفتور وبإدراكه بالسؤال .. ماذا أتى بك ؟ يالها من
صدمة غير متوقعة .. ماذا دهاه.. لقد كان دائما يقربه إليه ويغمره
بحنائه وعطفه .. نهره مرة واحدة لأنه شاهده يدخن وهو يصعد الجبل
باليمن وقال له فى حنان أبوى .. أتمنى أن أراك وقد أفلتت تماما عن
التدخين .. أتى أعلم بمصلحتك لأنك أحد أبنائى.. فكيف له الآن أن
يتخلى عن أبوته .. ربما استطاع أحد الضباط أن يوقع بينهما ويوغر
صدر العقيد عاطف عليه .. إنها خسارة فادحة .. إن حزنه لكبير على
حرمانه من هذه الأبوة التى عوضته عن فقد أبيه وهو فى ريعان شبابه..
أجاب شوقى على سؤال قائده .. جئت اشارككم فى الأمل وأشهد معكم
لحظة العمر .. لحظة الخلاص .. لم يتخل العقيد / عاطف عن فتوره
واستمر فى جفوته وقال أجب على سؤالى .. ماذا أتى بك ؟ معقول .. إنه
ليس العقيد / عاطف .. الأب .. الأخ الكبير الذى طالما هش فى لقاءه
واستحسن تصرفاته وأشاد بتميزه فى القتال .. معقول أهذا هو العقيد
عاطف الذى خصه فى إحدى المعارك باليمن بأخطر المهام وأشاد به أمام
جميع زملائه وقال عنه يومها .. اخترت شوقى للمهمة الصعبة لعلمى
بمقدرته على الاضطلاع بها.. وإمكاناته وشجاعته على مواجهة الأهوال

■ لبنى والحلال ■

التي اتوقعها فيها .. لا .. إنه ليس العقيد / عاطف .. إنه شخص غيره .. لم يعرف أن قائد الكتيبة قد تغير خلال فترة وجوده بالمستشفى .. لكنه هو بعينه .. قامته المديدة .. قوامه الرياضى المشوق .. شعره الرمادى المكون من خليط متمازج بين الأسود والأبيض .. كلماته السريعة الحاسمة .. إذن ماذا تغير إنه العقيد عاطف .. وهو شوقى الذى كان يحظى منه بمعاملة معينة حتى لو أخطأ .. لأنه دائماً كان يشجعه على الاجتهاد ويدفعه للابتكار فى اتخاذ القرارات المناسبة حتى لو اكتنفها بعض الخطأ ويقول له .. لا يوجد قرار فى العالم ليس به نسبة من الخطأ.. لكن كلما قلت تلك النسبة كنت ضابطاً ممتازاً وأحسنتم قيادة رجالك ووحدتك.

وللمرة الثالثة أسأل لماذا قطعت علاجك وجئت إلى هنا؟

وخرجت كلمات شوقى أكثر حدة وأنفعالا .. ركبتى تتحمل الانتظار لكن المعركة لن تنتظر ، رجال سريتى يودون مشاركتى لهم ويترقبون عودتى إليهم.. كنت لأطيق فراقهم .. لم أنم ليلتى عندما علمت بتحرك الكتيبة إلى سيناء.. فلتذهب ركبتى إلى الجحيم حتى لو تم بترها لكننى لابد أن أحارب معكم.

وبنبرات أبوية حانية أعاد العقيد عاطف إلى شوقى ثقته المفقدة وساعده على التماسك بعد أن كاد الانهيار يدب فى أوصاله .. أنا أعلم أن ركبتك تمر بحالة حرجة لاستطيع أن تؤدى معها مهامك القتالية .. وإنها تحتاج لجراحة فورية هكذا أخبرنى د. حسن رضا عندما زرتك بالمستشفى وأنا أثق فى رأيه العلمى .. ورد شوقى لاتحرمنى من حلم حياتى ولاتحكم على بالفناء وأنا بعيد عنكم فى هذه الظروف العصيبة .. فلتدع لى بالتوفيق وسأكون إن شاء الله عند حسن ظنك كما تعودت منى دائماً منذ أن خدمت تحت قيادتكم وأنضمت إلى صفوف الكتيبة وهى تحتل قمم اليمين المحيطة بمداغل العاصمة صنعاء.

تلمس شوقى سريعا مهام سريته فى اطار المهمة الشاملة للوحدات

■ لبنى والحلال ■

الاكبر الكتيبة ٣٤٢ واللواء ١١٤ والفرقة الثالثة المشاة .. ورغم صغر رتبته إلا أنه اكتسب بعض الخبرات القتالية من خدمته السابقة باليمن ، وهذه المرة كلفه اللواء بمهمة دفاعية بحثة ..

سد الثغرة المنبسطة بين جبلى لبنى والحلال والتي يخترقها الطريق الأوسط أحد الطرق الثلاثة الوحيدة التى تخترق المسرح الصحراوى الجبلى لشبه جزيرة سيناء .. لو أن اللواء ١١٤ بقيادة العميد / سعيد إبراهيم تمكن من أعاقه ومنع العدو من التقدم صوب القناة من خلال هذه الثغرة لفشل اليهود فى تنفيذ جانب كبير من خطتهم.

كانت القوات المسلحة المصرية تتبع العقيدة الشرقية التى تقودها المدرسة السوفيتية .. تدور فى نفس الفلك جيوش كل من التشيك ورومانيا والمجر وبلغاريا وغيرها من دول الكتلة الشرقية .. ويحميها مايسمى بحلف وارسو .. نقل إلينا هذه العقائد القتالية بعض الخبراء الروس الذين أستقدمهم النظام عقب انتهاء حرب ١٩٥٦ م مباشرة .. كما أوفدت القوات المسلحة بعض ضباطها النابغين إلى كلية «فرونز» للحصول على دورات تدريبية هناك.

وكان من بينهم لحسن الحظ العقيد / عاطف .. لاشك أنه حجه فى فن القتال خبير فى طبيعة ودروب سيناء .. سبق له أن قاتل عليها فى حرب ٥٦.

يعرف وديانها كما يعرف طرقات وسط البلد .. ويحفظ تباياها ووهادها.. يعلم مسالكها ووعورة جبالها. عقب عودته من تسلم مهمة الكتيبة من قيادة اللواء التى كانوا يسمعون عنها ولايدرون أين هى أجتمع العقيد عاطف معهم بالخيمة الميس إياها.

لابد من تعديل أوضاع الكتيبة التى تم احتلالها على عجل .. مهمتنا أن نكثف الدفاعات على النسق الثانى اللواء .. فى الامام ستحتل الكتيبتان ٣٤٠ و ٣٤١ وتقرد دفاعتها الخطية بعرض الثغرة بالكامل ..

■ لبنى والجلال ■

وتأتى دفاعات كتيبتنا خلفهما بعد ترك مساحة مناسبة كمركز قيادة متقدم للواء .. ستكون المدفعيات المعاونة خلفنا وكذلك الوحدات الإدارية من ذخيرة لتعيينات لمياه وخلافه.

استطرد العقيد عاطف إلقاء لواجبات الكتيبة بالتفصيل .. كان شوقى فى قمة تركيزه حتى لو تعرض لى سؤال استطاع أن يتألق فى اجابته وينسيه موضوع ركبته المعتلة .. ستكون السريتان الأولى والثانية فى الأمام أما السرية الثالثة فستحتل مواقعها خلف قيادة الكتيبة على التبة التى نقف الآن فى مواجهتها وتبعد حوالى مائة وخمسين مترا عن الخيمة الميس . كان الضباط قد خرجوا من جلستهم ليشرح لهم العقيد عاطف مهامهم وواجباتهم على الأرض .. سرايا الهاون والمضادة للدبابات والرشاشات ستكون لها واجبات منفصلة تبعا لطبيعة المعارك ومجريات الأمور.

واصل العقيد عاطف إلقاء المهمة والضباط ينصتون له باهتمام .. تعودوا أن يكونوا أذانا صاغية عند إلقاء المهمة واستيعابا لها .. انها الدستور الذى يتعاملون به طوال الفترة القادمة .. إنها العقد المبرم بين الوحدة والوحدات الأكبر الذى يتضمن كل شىء الواجبات والمسئوليات.. كما يتضمن الحقوق والمساندة والمعاونة التى سيحصلون عليها من الوحدة الأم.. عندما وصل العقيد عاطف إلى مهمة سرية الرشاشات .. اشرب عنق شوقى .. وأرهف سمعه .. سيتم توزيع مدافع الماكينة التسعة على سريتى الأمام لتكثيف نيرانها .. أما المدافع المضادة للطيران فستحتل مواقعها على شكل مستطيل يحيط بمركز قيادة الكتيبة لحمايته والدفاع عنه.

كانت سريته تتكون من فصيلتين .. فصيلة مدفع ماكينة . تسعة رشاشات ذات عيار ٧,٦٢ × ٣٩ .. وهى رشاشات ذات امكانيات نيرانية عالية وقليلة الأعطال قادرة على انتاج مايقرب من ألف طلقة فى الدقيقة الواحدة.. أما الفصيلة الثانية فهى تتكون من أربعة مدافع

■ لبنى والحلال ■

مضادة للطيران ذات عيار أكبر $7,62 \times 54$.. ولها تجهيزة معينة للضرب على الطيران ويمكنها في الحالات التي لاتشارك فيها القوات الجوية أن تسهم ببنيرانها في المعارك الأرضية .. لكن معدلات نيرانها أقل وأعطالها أكثر نسبيا .. كان شوقى هو الضابط الوحيد بالكتيبة الذى يستطيع التعامل معها بعد أن تزود بأسرارها من خلال دورة تدريبية طويلة حصل عليها بمعهد المشاة بالمظلة فور تخرجه من الكلية وقبل انضمامه للقوات العاملة باليمن.

وَوَصَّيْنَا الْإِسْرَافَ

٧

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الخبرية الحالية

النبرة العالية

فرغ العقيد عاطف من القاء تعليماته وشرح تفصيلا مهمة كل رجال الكتيبة.. وطلب من النقيب سيد عبدالغفار وصلاح بدوى قائدى السريتين الأولى والثانية ترديد ما فهماه منها وناقشهما فيه.. أما النقيب صلاح حسين قائد السرية الخلفية فقد اكتفى بسماعه فقط نظرا لانتظار ما سيسفر عنه القتال.. انتصب العقيد عاطف واقفا وكان هذا معناه أن يقف الجميع.. وقال فى كلمات حاسمة انها معركتكم.. وهذه مصر تناديكم فلتنسوا أبناءكم وأرواحكم وأهليكم.. ولتذكروا فقط ما يمكن أن تقدموه لبلدكم التى طالما أعطتكم.. ولتبدأوا فوراً فى تجهيز مواقعكم وتكسية خنادق رجالكم ومدافعكم. ولتعلموا انه ليس أمامنا الا ساعات قليلة ونعطى للعميد سعيد قائد اللواء تمام الاستعداد.. وبنفس اللهجة الحاسمة التى لاتعرف التردد قال العقيد عاطف لينصرف الجميع كل الى مكانه الذى تم تحديده على الأرض والخرائط.. وليبق فقط الملازم أول شوقى.. آه.. انها ركبته من جديد.. سيسند له مهمة سهلة بعيدة عن القتال حتى لايرهقه.. سيرفض بكل تأكيد.. وستكون المرة الأولى التى يتمرّد فيها على كلمات وتعليمات العقيد عاطف.. لقد فشل فى أن ينسيه اصابة ركبته اللعينة.. انها العقبة الوحيدة التى تحول بينه وبين المشاركة فى الحلم.. تمنعه من الوصول للمجد والخلد الذى ينشده.. راح

■ النبرة العالية ■

شوقى يفكر في لحظات خاطفة كيف سيواجه العقيد عاطف ويرفض المهمة السهلة التى سيسندھا اليه.. ويطلب منه نسيان اعاقته المرحلية.. ان المعارك ستجعله يتدمج.. ستتوارى أمامها الآلام.. ستختفى الأوجاع.. لقد طلب منهم أن ينسوا ابناءهم وأرواحهم.. فكيف لم ينس هو مجرد ركبته.. آه من هذه الركبة اللعينة.

على غير ما توقع.. زال تخوفه وانقشعت غمامة الفكر الأسود التى ظلمته لبرهة بمجرد أن نطق العقيد عاطف أولى كلماته.. شوقى يتعاظم دورك في المهمة التى فرغت منها الآن اذا علمت أن لك واجبا تخصصيا بخلاف جميع زملائك. اليهود لن يواجهونا في معارك تصادمية متكافئة.. انهم يسعون دائما في قتالهم الى تحقيق المفاجأة.. ولقد عملت فكرى في كيفية تحقيقهم لها.. ليس امامهم الا اتباع أسلوب قتال ليلى.. ليس لهم قبل بمواجهتنا رجلا لرجل حتى لو كانت الغلبة فى النهاية لهم.

لن يقبل اليهود الخسائر المحسوبة والمتعارف عليها فى علم فن القتال.. ثروتهم البشرية محدودة وغير قابلة للنقص.. ولذلك فعليك منذ الآن أن تستعد للقتال الليلي برشاشاتك . سيغيرون علينا بطائراتهم ليلا تمهيدا للهجوم البرى.. وإذا لم تتمكن مدافعك الأربعة من احداث خسائر كبيرة فى طائراتهم.. فليس أقل من بث الذعر فيها وتطفيش نيرانها بعيدا عن مواقع الكتيبة لنكون مستعدين لقواتهم الأرضية.. فلتسمع اذن هذه الأوامر.. منذ تلك اللحظة لن تنام الا مع أول ضوء.. وتستيقظ مع أذان المغرب.. وخلال ساعات الليل عليك أن تتسق التعاون بين مدافعك وتمعن التفكير فى كيفية مواجهة طائراتهم.

أصبح شوقى بعد ذلك يتصنت على أزيز الطائرات.. ويشمع أصوات المحركات.. بات رجاله قادرين على تمييز صوت الفراشات ليلا بعد أن علموا ان مهمة الكتيبة لن تتجح الا بنجاح مهمتهم الخاصة فى حرمان طيران العدو من احداث خسائر جسيمة بصقوفهم.

فى أول يونيو تصاعدت نغمة الحرب الى ذروتها.. وساد الجميع

مشاعر التعبئة القصوى استتقرت كلمات الزعيم جمال عبدالناصر همم الشعب.. أكد لهم أن إسرائيل ستبادر القوات المسلحة المصرية بالهجوم.. وأنه يتوقع أن يكون ذلك خلال ٧٢ ساعة.. وطلب من الجميع أن يكونوا على أهبة الاستعداد وغاية الحذر خاصة أنه أمر بإغلاق المضائق أمام الملاحة الاسرائيلية وطلب اجلاء قوات الطوارئ الدولية.. كان عبدالناصر يمهّد للقيام بضربة قوية للقوات الاسرائيلية القائمة بالهجوم.. انه يعلم ان الخسائر في الأرواح تصيبهم بالذعر وأنه لا يمكن استمرارهم في المعارك مع حدوث أى خسائر بشرية.

قفز الى ذهن شوقي في هذه اللحظة الوليمة الدسمة التى دعتهم إليها والدته يوم الثالث من يونيو.. بينما شوقى ورجاله يحتلون مواقعهم ويرهفون أسماعهم انتظارا لقدم طائرات العدو سمع صوتا رخيمًا طالما أفتقده منذ وصوله الى موقع الكتيبة بسيناء.. يا أبو الأشواق جئتك من القاهرة بوجبة دسمة شريطة أن أشاركك فى تناولها.. انه صوت زميله فاروق عبدالشفيق.. كان يرافق أحد مدافع الكتيبة فى ورشة الإصلاح ومر عليه قبل أن يرحل بالمدفع من القاهرة بعد اصلاحه صباح الثالث من يونيو بالمستشفى فوجيء بأنه قد لحق بالكتيبة.. فلم يكن منه إلا أن اتصل بوالدته بالمنزل.. وأبدى استعدادة لأداء أى خدمة.. فنأشده أن يمر عليها..

وخلال الفترة التى قطعها فاروق بسيارته من الحلمية الى الدقى.. كانت الحاجة قد دبّرت وجبة شهية من بعض الدجاج المشوى وقطع جاهزة من الكثافة من محل أمية الحلوانى بجوار منزلهم.. أه يا أماه.. ردها شوقى بحرارة وقال لو أننى علمت أنها الوجبة الأخيرة التى سأتناولها من يدك لقمّت بتجميدها واحتفظت بها مدى الحياة لتذكرنى بحنانك وحبك .. أه أيتها الأم الغالية كم أشعر بالندم على أننى لم أتوقع رحيلك وأنا أشارك بعض الزملاء تلك الأطعمة الشهية.. أستشعر ذلك مع كل لقمة.. مع كل ملعقة.. مع كل قطعة لحم.. مع كل نسيرة دجاجة.. كنت تحدثينى فى شوقى وتناجيننى فى ابتهال وأنا أتناول

■ النبرة العالية ■

طعامك.. كيف لى أن أنسى مناجاتك.. كيف لى أن أغفل ابتهاالك.. استقبلت فقط بركاتك ودعواتك التى أعادت لى العقيد عاطف وأنسته آلام ركبتى.. وجعلته يخصنى بمهام مضاعفة.. يالهذا الاحساس البارد.. يال هذه المشاعر الباهتة التى أنستنى أُمى وجعلتنى أفقد قدرتى على الاستنتاج وأتنازل عن حاستى فى التوقع.. أه يا أماه كم كنت بحاجة اليك.. كم افتقدك.. انهمرت الدموع وانسابت العبرات وعاد من جديد شريط الذكريات يلح على مخيلته لينسيه ما هو عليه من انهيار.

فى الساعة التاسعة من صباح الخامس من يونيو انتفض شوقى من نومه فزعا على صوت الجندى مدبولى «مراسلة» العقيد عاطف وقد ارتسمت عل وجهه آيات الرعب.. القائد يستدعيك على عجل ويطلبك بأى ملابس.. هرول شوقى نحو قائدده حافى القدمين.. وبالهول ما رأى العقيد عاطف الذى طالما أعجب برباطة جأشه وتماسكه يتحدث بخوف شديد وتخرج كلماته تعبر عن احساس عميق بالصدمة، أزفت ساعة الصفر.. وبدأ سيناريو المعركة الشرسة على غير ما استنتجت.. عبرت طائرات العدو منطقتنا صوب القناة بأعداد كبيرة.. وبارتفاع منخفض لايمكن لشاشات الرادار أن تلتقطه.. لابد أن مهمة هذه الطائرات ضرب مطاراتنا وتدمير طائراتنا لتحديد القوات الجوية عن مساندة معاركنا الأرضية لتعزى قواتنا البرية واجبارها على خوض معارك غير متكافئة.. انهم دائما يهربون من القتال المتكافئ.. ليس لديهم الشجاعة الكافية لخوض مثل هذه المعارك وقبول أى خسائر.. ولم يكد العقيد عاطف يكمل كلماته حتى فوجيء به شوقى يقفز عليه ويطرحه أرضا.. خبرته بوحدات المظلات مكنته من تمييز صوت طائرات اليهود عائدة بعد أن أتمت مهمتها فى عمق مسرح العمليات.. صرخ شوقى وهو راقد بجوار العقيد عاطف على الأرض على حكمدار أحد مدافعه المضادة للطائرات.. أطلق نيرانك يا فاروق وبمجرد أن خرجت عدة رصاصات من مدفع فاروق وفى لمح البصر كانت الطائرات اليهودية قد أمطرتة بوابل من رشاشاتها فأسكتته على الفور.. وكان فاروق أول شهداء

■ النبرة العالية ■

المعركة بعد أن سكنت إحدى الطلقات في صدره.. كان فاروق رجلاً في السلم.. ولم يتخل عن رجولته هذه وهو يعاني سكرات الموت.. رفض أن يعبر عن آلامه الرهيبة خلال اللحظات القصيرة التي سبقت صعود روحه إلى بارئها حتى لا يتأثر رفاقه وينعكس هذا التأثير على أديانهم.. تجرع آلامه في صمت.. وفاضت روحه في هدوء ولقط آخر أنفاسه وهو يردد اسم مصر ويتنطق بالشهادتين.

هكذا كانت البداية.. الكتيبة فقدت أحد رجالها فزاد هذا من أصراهم.. وضاعف من عزائمهم.. وسار نبأ استشهاد الرقيب فاروق بين الرجال كسريان النار في الهشيم.. ارتسمت على الرجال ملامح العناد والرغبة في الثأر.. لا بد من الثأر للدماء الطاهرة التي جرت من جسد فاروق وامتزجت بحبات الرمال.. وتجمع نقر من الرجال يوارون جثمان الشهيد الأرض.. حفروا له قبره أسفل موقع مدفعه.. انسابت الدموع تودعه في صمت مهيب.. تعاوده على الانتقام.. وتعهده بالثأر.. تحدث العقيد عاطف في الجميع.. دائماً يخرج صوته معبراً عن الحالة التي يتحدث فيها.. التأثير العميق خاطب العواطف بهدف تأجيحها.. وناشد الحمية والنخوة بهدف تحقيقها أكد أنه صار علينا أن نثار لمصر وليس للشهيد فاروق فحسب.. إن فاروق رمز للوطن ، إنهم يرمون الوطن برصاصات الغدر ويقذفونه بصواريخ الدمار.. لا بد أن يواجهوا الفشل ويحصدوا الندم.. لا بد أن تذيبهم بأسنا.. ونروعهم ونرعبهم مهما كانت التضحيات.. لا بد أن يشعروا بالآلام ويحسوا بالآثام التي ارتكبوها من خلال نجاحنا في إحداث إصابات بصقوفهم وتمكنا من إيقاع خسائر في أرواحهم. سنضرب بلارحمة وسنقاتل بلاشفقة.. اذا لم تتمكن النيران من الانطلاق فسنمزقهم بأيدينا.. وسنقتلهم بأسناننا.. سنرتوى من دمائهم.. ونأكل لحومهم وشحومهم انتقاماً لصفهم وثأراً لجرائمهم...

وردت المعلومات من قيادة اللواء تفيد تقدم العدو في اتجاه الحد الأمامي للدفاعات.. أجهزة الاستطلاع أكدت أن دبابات اليهود تتطلق

■ النيرة العالية ■

بأعداد كبيرة صوب دفاعاتنا في اتجاه الغرب.. لم تمهد مدفعاياته لهذا التقدم اكتفاء بما أحدثته نيران القوات الجوية في مرابض المدفعية.. وامعانا لاحداث المفاجأة لقواتنا.. واعتمادا على خفة الحركة المتناهية لدباباته وقدرتها العالية على المناورة.. ودخلت بعض المدرعات في حقول الألغام التي تم نصبها أمام الدفاعات.. انفجرت أول دبابة وتصاعدت منها أسنة اللهب والدخان.. انطلقت الهتافات الله أكبر.. جاء ثارك يا فاروق.

بأسرع مما تخيلنا. الله أكبر.. الله أكبر.. الدبابة الثانية في لغم آخر.. والثالثة بطلقة مدفعية مباشرة هوت عليها من أحد المدافع الخلفية.. لم تزد مدة المعركة عن خمس دقائق خسر فيها العدو نحو ثلاث دبابات.. ومات له ما يقرب من تسعة أشخاص.. ارتفعت معنويات شوقي ورفاقه فبلغت عنان السماء.. تمنوا اقترابهم لمناطق القتل التي تم اعدادها أمام كتيبتى النسق الأول.. لكنه لم يفعل.. ولم تأت الرياح بما تشتهي أنفسنا.

انسحبت دبابات العدو وتخلصت من المعركة بأسرع مما تخيلوا اجتهد في اطفاء حرائقه وانتشار جثث قتلاه وانقاذ مصابيه.. وتوقف تقدمه.. وبدأت الأحوال وساد سكون رهيب سماء المنطقة.. أعاد اليهود حساباتهم.. وتراجعوا مؤقتا عن تنفيذ خططهم.. لا بد لهم من فكر آخر يحميهم من الوقوع في معركة متكافئة ومواجهة خسائر بشرية تقليدية.. ترى أيكون انسحابهم بلا رجعة أم يعاودون الكرة من طريق آخر؟ ليس أمامهم سوى هذه الثغرة وإلا عليهم التقدم من خلال مناطق جبلية شديدة الوعورة ذات ميول حادة وأرض «غرز» لاتصلح لسير الحملات الميكانيكية التي ترافق الدبابات.. تذكر العقيد عاطف المقولة الشهيرة لموشيه ديان الذى قرأ كثيرا عنه.. (لو توقع عدوى أن آتية من طريقين لاثالث لهما آتيته من الطريق الثالث) إمعانا في حرصه على احداث المفاجأة.

بسرعة أدرك العقيد عاطف نوايا اليهود وركز فكره في استنتاج

■ النبرة العالية ■

خطواتهم التالية وتوقع ملامح المعركة المقبلة.. صاح على همام ضابط استطلاع الكتيبة قائلاً.. لتصعد أنت ومعك بعض رجالك إلى أعلى قمة في جبل لبنى.. ترقب الناحية الأخرى من الجبل وتتابع تحركات اليهود وتخطرنا بها أولاً بأول ولتحمل معك بعض المعدات اللاسلكية وتنسق تعاونك مع الرائد رمسيس رئيس عمليات الكتيبة وسنفتح معك الخط كل نصف ساعة وعليك ألا تستصغر أى معلومة أو تقلل من شأنها.. ان كل حركة لليهود لها انعكاسها لدينا.. ولنا أمامها حركة مضادة.. ما عليك أنت إلا ابلغنا بكل شيء فأنت عيننا هناك..

لم يكد العقيد عاطف ينتهى من توضيح المهمة للضابط همام إلا واستقبل النقيب صلاح حسين قائد السرية الخلفية وقال كل شيء جاهز لدى اليهود.. فبالرغم من وعورة وصعوبة الأرض خارج الثغرة المنبسطة التى نحتلها بين جبلى لبنى والحلال.. إلا أنهم يفضلون ذلك على وقوع أى خسائر لرجالهم.. ومن ثم علينا أن نتوقع أن يأتونا من الخلف كما قال ديان.. وبهذا تنقلب أوضاعنا الدفاعية.. تصبح كتيبتنا هى كتيبة النسق الأول.. وتصيح سريتك يا صلاح هى أول قوات لنا فى مواجهة عدونا ولذلك فقرارى القورى هو سحب المدافع الماكينة الموجودة بالسريتين الأماميتين تجهز مواقع لها فى سريتك.. سيعاونك شوقى فى إدارة نيرانها.. ويتم فوراً تجهيز مرابض ومواقع للمدافع المضادة للدبابات.. أما الضابط صبحى قائد سرية الهاون فعليه الآن أن يربط بياناته على أجهزة الهاون لتنتقل داناته وتقع خلف التباب التى يحتلها صلاح بسريته بعد أن يتم تعديل مواجهتها للخلف.. وعليك يا صلاح أن تعد عدتك وتتفهم مهمتك فى نحو الساعة قبل أن تتمكن مدرعات العدو من اجتياز الأرض الوعرة والالتفاف علينا من الخلف.

هرول صلاح عائداً الى موقعه واجتمع بضباط فصائكه الثلاث.. وشرح لهم الموقف الذى كان غامضاً عليهم تماماً.. وطلب منهم تعديل أوضاع رجالهم.. وتجهيز وتكسية خنادقهم لتكون مواجهتهم للخلف.. وإعداد مواقع للرشاشات التسعة.. والمدافع المضادة للدبابات وبينما هم

■ النبوة العالية ■

ينخرطون في تنفيذ التعليمات وقبل أن تتم العملية لمح صلاح أتربة وغبارا قادما من اتجاه العريش.. ومالبثت أن كشفت الأتربة عن تقدم دبابات خضراء اللون.. تتمركز بعض منها أسفل التبة التي احتلتها السرية الخلفية التي أصبحت بقدرة قادر سرية المجهود الرئيسي بينما استمر تدفق البعض الآخر في اتجاه الاسماعيلية.. كان علينا أن نتعرف على هوية تلك الدبابات الخضراء.. صديقة كانت أم عدوة.. البعض أفتى أنها صديقة للقوات الجزائرية التي أثبت إلا أن تشارك مصر معركتها والآخرون أكدوا انها عدوة لليهود الذين نجحوا في الالتفاف خلف الجبل لتقادي نيران مواقعنا.. وقطعت جبهة قول كل خطيب .. أمر صلاح أحد مدافعه بالضرب عليها لمعرفة هويتها.. وكانت المفاجأة ، لم تحفل الدبابات بالرد واستهزأت بالدانات القليلة التي لم تحدث فيها أى خسائر ولم توقع بها أى اصابات.. فجأة وهم على هذا النحو من التردد وعدم المعرفة.. وجدوا العقيد عاطف بينهم وقال في صوت تنم نبراته العميقة على الأسى.. انها عدوة.. دبابات اليهود لقد فرض علينا الحصار.. ولا بد من مواجهته..



التيارات
التيارات

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱

الدبابات الخضر

طأطأ الرجال رؤوسهم بعد أن علموا أنهم وقعوا في الحصار.. وأن هذه الدبابات الخضر التي طألما اختلقوا على هويتها لم تكن إلا جزءاً من اللواء السابع الجولاني أفضل وحدات اليهود المدرعة وأكثرها استكمالاً وأوفرها خبرة ..

زاد من ضيقهم الكلمات القليلة التي خرجت من فم العقيد عاطف قبل أن يغادر مكانه وسطهم في طريقه وهو عائد إلى مركز قيادته .. لتعلموا أن وحدات اللواء بالكامل أصبحت محاصرة ، فصل العدو بينها وبين مرابض مدفعيتها في الخلف وأماكن وحداتها الإدارية من مياه وتعيينات .. ومن الآن أصبحت نقطة المياه تمثل ثروة لكل منكم وطلقة الذخيرة تعنى الكثير لحياته لا بد لكم من الاعتماد على أنفسكم.. والتركيز في كل أموركم .. عندما يشتد الخطر يقل التعاون ويهتم كل منا بنفسه.. ولذلك أتوقع ألا يكون هناك تنسيق بيننا وبين اللواء .. لن يكون أماننا إلا الاعتماد على امكانياتنا النيرانية الضعيفة في مواجهة هذه الدبابات إذا أردنا فك الحصار والخروج من المأزق .

انصرف العقيد / عاطف وعيون الرجال ترقبه وأذهانهم مشغولة بالتفكير فيما قاله .. بسرعة تعقدت الأمور وتحولت وتبدلت المقادير ..

■ الدبابات الخضراء ■

وزاد من تعقيدها أن الضابط همام الذى صعد جبل لبنى للاستطلاع أبلغ الرائد رمسيس أنه تمكن بعد مجهود من إصلاح عطل بجهاز اللاسلكى أخره عن التبليغ عما يراه .. وأنه منذ صعد الجبل وهو يرى «قولات» وجحافل مدرعة لا يستطيع عدها أو حصرها تتقدم صوب الاسماعيلية .. غبار الدبابات يتصاعد وصوت المحركات لا ينقطع .. لقد اتخذ اليهود من هذه الطرقات الوعرة والدروب غير الصالحة للسير طرقا رئيسية لتقدمهم ليتفادوا الدفاعات والقناخ المنصوبة لهم .. ثم ما لبثوا أن استعادوا مسارهم الطبيعى لتقدمهم على نفس الطريق الأوسط الذى يربط أبو عجيبة بالاسماعيلية بعد أن التقوا حول قوات اللواء ١١٤ مشاة وقاموا بحصارها وتثبيتها وقطعوا عنها خطوط امدادها وحتى حرموها من معاونة مدقيتها .

جلسوا يفكرون في موقفهم الذى فرض عليهم .. يتدبرون أمرهم ويدرسون معطياتهم .. كم لديهم من مدافع ويقارنون بينها وبين ما أمامهم من دبابات .. تعلموا في مبادئ الحرب أن قطعة المدفعية المخدقة تستطيع أن تدمر دبابتين مهاجمتين قبل أن يتم تدميرها ، لقد تجمع معهم عشرة مدافع مضادة أربعة من طراز ب ١١ وستة أقل حجما من طراز ب ١٠ وكلتاها من النوع الروسى عديم الارتداد قوى التأثير .. وإذا تم تطبيق المبادئ التى تعلموها فليدبرهم القدرة على تدمير عشرين دبابة فقط .. ولكن ما أمامهم ليس أقل من خمسين دبابة ومدافع ذاتية الحركة .. فلنفكر إذن في صنع قنابل مولوتوف .. هذه القنابل لا تحتاج إلا إلى زجاجات فارغة وبعض البنزين .. انها تحتاج لرجال جسورين يتميزون بالشجاعة والفائقة وقوة ضبط النفس .. لا بد لهؤلاء الرجال أن ينتظروا مرور الدبابات اليهودية فوق خنادقهم ثم يقذفون عليها تلك القنابل على الفتحات والأماكن الضعيفة في محاولة لتعطيلها أو تدميرها أو حتى إشعالها لتنفجر ذاتيا .. كان النقيب صلاح يقود ذلك الاجتماع المصغر .. ويدير تلك الحوارات المثمرة التى تولدت

■ الدبابات الحضرية ■

من الأزمة التي يمرون فيها فكلما تأزمت الأمور كلما اجتهد الرجال وخرجت الابتكارات .. فالحاجة أم الاختراع ولن يكونوا في أزمة أشد من هذه الأزمة .. ولم يحتاجوا إلى الاجتهاد والابتكار كما احتاجوه الآن ..

فجأة لمح شوقي بعض الأتربة تتصاعد من اتجاه الجنوب قادمة من الحسنة أسفرت الأتربة عن تحرك دبابات قادمة من هذا الاتجاه في مواجهة الدبابات اليهودية المتمركزة خلفهم والتي أصبحت بعد تعديل الأوضاع أمامهم .. وبسرعة قبل أن ينتبهوا إلى ما يحدث أو يتبينوا حقيقته .. فتحت الدبابات القادمة في تشكيل المعركة وأطلقت وابلاً من الدانات نزلت من الدبابات اليهودية في مقتل .. لقد أتى الفرج من حيث لا يتوقعونه .. الحمد لله انفكت أزمته .. وتهاوى حصار اليهود الملاعين أمام قذائف ونيران الدبابات القادمة التي لا بد أن تكون دبابات صديقة .. دارت معركة تصادمية من التي يسمعون عنها في الأفلام ويتدارسونها في الكتب .. الدبابات المصرية ذات أعيرة أكبر وتأثير نيرانى أشد .. نعم انهم لا يعرفون طرازها .. أهى ت ٦٢ .. أم ت ٥٤ .. وما تفيد المعرفة يكفيهم فقط التأثير .. دانات اليهود لا تكاد تؤثر فيها .. تقع الدانة على الدرع الأمامى لدباباتنا فتتهزه فقط ولا تحدث فيه أى تدمير أو تأثير .. بينما تقع دانات دباباتنا في مقتل من الدبابات اليهودية .. الدخان الأسود يتصاعد منها .. اللهب الأصفر يتأجج .. الانفجارات الذاتية لدبابات اليهود تتزايد .. جاءت كلمات العقيد عاطف وهم وسط هذه النشوة تكشف عنهم الغموض وتزيل الضباب المفروض «المعركة الدائرة أمامكم محاولة اللواء ١٤ مدرع بقيادة العميد عبد المنعم واصل لفك حصار قواتنا .. فطنت القيادة العليا لمسرح عمليات سيناء بالموقف المتأزم الذى فرضه اليهود علينا .. فلم تتركنا وانما سارعت بنجدتنا .. وأرسلت مدداً لمساعدتنا .. اذن نحن لسنا وحدنا .. الله معنا .. وقيادتنا ليست غافلة عما نحن فيه .. لكن كل شىء بحساب والأمر إذن

■ الدبابات الخضر ■

لم تقلت من يدها .. لا بد لنا إذن من مساعدة دبابات العميد واصل .. لا بد من المشاركة في المعركة أنها معركة الخلاص من الحرج الذى وقعنا فيه وليس من اختيارنا .. فلتطلق مدافعنا داناتها لمساعدة العميد واصل ودون أوامر من العقيد عاطف أصدر الضابط أمير السبكي أوامره للمدافع المضادة للدبابات بالانطلاق .. راح الضابط أمير السبكي يصيح هنا وهناك لإدارة نيران مدافعه .. مدفع الرقيب حسين هو أول المشتكين .. براقو حسين تصويبك ممتاز .. لا بد ألا يقل تصويب فراج عما قطه حسين .. فلتضرب أنت على هدف تال .. دبابة أخرى .. وبينما كان رجال سرية المدافع المضادة للدبابات يشتبكون تلقائيا لمساعدة معركة دبابات اللواء ١٤ مدرع كان رجال السرية الثالثة يتابعون الموقف باهتمام ويترقبون مصير الدبابات اليهودية التى تصاعدت منها أعمدة كثيفة من الدخان الأسود وتناثرت منها أشلاء الجثث المحترقة وتبعثرت أجزاؤها المفككة واشتدت السنة اللهب حتى خالوه انفجارات نارية من كثافة نيرانه .

ومع ازدياد الانفجارات فى صفوف الدبابات اليهودية ومع تقدم الدبابات المصرية صوب غريمتها وشدة تأثير نيرانها لم يكن أمام القوات اليهودية سوى الانسحاب .. التقهقر .. التخلص من المعركة .. الحمد لله .. لحظة الفرج قريب عما تخيلنا .. لحظة إنفكاك الحصار آتية لأريب فيها .. لقد ذاقوا مرارة الكأس .. شربوه حتى الثمالة أنهم يحاولون الفكك من أمام نيران دبابات العميد واصل التى تقع عليهم كالزلازل وتؤثر فيهم كالصاعقة وتدمر دباباتهم وتحصدها كما الجراد.. دباباتهم كأنها جردان مذعورة أمام قطط رومية متوحشة .. لا قبل للفار بمواجهة القط .. فما بالك باختلاف النوعيتين .. دباباتهم التى لاتعرف نوعيتها ولاهويتها تعتمد على خفة الحركة والسرعة والقدرة على المناورة .. الله الله .. أنها تهرب .. أنها تجرى مذعورة من حيث أنت لاتحفل حتى بلم أشلائها المتناثرة أو جر وحداتها المعطلة أو

■ الدبابات الخضراء ■

تنظيم انسحابها كما تنص أبسط قواعد القتال ونظريات الحرب .. المفروض أن تستر نيران بعض الدبابات انسحاب الأخرى لكنهم يجرون بلا تنظيم ويهرعون بلا وعى .

مدرعات العدو تهاوت أمام نيران دبابات اللواء ١٤ مدرع الأشد تأثيرا والأكثر فتكا .. أنهم دائما لا يواجهون النيران بالنيران .. لا يجازفون بتعريض أنفسهم لمعارك متكافئة .. قرروا سريعا التخلص من الورطة وإيقاف المعركة .. هدأت النيران وانخفضت ألسنة اللهب .. وساد المنطقة سكون أشبه بسكون القبور .. هربت الدبابات اليهودية .. وبدلا من أن نشاهد منظرا مثيرا ودباباتنا تطاردهم وتحصدهم وهم يرتدون على أديبارهم بلا ترتيب أو تعاون .. شاهدنا العجب العجيب .. دبابات اللواء ١٤ مدرع .. تردت هي الأخرى وتذهب من حيث أتت .. أين شجاعة العميد واصل التي طالما سمعوا عنها ؟ أين قدرته الفائقة على إدارة معاركه التصادمية وقتال الدبابات المعادية ؟ ذهبت أدراج الرياح .. تبخرت مع ذرات التراب المتهاوية التي أعلن خفوتها واضمحلالها عن انتهاء المعركة بأسرع مما تخيلنا .. أهى خطة ؟ .. أهو تكتيك ؟ ما الذى يحدث بحق الشيطان يدفع قواتنا على الاحجام عن مطاردة دبابات مهزومة .. قوات مكسورة .. فلول تهوول بلا أى نظام ودون أدنى مقاومة .. وجاءهم كلمات العقيد / عاطف تشرح لهم الغموض كما هى العادة ..

ليس لدباباتنا قدرة على المطاردة بعد أن قطعت أكثر من خمسمائة كيلومتر على الجنزير والمعروف أن الدبابات تنتقل بواسطة حاملاتها إلى مكان المعركة المنتظرة قريبا من مسرح العمليات المتوقع .. لكن المسكين العميد واصل تلقى أوامر عديدة بالسفر إلى هنا والتقدم إلى هناك والجرى إلى هذه المنطقة والاندفاع إلى تلك المهمة إلى أن أنهكت قواه وخارت قدراته . تصور العميد واصل أنه أنجز مهمته ببحر قوات اللواء السابع الجولانى اليهودى وإعادتها من حيث أتت .. وربما جاءته أوامر

■ الديابات الحضرية ■

أخرى بالتقدم إلى منطقة أخرى أو تحديد مهمة تالية.. أن هناك أسبابا لا يعرفونها كقيلة بأن تجعل ديابات اللواء ١٤ مدرع لاتغامر بمطاردة العدو مهما كان ضعيفا .. لابد للعميد واصل أن يضطلع بمهمة أخرى لنجدة قوات أكبر أو لمواجهة ظروف أصعب في منطقة استراتيجية أخرى.. ولكن كيف سيكون موقفهم بعد هذا الانفراج الذى لم يستكمل أسبابه .. وهذا الانفتاح الذى لم تتم فصوله .. انقشعت ديابات اليهود وتهاوت دفاعاتهم وانفتح الطريق أمام قواتنا للتحرك صوب الاسماعيلية ولو حتى على سبيل إعادة التجميع والتشكيل تمهيدا للقيام بمهام أخرى .

انتابتهم حالة من الاحباط العميق وتسرب إلى نفوسهم بعض اليأس.. صمت العقيد عاطف لم يصدر أوامره بالاستعداد للتحرك استغلالا لانفكاك الحصار أو حتى للانتقال لمواقع أخرى أشد تحصينا وأكثر منعة .. صمت العقيد عاطف يدعو إلى الريية ويبحث على الشك .. لم يتعودوا منه الصمت في هذه المواقف .. وجدوه قريبا أكثر مما يجب وجدوه شاعرا بكل خلجاتهم .. بكل نبضهم .. بكل أحاسيسهم .. ترى ماذا أسكته ودقعه إلى اتخاذ هذا الموقف السلبي غير الواضح ؟ .. راحوا يتفكرون ويناقشون موقفهم الذى هم عليه الآن .. يحاولون تصور الخطوة التالية في ظل الصمت الغريب الذى بدا على قائد الكتيبة .. قال النقيب / صلاح : إنه ينتظر تعليمات العميد سعيد قائد اللواء دائما النقيب صلاح ينتظر التعليمات .. علمته التجارب ألا يغامر ويبادر بالتصرف دون الرجوع لقيادته .. قال شوقى : لا يا صلاح انه يفكر في الخطوة التالية ويعيد حساباته في ظل المعطيات الجديدة .. ونطق رستم أحد ضباط السرية الثالثة : يا جماعة إن صمت العقيد عاطف ينبىء عن حالة من عدم المعرفة وقلة المعلومات ربما انقطع الاتصال بينه وبين القيادة ولذلك فهو يترث في اتخاذ القرار حتى لا يقع رجاله في المحذور.. وربما وصلته معلومات تفيد عدم جدوى التحرك لمواقع أخرى .

■ الدبابات الخضراء ■

وبينما هم يتفكرون وقع نظرهـم على مشهد غريب أصابهم بالفزع وسبب لهم الذهول . نفس الدبابات الخضراء التى كانت تهرب وتتخلص من المعركة أمام دباباتنا .. تعود أراجها من جديد .. وتحتل نفس مواقعها وتوجه مدافعها إليهم .. انها تواجههم وتربص بهم .. تأخذ مرابض نيران على التباب المواجهة لتبأهم .. تعيد إحكام الحصار حولهم .. تقطع عليهم الطريق نحو الاتصال بقواتهم فى الخلف وتحرمهم من خطوط الامداد .. وتحول بينهم وبين مناطق الشئون الادارية .. انقطعت عنهم فرص الامداد بالمياه التى لاحت بعد هروب الدبابات .. ضاع مجهود دبابات اللواء ١٤ مدرع سدى .. تبدد الأمل وتلاشى بصيص النور الذى ساد مشاعرهم لفترة قصيرة .. هكذا الحروب .. تتغير مواقف القوات المشاركة فى القتال لحظيا .. قد تشعر للحظة أنك منتصر لامحالة .. وأن مجريات المعركة أصبحت فى يدك وأنك أحكمت السيطرة على كل المقدرات .. وفجأة ينقلب الحال وتبديل الأوضاع .. وتجد نفسك فى حالة دفاع مقروضة عليك ولاتستطيع لم شتاتك خلالها .. القائد المحنك هو الذى يضع حلولاً فورية لكل الاحتمالات والخبرة تكسب المقاتلين المتمرسين سرعة البت فى المواقف واتخاذ القرارات الفورية المناسبة .

فجأة سمع شوقى صوت العقيد عاطف يصرخ هاتفا فى جهاز اللاسلكى الخاص بالنقيب صلاح بضرورة حضوره إلى مركز قيادة الكتيبة فوراً .. راح يفكر فيما يريده .. انه يثق فى شجاعة قائده وتمرسه على فنون القتال .. أصقلته خدمته فى وحدات المظلات حتى وصل إلى قيادتها ورتبته لم تتعد المقدم .. وزاده اشترآكه فى حرب اليمن وقبلها ١٩٥٦م حنكة ودراية بفنون المراوغة والمناورة والالتفاف والتطويق ..

انتصب شوقى واقفا على أهبة الاستعداد أمام العقيد / عاطف بعد أن أدى التحية العسكرية بشدة وكأنه يستحثه على نسيان موضوع

■ الدبابات الخضراء ■

ركبته إياه .. لا اعتقد أنه مازال يتذكره .. ولم تدم شكوكه كثيرا ..
ابتدره قائلا .. اخترتك للقيام بمهمة استطلاعية بدلا من همام الذى
يقبع على جبل لبنى بالرغم من حلول الظلام وانتهاء مهمته .. أود التاكيد
من بيانات قيادة اللواء الخاصة بالعدو المحاصر لنا .. العميد سعيد
يقول أنه على بعد ستة كيلو مترات ولا يتعدى قوته عن عشر دبابات،
فغر شوقى فاه .. وارتسمت على محياه آيات الفزع والذعر مما دفع
العقيد عاطف لسؤاله .. ماذا هناك أتخشى القيام بهذه المهمة الصغيرة ؟
أتخاف الوقوع فى الأسر ؟ اخترتك لأنى أعلم شجاعتك وقدرتك على
مواجهة تلك المهام .

وكان العقيد عاطف يستحثه على القيام بدور البديل لمهام ضابط
استطلاع الكتيبة وجاء رد شوقى يعبر عن صدمته وأحباطه .. ليس لكل
هذه الأسباب .. فلم يتسرب الخوف بعد إلى نفسى منذ وصولى موقع
الكتيبة .. ولكننى أرى العدو وهو لا يبعد عن موقع السرية الخلفية والتي
أصبحت سرية المجهود الرئيسى كما تعلم سيادتكم سوى مائتى متر
على الأكثر .. وقد تستطيع سيادتكم أن تحصى دباباته ليس بنظارة
الميدان التى فى عهدتك وأراها على صدرك وإنما بعينيك المجردة .. وفى
صوت أمر قال العقيد عاطف لا احتاج لمزيد من معلوماتك .. ولكننى قد
تعلمت كيف أحترم معلومات القيادة الأعلى أود التثبت من خلالك بصحة
ما ورد من قيادة اللواء .

لك السمع والطاعة .. لكن لى بعض المطالب التى أراها ضرورية
للقيام بمثل هذه المهمة .. كما أن لى بعض الاستفسارات .. ما هى
وسيلة المواصلات ؟ من أين لى رجال استطلاع ؟ هل أشتبك مع اليهود
لو أنى تورطت معهم ؟ وجاء رد العقيد / عاطف سريعا وكأنه جهزه
قبل أن يسأل شوقى .. العربية المدرعة جاهزة .. واختر ما شئت من
رجال الكتيبة حتى ولو وقع اختيارك على الرائد رمسيس ساكلفه
بالانضمام لك فى هذه المهمة .. ما مطالبك ؟ العربية الجيب الخاصة

■ الدبابات الخضر ■

بحضرتك .. أوافقك على ذلك خذها متى شئت وطالما تكون جاهزا للفهمة. وأضاف شوقى سأختار بعض رجال سرىتى وليس رجال همام لأنى أثق فى قدرتهم على تفهم أوامرى دون أن تصدر من لسانى .. وأطلب من سيادتكم أن تأمر الضابط صبحى بإطلاق بعض الدانات المضيفة من هاوناته أمامى للكشف عن مواقع اليهود خاصة وقد حل الظلام تماما .. وبسرعة كان صبحى يتلقى أوامر العقيد عاطف بذلك .. أما آخر مطالبى فهو التنسيق مع النقيب صلاح حين عودتى من المهمة حتى لايتصور أننى من اليهود ويطلق نيرانه على العربية .. وبنفس السرعة قال العقيد / عاطف فى جهاز اللاسلكى .. صلاح سيذهب شوقى مع بعض الرجال لاستطلاع العدو .. وحين عودته سيضىء أنوار العربية التى تقله ثلاث مرات .. فلتفهم جيدا إشارته وتأمر رجالك بصمت النيران .

جاهز يا فرغى - جاهز يا حسن .. أنت يارقيب داوود هل أعددت سلاحك وتممت على ذخيرة الرجال .. عثمان أنا أعلم أنك تعودت على قيادة العقيد / عاطف وهو بجوارك فى المقعد .. لكنك هذه المرة ستسمع أوامرى أنا وأرجو أن تكون كتلة حذر ويقظة لأن المهمة تحتاج للكثير من التركيز .. هكذا جاءت كلمات شوقى حاسمة لتوضيح مهمة الرجال وأضاف مهمتنا أن نتأكد من مواقع مدرعات العدو وعددها .. ولكى لاتفهموا الأمر على غير واقعه .. لقد أفادت معلومات مركز قيادة اللواء بتحرك الدبابات بعد أن حل الظلام إلى الخلف عند النقطة مائة وسبع وستين .. ومطلوب منا تأكيد تلك المعلومة .. وبعفويته المعهودة قال فرغى الذى كان قريبا من قلب شوقى .. لكننا لم نسمع محركاته ولم نر أضواء دباباته أو مركباته ونحن على مسافة لاتتعدى مائتى متر فقط تسنح لنا برؤية وسماع كل شيء .. أجاب شوقى .. لا أقول كما قال لى العقيد عاطف .. أنك خفت .. وإنما أشعر بما تحسه من غرابة .. ولا أستطيع أن أقنعك بما لست مقتنعا به لكننا يا فرغى لانرى ونفهم

■ الديابات الخضر ■

مثل قيادتنا .. حتى ولو كانت الأوامر غير مقنعة من وجهة نظرنا القصيرة فلاشك أن لديهم الدافع على هذه التعليمات والقيام بمثل هذه المهمة .

بدأت العربية الجيب تنزل الميل الجنوبي لتبة السرية الثالثة بهدوء شديد .. كأنه من غير المسموح إطلاقا إضاءة أى أنوار .. وقام شوقى بإصدار تعليماته بكم الأصوات وحتى الأنفاس .. ولم تكد العربية تتقدم مائة متر فقط حتى نطق فرغلى همسا وكان يجلس بجوار شوقى في الخلف مباشرة .. أترى يا فندم تلك الكتل السوداء التى على مرمى البصر اننى أتخيلها دبابات اليهود وهى منتظرة لاتبعد بين الواحدة والأخرى أكثر من ٢٥ مترا .. رد شوقى استمر فى ملاحظاته فى صمت ولا تتحدث إلا إذا أمرتك بهذا .. استمر السائق عثمان فى تقدمه لمسافة أخرى ثم اضطر للوقوف فورا تنفيذا لأوامر شوقى الذى أمر رجاله بالهبوط بعد أن قام بتشكيلهم فى مجموعات إغارة صغيرة .. هو وفرغلى فى الأمام وداود وحسن فى الخلف بعشرة أمتار على أن يكون التعاون عن طريق الخطب بإصبعه على دبشك البندقية الخشبية نقرة واحدة تعنى الوقوف اثنتان تعنى التقدم .. ثلاث تعنى الاشتباك مع الأفراد الذين يظهرون أمامهم على أن يكون الارتداد إلى العربية سريعا بعد الاشتباك وعلى السائق عثمان أن يدير واجهة العربية فى اتجاه العودة وإدارة المحرك دون توقف حتى إذا ما ارتدوا بعد الاشتباك ينطلق عائدا لموقع الكتيبة سريعا ..

تعجب داود من الضابط شوقى الذى لم يصدر نقرة واحدة بدبشك البندقية بالرغم من أن الديابات باتت على بعد أمتار قليلة وقاموا بعدها وتمييزها بوضوح .. لكنه لم يكن يعلم أن شوقى يريد معرفة الدافع على حالة الصمت التى كانت عليها دبابات اليهود ولم يعرف ذلك إلا بعد أن وصل فرغلى إلى إحداها وتأكد أن طاقمها قام بغلق جميع فتحاتها ويغط فى النوم انتظارا لصدور أوامر أخرى من قائد التشكيل ..

■ الدبابات الحضرية ■

وإنه لاسبيل أمامه للتعامل مع تلك الدبابات لأنه لا يحمل معه أسلحة مضادة لها ولو حتى آر.بى.جى .. وارتد شوقى وأمر رجاله بالعودة إلى العربية التى أقلتهم من جديد إلى مركز قيادة الكتيبة بعد أن أصدر عثمان الإشارة المتفق عليها مع صلاح .

اقترح الرائد رمسيس على العقيد عاطف أن يقوم الضابط رستم من السرية الثالثة بالمهمة التى أخفق شوقى فى القيام بها .. وكان العقيد عاطف قد علق على معلومات شوقى التى أفادته بأن العدو لا يبعد عن السرية الثالثة بأكثر من مائتى متر فقط وأنه يقدر بثلاثين دبابة وبعض المركبات الذاتية الحركة بأن خوفه جعله يتخيل أمورا ليست حقيقية وأنه تصور بعض الصخور المتناثرة فى الصحراء على أنها دبابات .. لم يجد شوقى الرد المناسب والمعبر عن ثورته الداخلية من الظلم الذى حاق به .. اتهامه بالخوف وأن خوفه صور له أمورا ليست من الواقع فى شىء .. لاذ بالصمت حتى لا يقع فى خطأ قد يستوجب العقاب .. ولم يرد إغضاب قائده الذى طالما أحترمه ووثق به .. لم يرغب فى رد اعتباره من الرائد رمسيس الذى لم ينصفه وهو يعلم مدى شجاعته من خلال تنفيذهم لمهام عديدة أصعب بكثير من هذه المهمة فى حرب اليمن .. استمع شوقى لأوامر العقيد عاطف بتكليف رستم بالمهمة وعاد يجر قدميه إلى مكانه بالقرب من السرية الثالثة .

فوجئ النقيب صلاح بعودة الضابط رستم ورجاله بأسرع مما تخيل .. فبمجرد نزولهم الميل الأمامى للتباب كادوا يصطدمون بدبابات اليهود وأعادوا على مسامعه نفس البيانات التى أتى بها شوقى .. ونقل صلاح إلى العقيد عاطف ما سمع وأكد له أن الدبابات لا تبعد كثيرا عن موقع سريته وأنها لاتزيد عن ثلاثين .. ولم تعرف مجموعة الأركان الصغيرة التى كانت تتكون من النقيب صلاح ومعه ضباطه الثلاثة قواد فصائل لسرية والضابط شوقى والضابط أمير السبكي رد فعل العقيد عاطف بعد أن تأكد من المعلومات الخاصة بالعدو .. واضطر شوقى

■ الدبابات الخضراء ■

لإخفاء مشاعره المحبطة عن بقية زملائه حتى لا ينتقل عدواها إليهم وتتأثر جسور الثقة بينهم وبين مركز قيادة الكتيبة ..
وانشغل فكره في السبب الذي دفع دبابات اليهود إلى عدم إطلاق أى نيران عليه أو محاولة أسره ورجاله .. ولم يقتنع بخلودهم للراحة والنوم في هذه الساعات العصيبة .. على الأقل كان يجب أن يكون هناك دبابة واحدة في حالة يقظة كاملة وجاهزة لاطلاق نيرانها عليه ..
وتجمعت في ذهنه العديد من الاستفسارات شغلته نسبيا عن التأثير بحالة الاحباط الشديد التي انتابته بعد أن اتهمه قائده بالخوف . أنه لم يخف لو كانت لديه أسلحة مضادة للدبابات لما ترك الدبابة التي كاد أن يلمسها بيديه دون أن يدمرها .. لكن لقد تعود على مشاعر الظلم في بعض الأحيان .. حتى عندما كان يقوم ببعض المهام القتالية الشاقة ..
كان يشعر به عندما لا يلقي نفس القدر من الاشادة والاستحسان .. لا .. لا يا شوقي لقد أفسدتك تدليل العقيد عاطف لا .. لا .. لا تسمح لتأثرك أن يوغر صدرك ضده .. فهو لا يزال نعم الأب .. وخير القادة .. وحتى لو لم يكن كذلك فعليك ألا تنقل أحاسيسك المحبطة إلى الآخرين .. حتى لا يتسرب إليهم اليأس في أحلك الأوقات التي تتطلب استنفار كل الهمم وتحفيز كافة الجهود والطاقات .

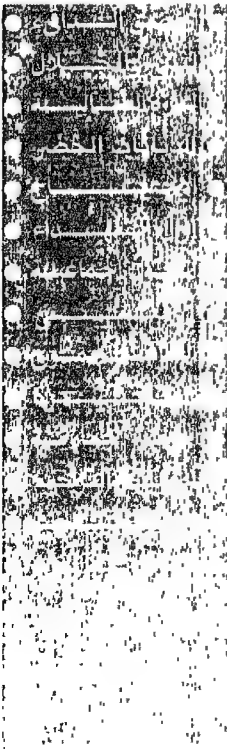
حب وحرب

١٥

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الاحتياج

- ١. لبناني والجمال
- ٢. الديمقراطية
- ٣. الديمقراطية
- ٤. الديمقراطية
- ٥. الديمقراطية
- ٦. الديمقراطية
- ٧. الديمقراطية
- ٨. الديمقراطية
- ٩. الديمقراطية
- ١٠. الديمقراطية
- ١١. الديمقراطية
- ١٢. الديمقراطية
- ١٣. الديمقراطية
- ١٤. الديمقراطية
- ١٥. الديمقراطية
- ١٦. الديمقراطية
- ١٧. الديمقراطية
- ١٨. الديمقراطية
- ١٩. الديمقراطية
- ٢٠. الديمقراطية
- ٢١. الديمقراطية
- ٢٢. الديمقراطية
- ٢٣. الديمقراطية
- ٢٤. الديمقراطية
- ٢٥. الديمقراطية
- ٢٦. الديمقراطية
- ٢٧. الديمقراطية
- ٢٨. الديمقراطية
- ٢٩. الديمقراطية
- ٣٠. الديمقراطية
- ٣١. الديمقراطية
- ٣٢. الديمقراطية
- ٣٣. الديمقراطية
- ٣٤. الديمقراطية
- ٣٥. الديمقراطية
- ٣٦. الديمقراطية
- ٣٧. الديمقراطية
- ٣٨. الديمقراطية
- ٣٩. الديمقراطية
- ٤٠. الديمقراطية
- ٤١. الديمقراطية
- ٤٢. الديمقراطية
- ٤٣. الديمقراطية
- ٤٤. الديمقراطية
- ٤٥. الديمقراطية
- ٤٦. الديمقراطية
- ٤٧. الديمقراطية
- ٤٨. الديمقراطية
- ٤٩. الديمقراطية
- ٥٠. الديمقراطية
- ٥١. الديمقراطية
- ٥٢. الديمقراطية
- ٥٣. الديمقراطية
- ٥٤. الديمقراطية
- ٥٥. الديمقراطية
- ٥٦. الديمقراطية
- ٥٧. الديمقراطية
- ٥٨. الديمقراطية
- ٥٩. الديمقراطية
- ٦٠. الديمقراطية
- ٦١. الديمقراطية
- ٦٢. الديمقراطية
- ٦٣. الديمقراطية
- ٦٤. الديمقراطية
- ٦٥. الديمقراطية
- ٦٦. الديمقراطية
- ٦٧. الديمقراطية
- ٦٨. الديمقراطية
- ٦٩. الديمقراطية
- ٧٠. الديمقراطية
- ٧١. الديمقراطية
- ٧٢. الديمقراطية
- ٧٣. الديمقراطية
- ٧٤. الديمقراطية
- ٧٥. الديمقراطية
- ٧٦. الديمقراطية
- ٧٧. الديمقراطية
- ٧٨. الديمقراطية
- ٧٩. الديمقراطية
- ٨٠. الديمقراطية
- ٨١. الديمقراطية
- ٨٢. الديمقراطية
- ٨٣. الديمقراطية
- ٨٤. الديمقراطية
- ٨٥. الديمقراطية
- ٨٦. الديمقراطية
- ٨٧. الديمقراطية
- ٨٨. الديمقراطية
- ٨٩. الديمقراطية
- ٩٠. الديمقراطية
- ٩١. الديمقراطية
- ٩٢. الديمقراطية
- ٩٣. الديمقراطية
- ٩٤. الديمقراطية
- ٩٥. الديمقراطية
- ٩٦. الديمقراطية
- ٩٧. الديمقراطية
- ٩٨. الديمقراطية
- ٩٩. الديمقراطية
- ١٠٠. الديمقراطية



الاجتياح

ساعة انبلاج الصبح من غسق الليل تحمل في طياتها نسمات رطوبة منعشة تسرى في الأوصال فتغذيها وتمتزج بالدماء فتنتقيها.. لم يكن من الصعب على الرجال أن يتوقعوا الخطوة التالية لليهود بعد حصارهم الذي دام طوال ساعات الليل.. طلبوا من قيادة اللواء تدعيمهم ببعض الدروع والدفع إليهم ببعض المدفعية من كتيبتى النسق الأول لمواجهة المعركة المتوقعة.. لكن هيهات أن يحدث ذلك.. فالخطب شديد ومن ثم كان على كل وحدة أن تتدبر أمرها بنفسها خاصة أن الأمور اختلطت والمعايير اهتزت والتوقعات تلاشت ونجح اليهود في بث حالة من عدم الثقة في المعلومات والبيانات المتاحة عنهم وتحولت اشراقه النهار الصبوحه إلى حمرة داكنة وارتفعت ألسنة اللهب وأعمدة الدخان وامتألت الساحة بالانفجارات.. اختلطت صراخات القتلى وأنات المصابين بدوى المدافع وهدير الدانات التى أطلقها اليهود صوب الرجال والخيام والمعدات بلاهواة ويأعلى معدلات ممكنة.. اقتلعت نيرانهم كل شىء بعد أن تساوى أمامها الانسان والجماد.. وهوت داناتهم على كل مافوق الكتيبة فلم تذر على الأرض مايمكن أن يظل باقيا.. كانوا يطلقون نيرانهم ليس بهدف اسكات النيران الهزيلة أو احتلال مواقعنا الكبيرة

■ الاجتياح ■

وإنما للانتقام والازالة بعد أن توحدت الأجساد بالأرض.. وتمسك الرجال بمواقعهم.. اختلط ترابها بدمائهم وامتزجت رمالها بأشلائهم.. تحركت دبابات اليهود تعيث في موقع الكتيبة الدمار وتلحق بها الوابل والخراب.. سالت الدماء الطاهرة فوق كل ربوعه.. وتناثرت الاشلاء الكريمة في كل أرجائه.. استشهد الرجال بالمئات.. ولم يبق منهم أحد سليما إلا من أنقذه الله من هذه المذبحة الشيطانية.. لم يكن بالمعركة أى تكافؤ.. فقد تضاعفت المدرعات التى هاجمت موقع الكتيبة عدة مرات عن الاستنتاجات التى استطلعها الضابط شوقى ومن بعد رستم.. ولم تجد أمامها أى مقاومة تذكر.. تضاءلت المدافع المضادة للدبابات العشرة وبعض الاربيجيهات الضعيفة أمام السيل المنهمر من المدرعات والآليات والمدفعايات وقوافل اللهب اليهودية.. ولم يبق أمام رجالنا إلا أن يقاوموا زحف الدبابات بنيران أسلحتهم الصغيرة وبزجاجات المولوتوف الحارقة التى أعدوها لهذه الليلة المشئومة.. ثم بعد أن فرغت مقاومتهم.. تلقوها بصدورهم وأقنعتهم.. لم نلمح رجلا يجرى هربا.. أو يصرخ هلعا أو يلطم جزعا انتزعوا وهم في أوج ضعفهم الاكبار والتمجيد من عدوهم.. ظلوا في مواقعهم وخنادقهم بعد أن سقطت كما تعلموا ليقاتلوا العدو المهاجم يدا بيد وبالقتال المتلاحم.. لكن عدوهم كان أجبن من ذلك بكثير.. فبرغم قوته وجبروته.. فبرغم جسامة وفداحة خسائر المصريين.. لم يحفل بقتل من تبقى منهم ولم يهتم بتصفية بعض جيوب المقاومة البشرية حتى لايعرض ثروته ورجاله إلى أى اصابات.. وكما داست المدرعات ساحة الكتيبة ٣٤٢ وأحالتها إلى بركة دماء وحولت جوها إلى فرن فسيح خرجت منه أبخرة الشواء للحوم البشرية النقية.. توجهت في طريقها إلى كتيبتى النسق الاول للقضاء على كل مابقى منهما.. لحظات قصيرة لكنها مرت كالجبال طويلة طويلة.. لم تستغرق المعركة عدة دقائق تحركتها دبابات اليهود وهى تطلق داناتها فتقع كالصاعقة على كل مااتلقاه أمامها فتعصف به وتحيله إلى

■ الاجتياح ■

ركام وأشلاء.. ولم تجد في طريقها مايبيطىء تقدمها أو يوقفه أو حتى يضعف دقة نيرانها.. صحيح أحدثت دانات المدافع المضادة للدبابات المصرية بعض الاصابات في المدرعات اليهودية.. لكنها لم تتوقف ولم تحفل بمساندة المصابين فيها أو اصلاح أعطالها وانما اندفعت بكل ثقلها لمحو كل مالمقيها من آثار باقية.. المعجزة وحدها هى التى أبقت على بعض الأرواح.. الأقدار وحدها هى التى سمحت لبعض الأنفاس أن تستمر.. عناية السماء هى التى شملت بعض الرجال بالصون.. وحتى هؤلاء لم يصدقوا أنفسهم فظلوا يتحسسون أجسادهم ويضمضون جراحهم ويجرون أقدامهم يستحثوها على السعى لكن إلى أين وإلى متى؟ لم يكن من الصعب عليهم أن يتبينوا فداحة الخسائر وقطاعة المذابح وانهيار الأمل وتداعى الرجاء.. ضاع كل شىء ولم يبق شىء.. هذا هو الرائد رمسيس.. ممددا بجوار مركز قيادة الكتيبة وقد تحول إلى كتلة من الدماء ليس بها أى ملامح أو عظام.. وهذا النقيب سيد عبدالغفار الجسد الطاهر البدين وقد تناثرت أشلائه وتبعثرت أعضاؤه وهذا النقيب سيد ياسين لم يبق من ملامحه إلا قم مفتوح وقد كان لايفتحه وهو حى.. لم يعد باقيا من مساحة الكتيبة الشاسعة مترا واحدا إلا وغطت رماله الدماء.. وقبعت فوقه الأطراف والأذرع والأقدام.. الوحيد الذى لم يظهر له أثر في هذا المعترك الكئيب هو العقيد عاطف قائد الكتيبة لم يبق له وجود لاهو ولاسائقه وعربته الجيب.. تحركت الفلول البشرية القليلة الباقية والتى لم تتعد أصابع اليدين بفطرتها وبغريزة حب البقاء نحو ساتر يعصمها من النيران الهادرة.. ووجهتها أقدامها إلى جبل لبنى القريب جدا من جانبها الأيمن.. تحولت أحجار الجبل إلى أطواق نجاة لمن تبقى من الرجال تحميمهم من الدمار والنيران.. تسلقوا مطلع الجبل واستتروا بأحجاره وتحصنوا بصخوره.. وجاءت الدبابات اليهودية تلاحقهم وصبت نيرانها على الميول الأمامية بالجبل فأحالت سواد صخوره إلى حمرة داكنة وتولت نيران مدافعها تسييح

■ الاجتياح ■

المعادن الكامنة فسال الحديد من بعض الأحجار واختلط سائله ببعض الدماء التى أريقت من الأجسام الطاهرة التى أصيبت.. لم يمكن الميل الحاد للجبل المدرعات اليهودية لتكمله مطاردتها للرجال الناجين فتوقفت هى وأكملت الطائرات الهيل التى أتت على عجل لمساندة معركة قواتها الأرضية مهمتها فى المطاردة باصرار غريب وكأنها تود إزالة أى آثار حية انتقاما من جيب المقاومة العنيد الذى أجبرها على تأخير معركتها يوما وليلة وكلما انتهت غارة جوية تنفس الرجال المحتمين بالصخور الصعداء.. وابتعدت أجسادهم قليلا عن حصونها وأذرعهم قليلا عن أحضانها وخفقوا من عناقهم للأحجار إلا وعادت طائرات اليهود من جديد تغير عليهم فيعاودون هم الالتصاق بالصخور والتوحد بالأحجار.. ظل الرجال على حالتهم هذه طوال نهار ٦ يونيو المشئوم.. مر عليهم كأطول نهار فى التاريخ.. الطائرات لاتتوقف والغارات لاتقل.. والخسائر تزيد وتتعاظم.. والدماء تسيل وتغطي الجبل بعد أن فاضت بها ساحة الكتيبة من قبل.. استشهد المئات من رجال الكتيبة ضباطا وجنودا لم تفرق النيران بينهم.. إنهم كثيرون.. لايمكن احصاؤهم.. ولم يكن بالمقدور تبيان الناجى من المستشهد بل لعل شوقى نفسه لم يستطع أن يعرف كيف كتب الله له النجاة.. كل مابقى بذاكرته أنه ظل يطلق نيران أحد مدافعه من قلب المعركة وداخل بؤرة النيران والدمار حتى توقف.. نفذت ذخيرته فتوجه إلى العربية بجوار موقعه ليحصل على كمية إضافية من الذخيرة التى كانت «مشونة» فيها وقبل اقدام من الوصول إلى العربية لحقت بها دانة مباشرة احوالها إلى كتلة متفجرة انبطح أرضا وراح فى غيبوبة كاملة لم يدر معها كيف مرت بجواره دبابات اليهود دون أن تعبأ به ظنا أنه مات أفاق شوقى من اغماؤه فتذكر الصورة القاتمة التى كانت حوله بعد زوال الغيبوبة، أشلاء وأعضاء غطت المكان بالكامل.. دماء سالت هنا وهناك.. مدرعات اليهود تطلق نيرانها بلارحمة فى كل مكان.. لم يكن

■ الاجتياح ■

أمامه سوى الصعود مع بعض رفاقه إلى جبل لبنى.. وتكلمه نهاره الطويل في الاحتماء به والافلات من نيران طائرات الهيل اليهودية.. ترمى إلى سمعه وهو في هذه اللحظة كلمات القائد الذى فى السرداق فأوقف شريط الذكريات وهو يردد.. «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين» «صدق الله العظيم» أخذ شوقى يخلق فى جموع المعزين وهى خارجة من السرداق ترتسم على محياها آيات الحزن والأسى وبعضها يزرف دموعا ساخنة وهو يصافح شقيقه بالذات.. أما شقيقه فلم تقو قدماءه على حمله فأجلسوه بعد أن أصر على البقاء فى واجهة السرداق حتى آخر أنفاسه مهما كابد من مشقة وجهد.. فجأة انتبه على وميض مصباح شرفة منزله عبث به أحد أبناء شقيقته فانعكس نوره على وجه بعض السيدات المتشحات بالسواد يولولون ويككون.. رباه ما هذا الذى يراه انها أمه وقد توسطت الجميع إنها ملامحها ووجهها الذى طالما قبله.. جبهتها التى طالما لثمها .. وجنتاها اللتان طالما توردتا خجلا أمام أى موقف.. مقلتاها الواسعتان أحمرتتا من البكاء.. الدموع تنساب على خديها تعلن عن جزعها وفداحة مصابها.. أحمدك يا الله أشكرك يارب.. إنه يستطيع الآن أن يرتقى فى أحضانها ويبتها أشواقه ويقص عليها آلامه ويحكى لها قصته منذ أن غادر المنزل وهى تودعه وماصادف من أهوال وعاش من مخاطر.. ولكن وآه من كلمة لكن.. كيف له أن يعبر هذا السرداق الضخم وهو على هيئته الرثة وأثماله غير المهندمة.. ومن ياترى المصاب الذى سبب لأسرته كل هذه المأسى.. لا بد أنها إحدى شقيقتيه.. نعم هى هى بعينها زوجها بجموع شقيقه.. وعلى محياهما نفس آيات الجزع والأسى المرتسمة على وجهه ولكن مرة أخرى إن ملامح الأسى محفورة على كل الوجوه.. مسطورة على كل من فى السرداق.. شباب.. جيله من يعرفه ومن لايعرفه الكل متأثر لوفاة شقيقته إن بعضا منهم لم يفادر

■ الاجتياح ■

السرايق عندما فرغ القاريء من تلاوته .. إن كثيرا منهم نهض واقفا وشارك في تلقى العزاء وكأن الفقيده شقيقته.. ترى هل غيابه لمدة شهر في سيناء يولد بين الناس هذه المشاعر الطيبة؟ هل هذا الغياب كفيف بإذابة الفواصل وتقريب الفوارق وتلاشى المسافات. إنها الحرب ورب ضارة نافعة.. لم يكن له أن يلقي هذا التعاون والتكاتف والمساندة ما لم يشارك في معركة الشرف مع كتيبته كان معه كل الحق عندما أصر على مغادرة المستشفى والمشاركة في مهام القتال مع رجاله وتناسى أوجاعه وآلامه.. شكرا لك يارب .. أه يأماء اهتز بدنه هذه المرة وهو يريدها انه يستطيع أن يعدو نحوها وينهل من حنانها بعد أن زلزله فراقها.. لن يفارقها دقيقة واحدة بعد الآن.. لن يترك مابقي من عمره إلا وقد التصق بها بعد أن شرب مرارة فقدتها وقبل أن يطلق لساقيه العنان متوجها نحوها تذكر أنه لا يستطيع أن يجرى على الجروح التي ملأت قدميه وساقيه حتى ولو لم تكن فكيف له عبور السرايق الملعون.. أصبح السرايق أشبه بالموانع التي يتعذر عبورها أيام كانوا طلبة في الكلية الحربية.. مرة أخرى وجد شوقي نفسه وقد شرد ذهنه في اجترار شريط الذكريات لكن بشيء من الأمل و ببعض التفاؤل انقشعت الصدمة التي هزته لفقد أمه.. ومهما كانت آلامه وأحزانه على وفاة شقيقته فهي أقل بكثير.. ترى أى شقيقتيه التي توفيت.. الكبرى التي تشبهه في بياضها وشعرها الأصفر أم الصغرى التي على عكسه تماما بسمرتها وعينيها السوداوين.. لم يسعفه فكره في المفاضلة.. ولم تقو ذاكرته إلا على العودة من جديد لتخيل ما أصبح عليه الرفاق بعد أطول نهار في التاريخ.. نهار السادس من يونيو عقب أن انتهى من تنظيف منطقة رئاسة الكتيبة من كل مظاهر الحياة.. لم يبق على أرضها شيء ينبض.. أحالت النيران كل ماهو حى أو متحرك إلى سكون.. إلى رماد .. إلى موات هدا هدير المدافع.. سكن أزيز الطائرات.. صمتت أنات المصابين بعد أن توقفت الأنفاس.. وصعدت الأرواح إلى بارئها تعلن عن استشهاد

■ الاجتياح ■

المئات.. غلف المكان سكون قاتم ووحشة مخيفة.. خيم الظلام على الجبل فحول أحجاره إلى أشباح.. كل حجر يخفى خلفه شبعا للموت.. إن الموت يتعقبهم منذ الصباح يأبى إلا أن يقبض أرواحهم ويكتم أنفاسهم قبل أن ينتهى مروره على هذه المنطقة الخراب.. كيف له أن يفلت من قبضته وقد سيطر بها على كل رفاقه.. لم ينج منهم أحد.. حتى الضابط محمود الذى استلمه حديثا قبل الحرب بأربعة وعشرين ساعة فقط لم يفلت من لقاءه.. كم كان يأمل فى أن يصنع منه ضابطا ممتازا.. كان يرى فيه خليفته فى قيادة سرية الرشاشات لوأن العقيد عاطف صعد له لتولى قيادة إحدى السرايا المشاة.. أبدى بعض ملامح الشجاعة وظهر عليه بعض سمات الجراءة المبكرة.. اقتنصه صلاح لتدعيم سريته بعد أن تحولت إلى سرية المجهود الرئيسى لمواجهة اليهود الذين قدموا من الخلف أحس شوقى لحظة وداعه أنه وداع بغير لقاء.. وغيره وغيره من الشهداء الأبرار.. يتذكر من أو من أو من.. إنهم جميعا رفاقه بينهم أخوة لا يمكن أن تنقسم عراها - ذكرياتهم محفورة بذهنه.. له مع كل منهم موقف.. وبينه وبين الجميع وشائج قوية لا يمكن للأيام أن تمحوها.. سيظل يذكرها أبد الدهر أنتفض شوقى مذعورا وأفاق من غفوته عندما شعر بيد تربت على كتفه دون أن يسمع وقع خطواتها.. وقبل أن يهب للتحرك دفاعا عن نفسه رأى ابتسامة وديعة ارتسمت على وجه مألوف لم يفارقه منذ أن تسلمه ضابطا مستجدا بمسرح عمليات اليمن إنه النقيب صلاح حسين.. يا الله.. ليس بعيدا على قدرتك يا الله أن تحفظ صلاح وسط هذه الحمم ومن هذا الجحيم المستمر لم يكن صعبا على عناية السماء التى كتبت له أنفاسا أكثر وعمر أطول أن تبقى مصانا وسط هذا الدمار وهذه النيران.. لقد رآه والدبابات تعبر فوق خندقه.. انه لم يجبن ولم يترك رجاله بل كان أمامهم وليس بينهم.. انها عظمة الخالق يهب لمن يشاء الحياة.. يمنح لمن يشاء الاستمرار ويكتب للآخرين الشهادة.. ليت الناس يؤمنون بأنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله

■ الاجتياح ■

لهم وعليهم.. تبادل الاثنان حديثا هامسا.. كيف انجاهما الله.. وكيف التقيا بعد تفرق لم يكن له نهاية.. أمنا أن الله قد يجمع الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيا.. وهما على حالهما الهادئ سمعا وقع أقدام آتية من قمة الجبل.. رباه.. اليهود اسقطوا مظلات لتعقبهم أما لهؤلاء اليهود من رادع.. ألم يحن بعد موعد استرخائهم.. منذ انبلاج الفجر وهم يعملون مدافعهم ونيرانهم بلا توقف.. ويحصدون أرواح المصريين ويلحقون بهم الدمار دون شبع.. وبعد كل هذا يتعقبونهم وهم فوق الجبل بمظليين بعد أن توقفت طائراتهم ودباباتهم عن الحركة.. اسرع سلاح وشوقى في التحصن بسائر واعداد سلاحهما للاستعمال.. لامناص أمامهم إلا الدفاع عن النفس مهما كان فارق القوة بينهما.. المظليون اليهود على درجة عالية من الكفاءة ومزودون بإمكانيات كبيرة من النيران.. ومع ذلك لن يظلا صامتين ولن يموتا خائفين.. إذا لم يكن من الموت بد.. فليس أقل من إصابة نفر منهم قبل أن يلحقا بالرفاق وقبل أن يطلقوا نيرانهم في مواجهة العدو المترجل القادم.. استمعا إلى صوت مميز طالما استمعا إليه من قبل.. انه صوت همام ضابط استطاع الكتيبة قادما مع بعض رجاله من أعلى الجبل.. وابتدرهما قائلا بعد أن التقيا ثلاثتهم.. رحمنى الله لوجودى فى أعلى جبل لبنى ارقب تحركات العدو.. أحسست بما أنتم فيه من خلال المحادثات مع العقيد عاطف والرائد رمسيس باللاسلكى كانا فى آخر محادثة لهما متوترين مضطربين.. ثم انقطع بيننا الاتصال.. أدركنا ماوقع للكتيبة ورجالها بعد أن شاهدت السنة اللهب تتصاعد وأعمدة الدخان الأسود تملأ.. وراحوا يكملون جوانب الصورة صلاح يقص وشوقى يتم له ما خفى عليه وهمام يترجم المشاهد التى ميزها من أعلى الجبل ولم يكن بمقدوره أن يتفهم معناها.. وهم على حالهم هذا انضم إليهم الملازم أمير السبكي ضابط السرية المضادة للدبابات ومعه رستم أحمد حسن أحد قادة فصائل السرية الثالثة ومعهما بعض الجنود ممن أنسوا للضابطين

■ الاجتياح ■

وتوخيا فيهما النجاة.. كان أقدمهم الرقيب عبدالخالق حكمدار احد المدافع ومعه زميله ويعد أن استعرضت المجموعة قائمة الشهداء التي ضمت كل رجال الكتيبة باستثناء من جلسوا يستعرضونها استسلم بعضهم لحالة الجزع التي سيطرت عليه من هول مشاهد وزرف البعض دموعا غزيرة على زملائه الشهداء.. وترك الجميع العنان لخيالهم ليجتز ماكان ويتذكر ماوقع.. وكان يجب على احدهم أن ينتشل الجميع من حالة الاسترخاء الكئيب الذي سادهم.. وجاءهم صوت النقيب صلاح منقلبا وموحيا لهم بأن يكفوا عن الخيالات وليواجهوا ما هو واقع.. فلتتوقف المشاهد والأحداث ولتقم بتقدير موقفنا وإعادة حساباتنا لمواجهة مانحن فيه.. وأردف صلاح قائلا.. إن الأمر جلل والخسائر فادحة.. ولا يمكن لنا مقاومة مايعترينا من حزن أو مواجهة مايعترضنا من آلم.. لكن علينا أن نتذرع بالصبر إذا كان لحياتنا قيمة غالية.. إذا كان لأهلنا حق علينا.. إذا أردنا العيش.. فلا بد من التماسك.. أما إذا قررنا فلن يكون لنا بقاء.. لم يضع صلاح وقتا ولم يترك لأحد أن يفكر في الأمر أو يناقش القرار.. لا بد من المقاومة.. لا بد من الاستمرار فالحركة كما يقولون بركة.. لكننا يجب أن ننظمها.. وتخضعها إلى ضوابط ومعايير .. بداية يجب أن تكون على قلب رجل واحد وأن نعمل يدا واحدة ، إن أماننا أهوالا وأخطارا لا قبل لنا بمواجهتها ولا يمكن أن نخطر لنا على بال.. هكذا اتفقت قلوبهم وأعينهم قبل أن تنطق السننهم.. وكان على همام أن يعقد البيعة لصلاح وأن يسلمه قيادة المجموعة.. فهو أقدمهم وأكبرهم سنا وأكثرهم خبرة.. وأقسموا صامتين يمين الولاء والطاعة.. وتولى صلاح عصا القيادة وأنتد صوت المذيع - الذي أمسكه الرقيب عبدالقادر وبعث بمؤشر محطاته دون إرادة - صلاح من الحيرة التي انتابتة. جاء صوت المذيع مؤكدا استبسال القوات المصرية المرابطة في العريش وقدرتها على الصمود أمام العدو وتمكنها ومحاصرتها لبعض وحداته.. إنن هي

■ الاجتياح ■

البداية .. فلنوجه أنفسنا صوب العريش وتنضم إلى قواتنا هناك.. سيسعدون باستقبالنا.. بالتأكيد نحن اضافة لامكاناتهم النيرانية لن نكلفهم شيئاً.. لن نزيد أعباءهم ونثقل كاهلهم.. مطلوب منهم فقط بعض الأسلحة والذخائر وهى متوافرة لديهم.. وكان يجب على صلاح أن يخطرهم بنواياه وأن يشركهم بالرأى وجاءت موافقتهم على أولى خطواتهم بالاجماع.. وردد الجميع على بركة الله لم يضع الرجال وقتاً في استعراض التفاصيل في محاولة لاستغلال اللحظات المتبقية على طلوع الفجر لقطع بعض من المسافة التى تفصلهم عن موقع العريش وهى تبلغ حوالى المائة كيلومتر.. وحتى يتفادوا الحركة فى قيظ الظهيرة المحرق.. عليهم الاجتهاد فى السير .. شكلوا مجموعة مقاومة صغيرة توفر لها بعض البنادق الآلية ورشاشا خفيفا بعد أن أصر على الانضمام لهم ممن كانوا يعملون تحت قيادتهم وكتب الله لهم النجاة.. صحيح لم تكن لهذه النيران أى قيمة تذكر لوقورنت بنيران اليهود لكنها على الأقل توفر لهم الامان عند مواجهة الحيوانات المفترسة المتوقع لقاءها فى صحراء سيناء.. وعلى بركة الله نزلت المجموعة من قمة جبل لبنى فى اتجاه العريش.. لم تسلك الدروب الممهدة ولا الطرق المرصوفة وإنما سارت على الجبال وعبرت التباب والوهاد تفاديا لمواجهة مدرعات اليهود التى التزمت بالسير على الطرق والمدقات فقط خوفا من التيه الذى جاء فى كتابهم.. لم تكد المجموعة تقطع عدة أمتار فى طريقها نحو العريش حتى شعر شوقى بالآلام حادة فى ركبته.. تصادق مع هذه الآلام منذ انضمامه إلى الكتيبة لكنه وهو يكافح للحاق بالرفاق وهم ينزلون من قمة الجبل شعر انها فوق طاقة احتماله وانها لايمكن مصادقتها وعليه مواجهة أمرين لاثالث لهما.. إما مشاركة الرفاق مشوارهم الطويل نحو العريش مهما كابد من آلام وتحمل من أوجاع.. وإما التقاعس عن السير والتخلف عن المركب لمواجهة مصيره المجهول.. لم يكن الموت يشكل أسوأ الفروض المحتملة.. إنما شبح الاصابة والأسر ظل يخيم على

■ الاجتياح ■

مخيلته ويسيطر على أفكاره تجرع الآلامه في صمت وقرر فرض حالة من الكتمان على ما يواجهه من أوجاع.. لكن العرج الذى سيطر على خطواته فضحه أمام رفاقه وكشفه أمام زملائه.. كان أول قرار اتخذه القائد الجديد للمجموعة النقيب صلاح هو تكليف رستم بمعاونة شوقى على السير لكن أمير السبكي أبى إلا أن يكون المساعد الثانى لازمة شوقى.. واجتهدوا جميعا فى السير.. حاول شوقى اقناع مساعديه أمير ورستم بالتخلى عنه دون أن يشعر أحد من الرفاق.. فليس أمامه سوى التخلف عن المجموعة بعد أن تضاعفت أوجاع ساقه.. أنه لن يستطيع التكملة.. وعليه أن يفضل مصلحة المجموعة على مصلحته الشخصية.. «أشكر لكم أيها الأعزاء روحكما المتعاونة واخلصكما.. أنا شديد الامتنان لكما.. لكن الأمر لن يستمر على هذا النحو خاصة أننى أشعر أن المشوار ربما جاء طويلا على الأصحاء منكم.. فما بالكم وساقى اليسرى لم تعد صالحة تماما للسير.. إننى لايمكن أن أكون عالة عليكم طوال الوقت.. مواجهة الأسر والشهادة أفضل كثيرا على نفسى من أرهاقكما بهذه الصورة».. وجاء رد أمير السبكي حازما «فلتصمت يا شوقى.. إما النجاة لنا جميعا وإما الشهادة.. لم أنس لك أفضالك فى مواقف كثيرة.. يوم أخذت بيدي وأنا ضابط جديد عليكم باليمن.. كان من الممكن أن أتعرض لمحاكمة عسكرية تقضى على مستقبلى ووجدت منك الأخوة الصادقة التى انقذتنى والمشورة المخلصة التى وجهتنى.. وإذا كنا بصدد تعدد أعمالك وتقويم مآثرك وأفضالك علينا.. فهى لاتحصى فقد كان آخرها قبل أن تدخل المستشفى بساعات معدودة عندما تحملت المسئولية عنى أمام العقيد عاطف وكان يومها يود توقيع عقوبة شديدة على بسبب عدم الإبلاغ عن عطل شديد بأحد المدافع يحتاج لاصلاح رئيسى وقلت أنت يومها انك كنت تحاول اصلاحه بمعرفتك عن طريق احد الضباط من دفعتك ولولاك لما اقتنع العقيد عاطف بسلامة موقفى».. وأكمل رستم قائلا.. إذا كان لابد لك مساعدتنا فلنقترح على

■ الاجتياح ■

التقيب صلاح تبديل مهمة مساعدتك على السير مع بقية رجال المجموعة كل ٢٠ كم لكن أن تتركك تولجه مصيرك فهذا مستحيل.. وأمام اصرارهما لم يجد شوقي بدا من السعى معهما والتخفيف عنهما مع مواجهة الألام الحادة.. ومضى ركب الرفاق ومازالت أذهانهم مشغولة بالأحداث الجسام التي مرت عليهم ولم تخطر لهم على بال.. ارتسمت بخواطيرهم صورة رسمتها بعناية ريشة فنان مکتئب متعطش للدماء التي تناثرت في كل الأرجاء.. دماء وبخان واشلاء ووميض انفجارات وضحايا وشهداء.. ترى هل تتكرر المأساة في العريش أم يجدون فيها معطيات أفضل يستطيعون بها رد الاعتبار والانتقام؟.. لا بد من الثأر هناك.

أول الشهداء

حملق شوقى فى السرادق وهو قابع فى مكانه بالردهة المظلمة.. ارهف سمعه فتنأهى إليه صوت القارئ وهو يردد الآيات القرآنية البليغة.. «وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير» تحسس ساقيه والجراح التى امتلأت بها.. ومرت يده على ركبته المعتلة الذى لم يتصور أحد من رفاقه أنه سيكمل بها المشوار الذى قطعته والذى زاد عن مئات الكيلومترات.. ونظر إلى أثمانه غير المهندمة التى تعوقه عن تبديل موقعه مع شقيقه الذى خارت قدماه فلم تقو على حمله فأجلسوه عنوة وأجبروه على تلقى العزاء وهو على مقعده حتى يده اليمنى مدها دون إرادة فى ضعف واضح لم يتمكن خلاله من مصافحة جموع المعزين فتركها دون مشاركة فعالة فى المصافحة.. لوائه تمكن من تعديل هيئته ولولا أثار الجروح وآلام الاعاقة بركبته لكان بمقدوره أن يتناوب مع شقيقه واجب العزاء.. أو على الأقل منحه قسطا من الراحة يسترد فيه أنفاسه ويجدد نشاطه ويستعيد بعضا من قدراته.

عاد شوقى أدراجه إلى اجترار ذكرياته المؤلمة بعد النهار الأسود الذى مر عليه كأطول نهار فى التاريخ.. نهار يوم السادس من يونيو الكئيب.. ولم يدر لماذا صعد إلى مخيلته مشهد الرقيب فاروق أول شهداء الكتيبة

■ أول الشهداء ■

وهو مدرج بدمائه بجوار مدفعه.. عيناه شاخصتان جاحظتان.. وملامح وجهه جامدة لاتعبر عن معاناته من آلامه القضيعة.. لم ينطق فاروق إلا بكلمات قليلة أوصى فيها شوقى بأولاده خيرا.. إنهم أمانة فى عنقك ترى أكان فاروق يعلم بشفاافية الشهداء إن شوقى سيكتب الله له النجاة من هذه المذبحة.. من مستنقع الدماء.. من أخطار الاصابة وأهوال الأسر.

أعدك يافاروق بأننى سأذهب إليهم وأشملهم برعايتى واحيطهم بعنايتى كما أبلغتك وأنت تلفظ أنفاسك الأخيرة.. أعدك يافاروق والله على وعدى هذا شهيد أننى بمجرد أن أسترده صحتى وأحصل على بعض الراحة وأطمئن والدتى وأرد لها ما فقدته من استقرار وما أصابها من توتر وقلق سأسارع فوراً إليهم وأذهب لمساندتهم والوقوف إلى جوارهم.

عاد بذهنه لتذكر الرحلة من جبل لبنى إلى العريش.. استمعوا فى البداية إلى تعليمات صلاح.. لاندري متى سنصل إلى العريش لننضم إلى قواتنا هناك؟

وماذا سنجابه فى رحلتنا من أخطار وأهوال.. لذلك علينا توخى الحرص الكامل فى التحرك واتباع الحذر الشديد فى اقترابنا من الطريق المرصوف.. وحتى تحركنا وسط التباب والوهاد لابد أن تكتنفه الحيطة حتى لانقع فى الأسر أو نتعرض للاصابة أو نفقد أحد عناصرنا.

كما يجب علينا أن نقتصد فى مواردنا المائية والغذائية على قدر المستطاع. أنا أعلم أنها محدودة للغاية ولا تكفى لاستخدام فرد واحد لهذه الرحلة الشاقة. لكننا بشيء من التدبر والتعقل نستطيع أن نجعلها تكفيها مدة رحلتنا هذه على الأقل.. وعلى الرقيب عبدالقادر أن يضاعف من كمية المياه التى معنا من خلال مبردات العربات المعطلة التى على سفح الجبل.. قد يكون عالقا بها بعض الصدا.. لكن مياه بصدا أفضل كثيرا من مواجهة الموت عطشا.. ومنذ تلك اللحظة تناول المياه يكون بغطاء الزمزية.. وليتولى شوقى عملية التوزيع فى الوقفات.. كما أن التدخين غير مسموح به إلا بأسلوب جماعى.. نحن جميعا ندخن

■ أول الشهاداء ■

ولا يوجد هنا إلا بقايا سجاثرنا فيما لو تجمع لما زاد عن علبتين فقط.. وحتى لانضعف أمام حاجتنا للدخان علينا أن نشارك جميعا في سيجارة واحدة.. ولنتناولها فيما بيتنا.

فرغ صلاح من القاء تعليمات التحرك للانضمام للمقاومة الناجحة في مواجهة اليهود بالعريش وكان على المجموعة أن تبدأ قورا في السير صوب مينائنا الساحلى.. إن بيننا وبينه نحو مائة كيلو متر.. وإذا كان الفرد العادى يستطيع قطع خمسة كيلو مترات في الساعة فاننا في مقدورنا قطع هذه المسافة في عشرين ساعة على الأقل.. علينا أن نجد في السير خلال السويقات الباقية من الليل لأن الجسم لايتعرض فيها إلى استنزاف كميات كبيرة من العرق وبالتالي لايتحتاج فيها إلى استعواض بعض من المياه التى نرفقها.

تقدم صلاح المجموعة حاملا القيادة الرمزية لها بصفته أقدم وأكبر الضباط سنا وبجواره الملازم أول همام وخلفهما بقليل شوقى وحوله أمير السبكى ورستم أحمد حسن.. اتخذوا من الطريق العرضى الذى يربط العريش بالنقطة مائة وواحد وستين على الطريق الأوسط منارا يهديهم في سيرهم.. لكنهم بمجرد هبوطهم من قمة الجبل وبدأوا في السير بمحاذاة الطريق وعلى مقربة منه داخل الصحراء وصل إلى اسماعهم أصوات محركات العربات والدبابات القادمة من اتجاه العريش ووجهتها صوب الاسماعيلية.. لم يكن من الصعب عليهم أن يتبينوا انها عربات ودبابات يهودية تمثل الانساق التالية للوحدات الغازية لسيئاء لكن كيف يتسنى للقوات المصرية بالعريش أن تحتفظ بقدرتها مع هذه الجحافل القادمة منها؟

كيف لها أن تبقى صامدة مع هذه الأعداد الهائلة من العربات المجنزرة والدبابات والمدافع ذاتية الحركة العابرة لحدودها المخترقة لنطاقها الدفاعى.. ربما اتبع اليهود نفس الأسلوب الذى اتبعوه مع كتيبتنا عندما اكتفوا بحصارها وقطع خطوط الامداد عنها ثم اختراقها في الوقت المناسب.. يجب ألا نفكر من الآن فيما عليه موقف العريش

■ أول الشهداء ■

حتى لا يخور تصميمنا على الوصول إليها والانضمام لقواتنا هناك. يكفينا التأكيدات التي نسمعها من المذيع بأن صمود العريش فرض على اليهود كثيراً من التنازلات.. وأن البطولات التي يقدمها الرجال انتزعت أعجابهم واحترامهم.. هل من الممكن أن يكذب اعلامنا؟ هل من الجائز أن نقلب الأوضاع ونبدل المعطيات الحقة.. وحتى لو كان هذا جائزاً، يجب ألا نقصد اصرارنا.. لسبب بسيط أنه ليس أمامنا سوى التقدم صوب العريش بعد أن واصلت قوات اليهود تقدمها وسيطرتها على مسرح عمليات سيناء بالكامل وفرضت سيادتها على كل شبر فيه حتى وصلت مع نهاية يوم الخامس من يونيو إلى مشارف القناة.. قطعت المجموعة نحو أربعين كيلو متراً ولم يلبث أن طلع النهار عليها وجاء صوت صلاح معبراً عن ذلك بالتوغل داخل الصحراء لمسافة أطول حتى لاتقع أعين اليهود علينا فيطاردوننا بعرباتهم ودباباتهم خاصة أن الأرض منبسطة والتربة متماسكة مما يساعد الحملات الميكانيكية على التوغل.. لكن عربات العدو ودباباته تتحرك على الطريق بأعداد غفيرة قادمة من العريش متوجهة نحو الاسماعيلية.. كيف إذن للعريش صمودها؟.. من تصدق.. كلام المذيع الذي لم يفتأ رجاله أن يعبروا بافتخار شديد عن قدرة وقوة رجالنا الصناديد بالعريش.. أم أعيننا التي ترى جحافل مصفحات وآليات اليهود القادمة من هناك.. ولم لا إن التوازن بين هذا وذاك جائز.

ولم لا وقد يكون اليهود قد كرروا فعلتهم مع كتيبتنا بحصارهم للعريش أنهم تقليديون لا يغيرون تكتيكهم ولا يغامرون بثروتهم البشرية.. ولذلك فلربما لحقنا بقواتنا هناك لتدعيم امكاناتهم قبل أن يتم اختراقها.. وإذا كانت الشهادة قدر محتوم ومكتوب علينا.. فلتتحق بنا في العريش.

واصلت المجموعة سيرها صوب العريش واستغرقت الرحلة ساعات النهار الطوال دون توقف.. من السادسة صباحاً وحتى قرب العشاء.. ورغم عناء السير في قيظ الظهيرة لم يشأ صلاح أن يوقفهم لنالحق

■ أول الشهداء ■

بمقاومتنا هناك.. لتتضم إليهم قبل أن يفقدوا قدرتهم على الصمود وتختف قدرتهم على الاستمرار.. كان كل فرد في المجموعة يمتن نفسه بلحظة رد الاعتبار أو على الأقل الانتقام وليس الثأر.. الثأر لن يكون إلا بالنيل منهم كما نالوا من شهدائنا بإيقاع الخسائر بينهم كما أحدثوها في كتيبتنا وقواتنا.. ولن تمكنا نيراننا من الثأر للعدد الكبير من الشهداء وأحداث الخسائر بالصورة التي أوقعها اليهود في صفوفنا.. كان يقطعون الروابي الصغيرة وهم يمنون أنفسهم بقرب لحظة الوصول مع انتهاء كل تبه لكن التباب تتوالد وتسلم كل منها للتبه التي خلفها.. الصحراء كالبحر تماما.. والتباب فيها كالأمواج في المحيطات لا نهاية لها ومع كل تبه تنتهي المجموعة من قطعها تنتظر الفرج خلفها لكن المشوار طويل والمسافة بعيدة أنها مجرد مائة كيلو.. وقد يأتى الخلاص هناك.. ربما استطعنا أن نستعيد تماسكنا ونعيد تنظيم صفوفنا وإيجاد التوازن المفقود بيننا منذ أن فقدنا قدرتنا على المقاومة في نهار السادس من يونيو الكئيب.

ومع الغروب.. وقبل أن تختف أشعة الشمس وهى تميل في الشفق.. ومع احمرار ضوئها الذى ينعكس على الأشياء فتتوهج وتتألأ كأنها كواكب درية لاحت العريش للرفاق.. لاحت بمآذنها ومبانيها.. بدت بأقبيتها ونواديها ظهرت بطرقاتها ونواصيها.. إنها العريش كما هى وكما زارها البعض في الأيام الثلاثة الأولى من يونيو لشراء بعض مستلزمات الكانتين من أطعمة ومشروبات.. لم يلمح الرفاق تغييرا أو تعديلا فيها.. لم يستبينوا أى مقاومة تذكر.. أرهفوا السمع وأنصتوا.. ربما جاء صوت الطلقات من هنا.. وربما جاء من هناك.. لكن عثا لم يتبينوا مايدل على وجود مقاومة.. لقد خدعتنا الكلمات الحماسية التى ترامت على عواهنها من المذيع.. نفس ماحدث واكتشفوه عندما كذب اعلامنا في تحديد عدد الطائرات التى اصبتها والدبابات التى دمرناها والقوات التى أهلكتها لليهود.. لكن هذه المرة انعكس كذب اعلامنا علينا وعلى توجيهاتنا.. العريش ليس فيها صمود.. ولا فيها

■ أول الشهباء ■

مقاومة.. اليهود مسيطرون تماما على مقدراتها ويحتلون مرافقها ويتخذون من امكاناتها قاعدة إدارية لامداد جحافلهم التى توغلت فى سيناء واستقرت على مشارف القناة فى مواجهة المدن الساحلية الثلاث.. بورسعيد والاسماعيلية والسويس.

لم يكن من الصعب على الرفاق تكذيب كل ماتناثر من أقوال وشائعات.. اللواء الشاذلى بقوات اللواء الأول المشاة يحاصر فرقة يهودية ويستسلم فى نفس الوقت لحصار فيلق يهودى من الخارج ولايستطيع أحد أن يمسه بسوء خوفا على أرواح من يحاصره.. العميد فلان تقدم ببعض ماتبقى من قواته وحاصر فرقة مدرعة يهودية ويساومهم على سلامتها شريطة تركه يعبر القناة لينضم إلى المقاومة المصرية غربها.. انها مجرد شائعات أمل.. بالونات اختبار يطلقها البعض ليضاعفوا من غريزة حب البقاء وليزيدوا من اصرارهم على الاستمرار.. إن الجنود المرافقين للمجموعة يرددون هذه الشائعات ترديدا أجوف دون تفكير أو تعقل فيه مبالغة وتزيد إنها طبيعتهم والتى تتسم بالضحالة الفكرية والسطحية نظرا لقلة ثقافتهم وندرة تعليمهم.. لم يكن بين كل من رافق المجموعة من جنود من يحمل مؤهلا عاليا.. أو حتى لديه قدر ضئيل من الثقافة ولذلك فقد كان صلاح حاسما لتوقف عن ترديد مثل هذه الشائعات.. وتناقل مثل هذه الخيالات والتخيلات.

ولكن صرخاء مع أنفسنا.. واقعيين فى حساباتنا حتى لانستغرق فى التفاؤل ونمعن فى الأحلام فنصطدم بالواقع الذى قد يكون فيه نهايتنا المؤلمة.

ماخطوتنا التالية؟ وماوجهتنا؟ وماذا نحن فاعلون؟

كانت هذه الأسئلة تمثل اختبارا جديا شاقا لقدراتهم الفكرية التى خارت هى الأخرى بعد أن خارت قواهم البدنية.. الذهن المكود فى البدن المهدود والاجابة عليها تحتاج إلى مزيد من أجاله الفكر وامعان الذهن واجترار الخبرات والمعلومات.

■ أول الشهداء ■

لنجلس قليلا نسترد أنفاسنا ونفكر فيما نحن وماذا عسانا أن نفعل؟

قالها صلاح وترك جسده يسقط على الرمال بعد أن نال منه الإعياء وأضناه الإرهاق.. واستسلم بقية الرجال إلى حالة من الثبات للحصول على قسط قليل من الراحة.. لم يكن أمامهم سوى أمرين لاثالث لهما كلاهما له مرارة الحنظل.

إما قطع المسافة التى بين العريش والقنطرة غرب وهى تزيد على مائتى كيلو متر سيرا على الأقدام مستخدمين الليل ستارا والتباب والوهاد دروعا من هجمات مصفحات اليهود.

وإما التسليم والوقوع فى الأسر ومواجهة ماسمعه من فظائع اليهود مع أسراهم.. توجهت الأفراد إلى الله أن يمنحهم الهداية ويهبهم العون ليتخذوا القرار المناسب.. فقد أظلمت الدنيا ويات عليهم أن يواجهوا حلقات مغلقة ليس فيها بريق أمل أو بصيص نجاة.. لو أن اعلامنا تحرى الصدق واعتمد على الحقائق.. بدلا من التزييق والتتميق والتهويل والتهليل.. اقتصر كلام مذياعنا عن عدد الطائرات التى اسقطت.. والدبابات التى أحترقت.. والأرواح التى أزهقت.. وكل الاحصاءات والبيانات جاءت من بنات أفكار الرجال الذين لم يكلفوا خاطرهم متابعة وكالات الأنباء العالمية وهى تكشف زيف أقوالهم وتقضض وتعزى كذب افتراءاتهم.. واجهت مصر تجمعا أوريبيا أمريكيا.. تحالفت معظم الدول باستثناء الاتحاد السوفيتى ضدها.. وأوقعوها فى فخاخهم ونصبوا لها المصيدة اليهودية.

القبور الجماعية

لم تمض دقائق معدودات إلا وكان معظم الرفاق في سبات عميق.. وتعالّت أصوات «شخيرهم» تعلن عن الاعياء والارهاق الذى أصابهم بعد المشوار الطويل الذى قطعوه والذى يفصل موقع كتيبتهم - بعد أن تحول إلى ساحة فسيحة من الاشلاء والدماء - وبين ماكانوا يتوقعونه على مشارف العريش .. تلك المدينة التى طالما سمعوا عن بطولتها وتمنوا أن يتحصنوا بمواقعها ويقاتلوا مع صناديدها.. لكن هيهات لهم ماتمنوه .. لم يأت سباتهم نتيجة المشقة التى عانوها من السير لأكثر من مائة كيلومتر فحسب .. وإنما سيطرت عليهم حالة من الإحباط الشديد أثرت على أعضائهم بعد أن تمكنت من نفسياتهم ودمرت معنوياتهم.. والعضلات خائرة .. والعظام واهنة .. والنفس مقطوع .. لاشئ يشجع على المضى .. وكل المؤشرات والدلائل تقود إلى النهاية المحتومة السريعة .. وإن لم تكن بأيدي اليهود الذين جاسوا بدباباتهم وسحقوا بدروعهم الاجساد الطاهرة والأنفس النقية .. فستكون بفعل الجوع والعطش اللذين ليس لهما من علاج.

لم يستسلم شوقى للنوم برغم انه لم يكن في حالة أفضل من التى كان عليها رفاقه .. بل على العكس كان يعانى زيادة على معاناتهم من آلام ساقه المعتلة والتى تصاعدت لدرجة لم تعد محتملة ولعل تلك الآلام

■ القبور الجماعية ■

هى التى افقدته القدرة على النوم .. وظل راقدا لايهنا براحة ولاينعم
بمنام .. ترى ماذا يخبىء لهم القدر وأين ستكون النهاية وعلى أية
صورة ؟ أكتب لهم الفناء بعد كل هذه المقاومة وهذا الكفاح .. أم
يشملهم الله برعايته ويكلأهم بعنايته ويحقق لهم المعجزة التى تقودهم
إلى بر الأمان .. لكن أين الأمان الذى ينتشه .. ويحلم ببقائه .. لأمان مع
هؤلاء القتلة السفاحين .. حتى ولو استسلموا لشبح الأسر .. لن يسلموا
من نيران اليهود .. ستحصدهم قبل أن يدرجوا فى قوائم الأسرى كما
حصدت زملاءه فى صحن كتيبتهم عندما فقدوا كل قدراتهم على المقاومة
ومواصلة القتال .. ستكون نهايتهم أبشع من هؤلاء الرفاق بعد
مواجهتهم لآلام التعذيب والترويع فى معسكرات الأسر البغيضة التى
طالما سمعوا عن أهوالها واستعرضوا مع من سبقوهم ويلاتها.

وهو على تأمله هذا سمع شوقى أننا خافتاً أشبه بالفحيح .. ارهف
السمع ليتبين مصدره .. ويستوضح موقعه .. ونهض يستحث الخطى
للبحث عن صاحبه .. ولم يطل بحثه فقد رأى على بعد خطوات منه بقعة
حمراء قانية تنزف دما من فتحات كثيرة فى الجسد الممدد بلا حراك .. أنه
أحد المقاتلين وقد اخترق رداءه العديد من الطلقات وفى مواضع كثيرة
بالصدر والأذرع والقدمين .. لم يدر شوقى ماذا يفعل ولاكيف
يساعده .. حاول خلع سترته وتمزيقها لربط مواضع النزف فى محاولة
ساذجة لايقافه .. وضمه إلى صدره ليستنهضه ليعاونه على التنفس ..
وأشار له المقاتل بأن هدىء من روعك فالحالة متأخرة ولا أمل فى
البقاء .. خيم الموت على كل أوصالى وانتشر فى معظم اعضائى .. لكنها
أنفاس تطلع وتدخل إلى أن يقضى الله أمراً كان محتوماً .. وارتسمت
على محيا شوقى تساؤلات عديدة وهم أن يطلق استفسارات كثيرة لكن
الاعياء والتداعى الذى بدا عليه الزميل أمات الكلمات على لسانه ..
وخرج صوت صاحبنا وكأنه حشرة الموت .. قال أنا جندى فى وحدة
المياه المتمركزة فى بئر الحمة على أطراف الطريق الواصل بين الحسنة
والعريش .. لم يكن لنا قبل بمقاتلة جحافل اليهود الهادرة ... ولذلك

■ التقيير الجماعية ■

عندما علمنا بسقوط العريش وطالعتنا بؤادر دباباتهم قادمة في اتجاهنا.. بادرنا برفع الاعلام البيضاء فوق عربات القنطاس دليلاً على استسلامنا وإذعاناً لفارق الامكانات الهائل بين وحدة إدارية متمركزة خلف خطوط المواجهة لامداد القوات بالمياه وبين جيش جرار بعدته وعتاده .. وتصورنا الاعلام البيضاء ستحمينا من نيرانهم.. وتوقعنا ان يكتفوا بأسرنا والزج بنا في معسكراتهم الشاسعة.. وصمت الرجل برهة وكأنه يناشد أنفاسه أن تسعف ليحكي لزميله قصته وينقل تجربته مع هؤلاء القتلة والسفاحين وأكمل بصوت أبطأ تردداً وأخفض إيقاعاً وأوهن نبرة.. لقد تصورنا أن استسلامنا سيهب لنا الحياة .. ولم يكن من اليهود إلا أن تركوا أمام وحدتنا دبابتين عليهما مدفعان رشاشان وأمرونا من خلال مذياع صغير بالاصطفاف على شكل قطارين بين كل منا وجاره طول ذراع واحد .. ثم فتحو علينا نيرانهم فسقطت كالحمم المتأججة أرواحنا .. وتريق دماءنا وتزهق حياتنا .. نعم وحدتنا التي زاد عددها عن المائة فرد لم يبق منها سوى أشلاء وجثث ودماء تسيل هنا وهناك.. كان نصيبى أن يسقط أحد زملائي على جسدى فما وقعت رصاصاتهم في مقتل .. وإنما أصابت مواضع أخرى .. ورحت في غيبوبة لحظية لم أفق معها إلا وقد انتهى المشهد المأساوى الحزين.. زملائي القادة والجنود نالوا جميعاً الشهادة .. ومازالنا أنفاسى تتصاعد وحاولت قدر طاقتى بما تبقى لى من حركة أن أرحف لألتمس النجدة وابتعد قليلاً عن الدماء الذكية التى غطت مساحة كبيرة من ساحة سريتى .. وكنت أغيب عن الوعى لسويغات .. وافيق للحظات حتى أدركتني أنت وأنا على هذه الحالة المتهالكة.

وناشده شوقى أن يتماسك وليشير عليه كيف يساعده .. ويوجهه فى محاولة أخيرة لانقاذه .. لكن مقاتلنا قد أصبح على مشارف المحطة الأخيرة.. زأغت عيناه .. وسكنت خلاياه .. وانخفض نبضه .. وسارت فى جسده زرقة داكنة .. وفى جسمه برودة خامدة .. وقال لشوقى كلماته الأخيرة قبل أن يلفظ أنفاسه اللاهثة أوصيك أن تخبر أمى بنبا

■ القبور الجماعية ■

استشهدى حتى لا تنتظرني طويلاً مع أطفالي وزوجتي .. فأنا من قرية عين غصين بالاسماعيلية واسمى محمد النحال كما أناشدك أن تواريني التراب حتى لا يكون جسدى نهباً للسباع والضباع والجوارح.. أنا أعلم أنك متهاك من قرط التعب .. لكننى لى عليك بعض الحق .. قريباً عاونك الله فى محنتك القادمة .. وأنجأك من المهالك التالية التى لا بد لك من عناية ربانية على مواجهتها .. وإن تمنحك السماء التوفيق لتساعدك على اجتيازها .. وماهى إلا لحظات قليلة استغلها شوقى فى أن استلهمه نطق الشهادتين فنطقهما الشهيد بصعوبة بالغة وفاضت روحه الطاهرة لتصعد إلى بارئها فى هدوء وتنتهى بذلك قصة بطولة لرجل شارك بقدر فى معركة بلاده ولم يكتب له البقاء حتى بعد أن أثر هو ورفاقه السلامة على الاستمرار فى المقاومة .. رحمك الله يا نحال وألهم ذوك وأهلك الصبر على فراقك.

تجرت الدموع فى مقلتى شوقى .. لم يكن محمد النحال هو أول الشهداء الذين سقطوا خلال الأيام القليلة التى مضت منذ بداية المعركة فى التاسعة من صباح الخامس من يونيو .. وبالتأكيد أنه لن يكون آخرهم .. قريباً سقط زملاء غيره خلال الساعات القادمة .. ان اليهود بين ظهرانينا ونحن وسطهم وبينهم وأمامهم .. أصبحوا خلفنا.. جاسوا خلال الطرق وعاثوا من خلال المدقات الممهدة ليقطعوا شبه جزيرة سيناء طولاً وعرضاً .. أصبح جيش مصر بقايا جيش.. بل هو اطلال جيش ، رفات مقاومات قليلة وصغيرة ليس لها أى قبل أو مقدرة على المقاومة واليهود يعلمون أن الانسان المصرى لا يئس ولا تخور قواه .. وإنما هى محطات يحاول فيها التقاط أنفاسه ليعيد تجميع قواه وتنظيم قدرته ويبدأ من جديد .. ولذلك فهم لن يفرطوا فى تدمير مقاومته الداخلية وبعثرة قدراته الذاتية .. ولن يتركوه إلا جثثاً متهاكة لا تستطيع البداية من جديد.

لم يضع شوقى وقتاً وتخلص من السحابة الفكرية الداكنة التى أظلت سماء لفترة قصيرة وبدأ فى تنفيذ الشق التالى من وصية

■ القبور الجماعية ■

صاحبه.. من يدري أيستطيع تنفيذ شقها الأول أم يبحث عن ثالث لتنفيذ الوصيتين؟ .. أخذ شوقى من خلال بعض العبرات الساخنة التي طفرت من مقلتيه في جمع بعض الأحجار وحفر بعض سنتيمات بطول الشهيد النحال ثم حمله بين ذراعيه وأنزله في مثواه الأخير بعد أن قرأ عليه بعض الآيات وغطى جسده الطاهر بالأحجار والرمال.

ترى أيقص على زملائه النائمين قصة الشهيد النحال ويخبرهم بما سمع وشاهد.. أم يصمت حتى لا تسرى في نفوس زملائه روح التسليم والاستسلام؟.. أن هذه الروح الانهزامية لم تصبهم للحظة منذ أن تجمعوا على الميول الأمامية لجبل لبنى عقب انتهاء معركتهم السريعة مع اليهود.. لكن مع استمرارهم في مواجهة تلك الأهوال ربما تسربت الى نفوسهم واجتاحت عزائمهم.. حمد شوقى الله على أن أحدا من رفاقه لم يستيقظ ويتابع هذا المشهد المأساوى وعاد ادراجه اليهم وتمم عليهم جميعا، يغطون في نوم عميق.. إنهم جميعا يستسلمون لمنامات وأحلام يتخيلون فيها أن الله منجيههم من هذا المأزق وبأسط عليهم رحمته وعنايته لاجتياز تلك المهالك.. وفي هدوء أسند شوقى ظهره على أحد الأحجار واستسلم لحالة من الكمون وأطلق لخياله العنان ليحتر ماشاهده في الدقائق القليلة الماضية.. ولم يستطع أن يحبس زفرائه ولا أناته وراح يذرف دموعا غزيرة ساخنة متأثرا بفقد أسرع صديق صادفه في حياته لم تدم صداقتهما سوى دقائق معدودة.. ورغم حالة الحزن والقتامة التى شملته في تلك اللحظات فقد قرر ألا يخبر رفاقه بأى شئ.. وكفاه هو ما ناله من دمار معنوى وتوتر نفسى.. وليترك الأمور على الله يصرفها كيف يشاء.

حب وحرب

١٨

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الشمس

الأفعى

استيقظ الرفاق فزعين من سباتهم الذى طال لعدة ساعات بعد أن هدهم الارهاق ونال منهم التعب على صوت فحيح عال لأحد الأفاعى الشرسة وهى فى وضع ماقبل الهجوم على فريستها وبسرعة عاجلها أمير السبكى بضربة قوية من دبشك أحد البنادق فأفقدتها توازنها وظلت تتلوى تحته .. كان أمير مستعداً للتعامل مع هذه الضواري من خلال خدمته لبعض الوقت بوحداث الساعة بانشاص قبل انضمامه لصفوف الكتبية .. وبمهارة فصل سنكى البندقية وقطع رأس الأفعى وكأنه يذبحها كما يذبح الطامى الدجاجات .. ثم غرز فى جسدها البدين (الحربى) وهو عبارة عن سيخ طويل بطول ماسورة البندقية يستخدم فى تنظيفها من الغبار العالق بها بعد اجراء الرماية سواء فى التدريب أو القتال .. هبوا أيها الرجال لقد رزقنا الله بوجبة دسمة تسد رمقنا وتعوضنا ما فقدنا .. والتفت المجموعة حول أمير وهو يقوم بشى الأفعى على النيران وتلذذوا بسماع صوت حبات الدهن وهى تسقط من الأفعى على النيران فتحدث نغماً طرياً على آذانهم يمنيهم بقرب تناولهم لجانب من الطعام الأدمى الذى حرموا منه لعدة أيام منذ ليلة الخامس من يونيو وحتى فجر السابع من هذا الشهر.. قسموا الأفعى بعد شيها على أنفسهم وحمدوا الله..

■ الأنعمى ■

اعتدل صلاح فى جلسته فى مواجهة الرفاق .. وبعد أن هنأهم على طعامهم الذى لم يجدوا له بعض قطرات المياه ليرووا ظمأهم بها .. قال لابد من استشارتكم قبل اتخاذ القرار الصعب الذى نحن بصدد .. ماذا تظنون أن نفعل بأنفسنا ؟ وأردف قائلاً وكان سؤاله الذى ألقاه لم يهدف منه سوى جذب انتباههم فقط .. لم يبق أمامنا مناص غير قطع سيناء بالطول فى اتجاه القناة إذا أردنا الحياة والاستمرار .. وهو مشوار طويل وشاق وإذا علمنا أننا سنقطعه سيرا فى القياق وليس على الطرق المهددة .. كما أننا سنسير حفاة بعد أن نتخلص من الحذاء الذى الرقبة الطويلة «الفيلد بوت» الذى يميز بين هيئة الضباط والجنود لكى لانعرض أنفسنا للأسر .. وجاء صمتهم ايماء على موافقتهم لمقترحاته إذن فليكمل تعليماته : إن علينا أن نسير بمحاذاة الطريق الشمالى الذى يربط بين مدينتى العريش والقنطرة ومسافته تقترب من مائتى كيلومتر ستزيد هذه المسافة طبعاً إذا كان تحركنا داخل الصحراء وتسلمنا التباب إلى بعضها فتضاعف ما نقطعه من أمتار .. لكن هذا أهون بكثير إذا كان سيوفر لنا الحماية من نيران ومواجهة العدو الذى يسعى إلى أسر من يواجهه من ضباط واستغل صلاح انصات الجميع له فى كلمة تعليماته .. قبل أن نبدأ فى السير لابد أن نعرف مهامنا خلاله.

القيادة الفعلية ستكون لهمام بحكم درايته وخبرته بعمليات الملاحة البرية الليلية واستخدامه لمعدات كاليوصلة مثلاً .. ومن ثم فعليه التقدم أمام المجموعة ومعه فى معاونته الرقيب عبد الخالق والجندي زكى .. بقية الرجال يسيرون مثنى وثلاثاً دون أن يسمحوا للمسافة بينهم أن تزيد عن عدة أمتار حتى لانفقد ترابطنا أمام المواقف المفاجئة..

شوقى سيتولى مهمة العلاقات العامة فى التعامل مع العربان الذين ربما لاقيناهم فى الطريق أما أمير فسيقوم بالمهام الصعبة التى ترتبط بالقتال كالتعامل بالنيران مع أفراد اليهود المترجلين أو حماية المجموعة ضد الحيوانات المفترسة وسيقوم رستم بتناوب المهمة معه.. لم ينس صلاح فى نهاية تعليماته أن يصدر أمراً بالتخلص من «الفيلد بوت»

■ الأفعى ■

وكذلك تبديل الملابس الداخلية مع زملائهم الجنود إمعانا في عمليات التمويه ومحاكاة الجنود في هيتهم تقادياً للأسر.

قذف شوقى حذاءه وكاد ييكىه ألما وحسرة حيث ذكره بزميله جابر الذى تطوع وقام بصنعه له عمولة في مدينة فايد التى اشتهرت بصنع هذه الأحذية الخاصة بالضباط من مواد خام تتوافر لهم من بقايا كاوتش الطائرات المنتشرة في كبريت وكسفرية والاسماعيلية .. ترى ما مصير زميلهم جابر .. لابد أنه لقي المصير المحتوم ونال الشهادة .. إنه كان على وشك الارتباط بحبيبته التى ظل يعاهدها على الزواج منذ تخرجا معاً من معهد التربية الرياضية بالاسكندرية والزهرية .. لكن الجندية أوقعته في الخدمة بالكتيبة وأخرته عن الوفاء بوعده مع حبيبته ريثما يستعد لذلك .. لكن ياصلاح أنا أستأذنك في عدم تبديل ثيابى برغم ترحيب فرغلى بذلك .. أنا لآستطيع أن ارتدى ثياب أحد حتى لو عرضنى هذا للأسر قالها شوقى وكأنه يرجو صلاح الا يعترض على رغبته لأنه لن ينفذ أوامر تبديل الثياب.

كانت العلاقة بينهما وطيدة تعود لعدة سنوات أمضوها في رباط وثيق .. وكان أقرب الناس إلى قلبه بعد همام الذى كان من دفعته لأنه تخلف عن التخرج مع صلاح بسبب تقصيره في الدورة النهائية بالكلية .. وجاء رد صلاح معبراً عن الاشفاق الذى لم يكتف بالسير على ساقه العاجزة قرابة المائة كيلومتر .. بل هو يستعد الآن لقطع ضعفها .. فليمنحه الله التوفيق ولتساعده على مواجهة هذه المهمة الشاقة ونخفف عنه بعض أعبائه إذا كان هذا بالمستطاع .. لك ما تريد يا شوقى ولا عليك حتى من التخلص من القيلد بوت إذا كان سيساعدك على السير لكن شوقى كان أكثر المستقيدين من إلقاء الحذاء الذى كان يصعب من مهمة نقل ساقه في كل خطوة يخطوها وليكتفى بلبس الجورب حتى لا تتورم أقدامه بفعل الاحتكاك والتأثر بحبات الرمل خاصة وقت القيلولة التى تصبح فيها الرمال وكأنها جمرات حارقة تشوى وتلفح الجلد بلهيبها وحرارتها العالية.

■ الأفعى ■

قبل أن تبدأ القافلة في السير تذكر شوقى أول عقاب توقع عليه في الكلية الحربية وهو طالب مستجد .. لم يكن الوحيد في تنفيذ العقاب بل شاركه فيه كل زملائه في المحاضرة .. كانوا ينصتون باصغاء إلى النقيب محمد عبدالرازق زهرة مدرس مادة التكتيك .. وكانت المحاضرة تتحدث عن الفصيلة المشاة في المعركة الدفاعية .. أفاض المحاضر في شرح الدرس ثم اضطر للخروج عن بنوده للإجابة على أحد الأسئلة .. وقال في معرض إجابته إنه كان له الشرف في المشاركة في حرب ستة وخمسين .. وأنه قطع مسافة مائة وخمسين كيلو مترا بين أبوعجيلية والاسماعيلية سيرا على الأقدام ... وهنا صدر عنا صوت ونحن نكتم ضحكنا بعد أن تخيلنا أن الرجل بالغ في ذكرياته .. ولم يكن من النقيب زهرة سوى أن منحنا جميعاً طابور زيادة إداره بنفسه وأضاف إليه بعض صنوف العقاب أمثال العدو والزحف وغير ذلك من أمور «عكنة» عهدناها بعد ذلك في طوابير الزيادة بالكلية .. لم يكن النقيب زهرة يبالغ .. ولم يقم بتقليد خفيف الظل أبولعة .. وإنما نقل إلينا خبرته الفعلية وتجربته الشخصية لكننا في هذه السن كنا غير مؤهلين لتلقى أية خبرات قد تعرضنا للعقاب .. أما الآن وبعد أن قطعنا في أول وثبة من جبل لبنى للعريش مائة كيلومتر .. ومن يعرف كم ستكون المسافة التي نحن بصدد قطعها الآن .. والمدة التي سنستغرقها فيها .. والأهوال التي سنواجهها وهل يكتب الله لنا النجاة أم سنلقى الشهادة وننعم بجنة الخلد مع الصديقين. فلنتوجه إلى الله بالدعاء أن يجنبنا الأسر وأخطاره ويبعدنا عنه ويبعده عنا لأن مانعرفه عنه يجعله في المرتبة الأولى من بين أسوأ ماقد يلقاه المقاتل خصوصاً إذا كان الطرف الآخر من اليهود الذين لا يعرفون الموائيق ولا يعترفون باليهود ولا يراعون الضمائر ولا يحافظون على الانسانيات ولا يعبأون بالذاتية والكرامة الشخصية..

تقدم همام الرفاق وقال وهو يبذل بعض الجهد ليصل صوته إلى أسماع كل الجنود ربط الاتجاه على البوصلة وسأهتدى في قيادتي لكن ببعض المجموعات النجمية أمثال مجموعة كاثيوبيا والدب الأكبر ولهما

■ الأفعى ■

أشكال مميزة يمكن لكم تمييزها بوضوح .. وكنوع من أنواع التسرية قال همام: كاثيوبيا يرافق تتكون من خمسة نجوم على شكل حرف دبلو بالانجليزية أما الدب الأكبر فهي تتكون من سبعة نجوم على شكل يقترب من شكل المغرفة التي تستعملها ربة المنزل في طهيها.. وبين الاثنتين ارتباط ومع شيء بسيط من الحسابات يمكن أن نستوضح منهما اتجاه الشمال عن طريق الاهتداء للنجم القطبي وهو أكثر النجوم تألقاً وضاءة عن كل ماحوله وإذا عرفنا اتجاه الشمال أمكن لنا تمييز بقية الاتجاهات ومن ثم تحديد اتجاهنا بدقة وسهولة.

ورغم أن همام كان يشرح درس الملاحة البرية من قبيل التسرية على الرفاق بعد حالة الاحباط التي انتابتهم لسقوط العريش في أيدي اليهود واتخاذهم لها كقاعدة ادارية لامداد قواتهم الغازية غير أن الجنود بل وأمير ورستم ظلوا يتناقشون في أين حرف دبلو ؟ وأين هما الدليلتان أقرب النجوم إلى اتجاه الشمال هذا هو النجم القطبي لا لا يارستم انت مش عارف .. فيه أكثر من نجم يشبهه في شدة الضاءة.. واضطر همام لإصلاح ذات البين ، لعلكم ايها الرفاق في عملية تحديد اتجاه الشمال أو التعرف على النجم القطبي إنها أمور تخصصية ذكرتها لكم لاطمئنكم على قيادتي لكم خلال سويغات الليل التي تقطع خلالها عدة كيلو مترات وسط دياجير الظلام .. الصحراء في العتمة تبدو وكأنها بحر لجى لانهاية له تقذفنا التباب بينها وتقرض علينا نوعاً من التيه لو لم ننتبه له بقواعد الملاحة البرية لواجهنا فقد الاتجاه ومن ثم قمنا بالدوار والالتفاف حول أنفسنا دون انجاز أو تقدم.

بدأت المجموعة السير حوالى الثانية من صباح ليلة السابع من يونيو.. وكما أفهمهم همام خير الملاحة الليلة أنهم سيتخذون من النجمتين المعروفتين باسم الدليلتين هاديا لهم لمعرفة اتجاههم .. أما هو فسيطابق ذلك على الاتجاه الذى ربطه على بوصلته .. وماعليهم إلا أن يجدوا في السير ولايتهاونوا في ذلك خاصة في ساعات الليل التي لا يتعرضون خلالها للعطش بفعل حرارة الشمس المحرقة في هذا

■ الألفبى ■

الفصل من العام .. إن قىظ حرارة يونىو أفقدهم كئىراً من مخزون أجسادهم ومع كل معاناتهم فلم يكن بوسعهم التوقف . لأن التوقف معناه الفناء .. وكىم اصطدمت أقدامهم بأشلاء الضحايا وجثث الشهداء ، بعضهم مات بالنيران التى أصابته من اليهود أما الجانب الآخر فكان فناؤه بفعل الجوع والعطش.

آه .. قالها همام بصوت عال .. اندفع صلاح إلیه وكان أقرب الرفاق منه .. ماذا بك یا همام اطمئن یا صلاح اطمئن لیس بى مكروه.. وانما انفلتت آهاتى تحذركم من الوقوع فى حقل الغام للمشاه .. واستفسر صلاح كیف استنتجت ذلك .. إن أمامى سلك اعصار یربط بین لغمین لو اننى مذقته بقدمى لانفجر اللغمان وامسكنا العدو القریب منا كما یمسك القتران .. إن هذه المنطقة لابد أن تكون حیویة .. ولذلك قام العدو بنثر بعض الألغام بطریقة مبعثرة اعتماداً على أنه لا یطأ المنطقة إلا على الجزیر ولاخوف على رجاله من الغام المشاه. وما العمل؟ .. قال صلاح وكأنه یستشیر زمیله بصوت هامس .. ولما تأخرت اجابة همام .. قال صلاح بشىء من الحسم .. أمیر ان الأمر بیدك.. علیك أن تكون عیون المجموعة خلال عبورها لحقل الألغام ستقوم باستخدام أحد السناكى الموجودة بالبنادق الآلیة بجس الأرض قبل أن تخطو أى خطوة وستعبر المجموعة خلفك وعلى نفس موقع أقدامك ، كان من السهولة أن أكلف أحد الجنود بالمهمة لكن اختیارى لك یأتى من احساسى بجسامة المسئولیة.. نحن جمیعاً أمانة فى عتقك.. قالها صلاح وهو یحقر أمیر للقیام بهذه المهمة الصعبة .. تعاظمت ثقة أمیر بنفسه بعد أن شعر بأنه عیون المجموعة وانه قائدھا حتى ولو جاء ذلك بسبب حقل الألغام العشوائى الذی ربما لجأ إلیه العدو لیتلقى انذاراً مبكراً بدخول أى فرد منطقة دباباته التى تركزت باللیل فى راحة قصیرة سرعان ماتعود بعدها القیام بمهامها القتالیة.

هكذا عرفنا من أسلوبهم فى القتال.. ظلت المجموعة تسیر خلف أمیر السبكى ببطء شدید وبحذر أشد حتى لا یقعوا فى المحذور .. كانت كل

■ الأفغاني ■

خطوة لأمير تمثل الخطر بعينه .. كانوا يعبرون جسراً ضيقاً يتجسد الموت من خلاله ويكمن على ضفتيه ربما تمزق سلك الاعصار في هذه الخطوة أو لنفترض أن أمير لم يلمح هذا السلك الرقيق في هذه العتمة القاتمة .. هذا الظلام الدامس الذي يضاعف من الاخطار ربما اصطدم بلغم مباشر ، انها الطامة الكبرى فبالإضافة إلى اصابة أمير وبقية الرفاق اصابات متفاوتة .. يستطيع اليهود أن يأسروهم دون معاناة وظلوا على حالهم هذا نحو الساعتين أو يزيد لم يدر الرفاق كم قطعوا فيها من مسافة لكنهم فقط كانوا في قمة يقظتهم وحذرهم خوفاً من الألغام التي طالما قرأوا وسمعوا عن اصابتها الكثير .. لقد جاءت اصابات زملائهم الضباط القدامى باليمن من هذه الألغام الملعونة.. ان شظييتها قادرة على هتك أنسجة العضلات والتفاد من عظمة الجمجمة والاستقرار في عظام العمود الفقري وقطع النخاع وهم وسط هذه التخييلات الكثيرة سمعوا همساً يحذرهم من أن حقل الألغام قد انتهى لكنه اسلمهم لمنطقة تركز دبابات اليهود .. التفت أمير السبكي سائلاً النقيب صلاح عن التصرف هل يظل على جسده للأرض وبالرغم من تأكده بانتهاء مساحة الألغام من خلال عدم وجود أى أسلاك اعصار أو الغام واضحة فوق الأرض.. إن لغم المشاه يختلف عما عداه من الغام .. لغم المشاه لا بد أن يظهر بكامله فوق الأرض حتى إذا ما انفجر انتشرت شظاياه في مساحة نصف قطرها يزيد عن عشرة أمتار لتصيب كل من فيها .. أما لغم الدبابات فإنه يدفن تحت الأرض ويحتاج لضغوط كبيرة حتى ينفجر ولا يوجد بينه وبين الألغام الأخرى أى ارتباط كأسلاك أعصار أو خلافة.. كان صلاح يقلب معلومات مادة هندسة الميدان في رأسه عندما استحثه أمير مستفسراً مرة أخرى ما العمل يانقيب صلاح ؟ .. أفاق صلاح من شروده وقال للرفاق علينا أن نعب منطقة دبابات العدو هرولاً وبأسرع ما يمكن لكن شريطة ألا يحدث أى صوت خلال الهرولة.. كما اننا يجب الا نبتعد في عدونا حتى لا نتعرض لفقد أحد زملائنا وإذا لم يستطع شوقى أن يجرى على ساقه المعتلة فليتحامل على نفسه

■ الأفعى ■

وليتخلف قليلاً عن الركب وستقوم بانتظاره بمجرد أن تفرغ من عبور المنطقة التى يجب أن نعبها ليلاً تحت سائر الظلام حتى لا نتعرض لهجمات اليهود نهراً .. قالها وبدأ فى الجرى والمجموعة خلفه وشوقى يقفز على ساق واحدة خلفهم جميعاً .. شد حيك ياأبوالشوق .. لايمكن أن تتخلف عن الركب بسبب ساقك العلية ، قالها أمير وهو يساند شوقى فى جريه.. فلنذهبا أيها الصديقان .. قالها شوقى وهو يكافح فى الجرى على ساق واحدة .. واستحث أمير ورستم فى تركه لكنهما عقدا عهداً ألا يتركاها حتى ولو كان المقابل مواجهة ثلاثتهم للشهادة .. وبعد فترة من العدو جرب شوقى أن يجرى على ساقيه بعد أن أرهقه الجرى بساق واحدة ولم يعرف حتى الآن كيف ساعده الله على ذلك وكيف استجابت ساقه لمحاولة النفاذ من الخطر المحقق بهم .. جرى .. وجرى .. كما لم يجر فى حياته وكأنه فى سباق لألعاب القوى والعدو مائة متر .. هكذا يعين الله الانسان لحظة الخطر .. هكذا يمد الله بمدد من عنده لمجابهة الظروف الصعبة التى يمر بها .. هكذا شاء الله للمجموعة أن تعبر منطقة الدبابات خلال الساعات الأخيرة من الليل كان اليهود خلالها فى سبات كامل أو هكذا تخيلوا .. ومع ذلك لم يصدر الأمر من صلاح بالترجل .. إنهم مايزالون يحتفظون ببعض لياقتهم وقدرتهم على مواصلة الجرى بطريقة اختراق الضاحية لعدة كيلو مترات متواصلة لم ينسوا بعد يوم أن كانوا يجرؤن أكثر من عشرة كيلومترات ما بين مدينة انشاص وقرية الزوامل خلال فرقة الصاعقة التى حصلوا عليها بعد تخرجهم من الكلية .. أراد صلاح أن يتأكد من ابتعاد المجموعة تماماً عن حفر تمرکز دبابات العدو لايد أنها منطقة مهمة .. لا بد أن يخرجوا تماماً عن نطاقها .. لأنه لا يضمن ماذا سيكون لوطلع علينا النهار ونحن بالقرب منها .. الحيطة واجبة لكن الرفاق مجهودون وأخيرا أصدر تعليماته بالترجل بعد زهاء خمسة كيلو مترات قطعها الرجال دون توقف .. ولم يكفوا عن السير حتى مطلع الفجر وحتى بعد انبلاج الصبح وانحسار الظلام ومع توارى عتمة الليل تدريجيا ظل الرفاق فى

■ الأفعى ■

مسيرتهم دون أى تغيير فيما عدا اعتماد همام على البوصلة بطريقة مكثفة نظراً لاختفاء النجوم.

تنفس الرجال الصعداء .. وكأن صدورهم قد انزاح من عليها شبح ظل جاسما فوقها عدة ساعات تضافرت عليهم بعض العوامل كل منها كفيل باحداث هذا التأثير فعلاوة على الجوع الشديد والظما القاتل ورهبة الظلمة الموحشة التى تحيل الهيئات إلى اشباح والخوف والفرع من السير فى حقل الألغام .. تأتى بعد كل هذا دبابات اليهود الرابضة بجوار خط سيرهم ولو أن أحد جنودها استيقظ لقضاء حاجته لكان فى مقدوره أن يحصدهم بنيران رشاشه أو حتى ببندقيته إذا لم يرد بذل أى جهد فى أسرهم والاحتفاظ بهم والتقنن فى تعذيبهم.

وَحَرَب

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

السلامة

المقدمة

الناقة الجموح

انبلج الصباح وأشرق النهار بنوره ليخفى بين طياته مشاعر الخوف والرغبة التي انتابت الرجال لفترة .. ويدفع بينهم بعض الثقة المفقودة انهم وسط بحر من الصحراء لم يعد هناك مايمكن تمييزه.. التلال اشبه بعضها البعض .. الروابي الصفراء لاتنتهى .. الوهاد في المكان وتسيطر على الساحة .. الرمال الصفراء تعكس ذراتها أشعة الشمس فترتد على المآقي وتجبرها على الخفوت .. تهكم الرفاق من مقولة شوقي التي استأذن صلاح في ترديدها عليهم بضرورة وضع زلطة صغيرة أسفل اللسان لاستثارة الغدد اللعابية وتحفيزها على الادرار.. كان قد سمع هذا الدرس المستفاد من النقيب زهرة مدرسه في الكلية الحربية وصاحب التجربة السابقة في السير بطول صحراء سيناء لكنهم استخفوا بالكلام ولم يحفلوا بتنفيذه .. فلم يكن الظأ قد بلغ بهم مبلغه بعد ولم يكن العطش قد تمكن منهم أو أضناهم .. فمازالت الساعة لم تتعد التاسعة صباحاً .. ورغم اشراق الشمس فلاتزال أشعتها لالتهب ظهورهم بحرارتها وكأنها قررت أن تحنو عليهم رفقاً بهم وحزناً عليهم وتأثراً وتحالفا معهم بعد ما صادفوه من مأس ومحاق بهم من أخطار.. كانوا يعلمون مقدرتهم على تحمل الجوع لأكثر من خمسة أيام.. ولا تزال آثار الوجبة الدسمة التي تناولوها متمثلة في

■ الناقة الجموح ■

الحية المشوية التى قام أمير بتوزيعها بعد شيها يسرى فى عروقهم ويمدهم ببعض القوة وإن كان تأثيرها قد ضعف لكنهم لايقدرّون على تحمل العطش لأكثر من ثلاثة أيام فقط..

وهاهو النهار الثالث الذى مر عليهم دون أن يرووا ظمأهم باستثناء قطرات قليلة قام شوقى بتوزيعها عليهم من خلال غطاء أحد الزمام مع مرور الوقت ومع تعرضهم لأشعة الشمس ومع استنزاف العرق لمخزون المياه فى الجسم أحسوا بالظمأ وبدأت حرارة الرمال تكوى جلود أقدامهم وتتعكس الأمور على قدرتهم على الاستمرار فقتل معدلات سيرهم وتتباطأ خطاويهم وتتأقل أقدامهم.. ويتوجهون إلى صلاح يناشدونه التوقف ولو لثوان معدودة يلتقطون فيها أنفاسهم .. ويستعيدون تماسكهم .. ويلملون شتاتهم .. كانوا يخشون من التوقف الذى قد يسلمهم إلى الموت جوعاً وعطشاً .. كما أنهم يعانون من الاستمرار فى السير لأكثر من عشر ساعات متصلة.. قوتهم أنهكت وقدراتهم خارت .. لابس إذن فلنستريح قليلاً .. ولعلنا نستطيع خلال راحتنا أن نعمل فكرنا فى خطواتنا التالية بعد أن اعيتنا الحيل وضائق أمامنا السبل وسدت المنافذ .. إن الحلقات تضيق والأمور تتعقد والأحوال تزداد تعشراً لكن نحن مؤمنون وليس أمامنا سوى التعلق بالأمل والتمسك بالثقة فى معاونة الله لنا .. قال صلاح هذه الكلمات وكأنه يواسى نفسه قبل أن يحفز الرفاق.

توسطت الشمس كبذ السماء ولقحت أشعتها الحارقة وجوه الرفاق فتبلت عرقاً ، تلتفتوا حولهم لاهم قادرون على استئناف السير وهم على هذه الحالة المتهالكة .. ولاقانعون بالاستسلام للموت بعد أن قاوموه فى أقوى صورة متمثلاً فى نيران اليهود ودباباته والغامه لكن حركتهم أصبحت عزيزة وركونهم وخلودهم للسبات أصبح لاقرف منه وحتى هذا بات ترفيها غير متاح فالحرارة الشديدة حولت جلستهم فى العراء وكأنهم داخل قرن غير مسقوف ، أشعة الشمس تشوى جباههم وجلودهم والعرق يتقصد بغزارة من مسامهم .. بلغ بهم الظمأ مبلغه

■ الناقة الجموح ■

باتوا يحلمون بقطرات قليلة من الماء ويعرضون مقابلها أى ثمن حتى ولو كانت حياتهم إلى أى حد صارت الحياة رخيصة ، إلى مدى أصبح الأمل ضعيفا وهم على حالهم هذا .. عبث رستم فى الرمال بسنكى بندقيته وتخرج الرمال من الحفرة رطبة ذات لون داكن ، تخيل رستم أن الماء ممكن أن ينفجر من بين يديه وهو يحفر حفرة المتواضعة ولم لا؟

صحيح أننا فى غير أوقات المعجزات.. لكن قد يبعث الله الماء كما فجرها من تحت قدم سيدنا إسماعيل إذا أراد لنا النجاة فنحن عباده.. وهو عادل.. ولا يمكن لعذله أن يتجاوز عبادة الظمآنين..

أخذ رستم يهذى بهذه الكلمات تحت وطأة المعاناة والظما ، لم يكتف بهذا بل صاح فى رفاقه أيها الرفاق سيفجر الله المياه من بين أصابعى لم لا.. لقد ألهمنى الله بالحفر والنشأ مشجعة ومبشرة لأعليكم إلا أن تتحلقوا حولى لتتهلوا من النبع المتفجر.. هم ييكن وهم يضحك.. قالها همام فى سره وهو يستمع لنداءات رستم أمعقول مايرده رستم.. نحن قابعون على ربة عالية من الرمال.. يسمونها بلغة الجندي غرود أى أنها متكونة وزميلاتها من التباب والهضاب من الرمال المتحركة بفعل الرياح أيمكن أن يكون تحت هذه الغرود الرملية ينابيع مياه.. إن المياه لاتظهر فى باطن الصحراء إلا على مسافات بعيدة من الأعماق فكيف يتسنى لسنكى رستم أن يحفر مثل هذه الأعماق، طبيعى أن تكون الرمال الخارجة من الحفرة أكثر رطوبة وأحلك لونا.. إن القشرة العليا منها تزداد اصفرارا وجفافا بفعل لهيب الشمس المحرق أما الطبقات التالية فتكون ذات لون أعمق فهل معنى هذا وجود مياه؟

قال هذا همام ولم يتباطأ عن تلبية نداء رستم حتى لايقال عنه إنه متعاس.. ولقد كان أكثر من فى المجموعة إرهاقا وتعبا كان أكبرهم سنا رغم عدم بدانته بالإضافة إلى كونه ممن يطلقون عليهم ابن ناس فجده باشا ساحل سليم الذى تقلد مقعد رئاسة الوزراء فى الأربعينيات كما أنه أول دفعته فى الكلية الحربية فظل ينعم برتبة المساعد طوال وجوده

■ الناقة الجموح ■

في آخر سنة بالكلية وهى رتبة تمنح حاملها بعض الحقوق التى لا يحصل عليها زملاؤه ومع كل هذا كان همام من أكثر الناس التزاما وانضباطا وانصياعا لتعليمات قائد المجموعة زميله ودفعته النقيب صلاح.. لم يفتأ رستم يحفر وهو متأكد أن الميه ستنفجر من بين أصابعه والرفاق ملتقون حوله حتى خرج سنكيه وعليه آثار الانثناء اصطدم عدة مرات بصخور مخفية أسفل الرمال ولما حاول الابتعاد عنها عاود الاصطدام بها فأيقن أنه لا أمل واضطر لإعلان فشله الذى توقعه الجميع قبل المراحل النهائية من عملية الحفر المزعومة.

جلس الرفاق حول حفرة رستم في حالة من الاسترخاء الذهني.. لم يصيبهم الإحباط لأن المياه لم تنفجر من أصابعه فهم متأكدون أن الوقت ليس وقت معجزات لكنهم أدركوا من تعلقهم بأهداب الأمل الواهى كم هم يعانون؟.. وكيف نال منهم الإرهاق؟ وإلى أى مدى يخشون على أنفسهم من شبح الهلاك.. إنهم قارب قوسين أو أدنى من الموت عطشا. أشعة الشمس تلمع جباههم وظهورهم فتسقط عليهم كأنها سياط من نار لا يجدون معها ملجأ ولا يفلحون في الهروب منها أو تفاديها.. خارت قواهم ونقدت مقاومتهم ونضب مخزون المياه في أجسادهم ولم يبق لهم سوى جانب من عقلهم الذى لا يزال تومض قريحته بفكرة من هنا وأخرى من هناك رافضا تماما فكرة الموت عطشا.. وكيف له أن يتقبلها وقد أنجاهم الله مما حاق بهم من أخطار تجاوزت بمراحل كثيرة هذا الشبح الجاثم على صدورهم والذى ألهم حلوقهم.

وهم على حالهم هذا لمح عبد الخالق حكمدار المدفع ناقة شاردة عن بعد فصاح يا الله لا بد لهذه الناقة من أصحاب ولاشك أن لديهم بعض المؤن يمكننا أن نتزود بها لتعيننا على الحالة المتردية التى نحن عليها.. ورد عليه صلاح وكان أكثر خبرة ودراية بدروب الصحراء وأغوارها من خلال قراءته الكثيرة في تاريخ المعارك خاصة، وقد كان متيما بروميل تغلب الصحراء في الحرب العالمية الثانية هذا الإعجاب الذى كان يحكيه لنا مدرس التاريخ العسكرى الرائد بهى الدين عبدالله ويقول أول مهمة

■ الناقة الجموح ■

صعبة لمونتجرى قائد قوات الحلفاء كانت كيفية نزع الإعجاب بروميل من نفوس مقاتليه كانوا يتابعون تحركاته بشغف ويستسلمون لأفكاره بضعف ويشيدون بخبرته ودرايته وكأنهم يشيدون بقائدهم وليس بعدوهم الأول بل الأوحـد بعد هتلر.. تحدث صلاح بصوت يائس لكنه عميق ليس معنى وجود ناقة شاردة في الصحراء ضرورة وجود أصحاب لها وما يتبع ذلك من كلاً وعشب ومياه - وغير ذلك من مظاهر الحياة فالنوق حيوان تشبه الغزلان والنمور وغيرها من الحيوانات التي تهيم على وجهها في الصحراء دون أن يكون لها صاحب وهي تتغذى إما بالأعشاب النادرة أو حتى تعيش على تناول لحوم بعضها وعموماً لا بأس من مطاردتها واصطيادها.. لكن نصيحتي ألا تستخدم لحومها قبل أن نعبـر بها شبح الموت الذي نتعرض له.. الموت عطشا .. إنها الآن طوق النجاة الذي يعبر بالمجموعة إلى الحياة بعد أن أشرقنا على الهلاك.. إن دمائها تروى الظمأ وتطفئ لهيب العطش.. قرأت ذلك في يوميات رومل وبمجرد أن فرغ من مقولته إلا وسمع أمير وهو يحرك أجزاء البندقية ليأخذ أولى الطلقات في ماسورتها ليستعد للإطلاق.. لا يا أمير لاتطلق نيرانا فلو أطلقنا النار على الناقة من هذه المسافة لسالت دماؤها ونفدت من عروقها على الرمال قبل أن ندرکها وبهذا يتبدد الأمل ويخبو الرجاء.. مطلوب أن نقرب منها كلما أمكن حتى نستطيع ملء ولو زمزميه من هذه الدماء قبل أن تتجمد بفعل الحرارة وتختلط بالرمل.. وبدأ صلاح يعدو في أثر الناقة وكلما اقتربت المجموعة منها كلما أمعنت هي في الفرار وتركت لنفسها العنان ، ظلت المطاردة مستمرة بين الرجال والناقة عدة كيلومترات بغير هدى أو التزام بأى اتجاه أو الحرص على أى هدف.. لاشئ يربطهم بالحياة الآن إلا الوصول لهذه الناقة اللعينة التي تمثلت أمامهم بأنها الأمل الوحيد الباقي في الحياة.. الظمأ يقتلهم والتعب هـد قواهم وارهق أوصالهم.. ولم يبق أمامهم أى نوع من أنواع المقاومة سوى إيمانهم بالله وبقدرتهم على بعث الحياة من جديد في نفوسهم بعد أن فرغت تماماً من أجسادهم.

■ الناقة الجموح ■

فلتذهب الناقة إلى الجحيم لا يمكن أن تكون هذه الشيطانة طوق النجاة المزعوم.. لم تقل المسافة بيننا وبينها أبدا منذ أن بدأنا في مطاردها وكأنها دسيسة علينا لاستنزاف ماتبقى لنا من مقاومة وما بأجسادنا من حبات وقطرات مياه قليلة .

قال همام كلماته وأردف لم يبق أمامي أى طاقة تساعدني على مطاردة تلك الملعونة حتى ولو كانت الحياة التي أنتشدها لن تأتي إلا من خلال دمائها ولحومها.. أنا لا أصدق معلومة الدماء التي قلتها ياصلاح.. معذرة لك.. لكنني اضطررت أن أقولها تحت وطأة ما أعانيه من آلام وإسقام.. لاعليك يا همام فأنا أعلم ما بك.. وأضاف صلاح وكان للحقيقة يتذرع بصبر لا ينضب ويحلم لا يفرغ.. كان قد وطن نفسه على ألا يكون طرفا لخلاف بينه وبين أحد من الرفاق فكيف يدب الخلاف بينه وبين أقرب الناس إلى قلبه وأوثقهم صلة وأصدقهم علاقة.. ليس لنا فائدة من إثبات المعلومة التي قرأتها بمذكرات روميل عن حالة الارتواء التي تسببها دماء النوق للمقاتلين في الصحراء فحتى هذه الدماء أصبحت عملية متعذرة وشبه مستحيلة وبدلا من أن نستفيد طاقتنا في الجدل علينا أن نفكر فيما نحن مقدمون عليه أو حتى في معالم الخطوة التالية مع هذا التعب الذي سيطر علينا وهذا الظمأ الذي شل قدرتنا.. خيم على أفراد المجموعة شبح الموت عطشا ، لهثت الأنفاس وجفت الحلووق ونحلت الأجساد ونضب معين المقاومة وبب الاستسلام واليأس، ولم يبق أمام الرفاق سوى أمرين.. إما السعى بلا هدف ولا إلى اتجاه عسى الله أن يبعث لهم بمعجزته وينقذهم من ورطتهم بعد أن عز البقاء وقتل فرصة الحياة.. وإما أن يقعدوا في انتظار ملك الموت وليستهلكوا مابقى لهم من رمق في حفر قبورهم بأيديهم وليتفقوا على أن يواروا الأجساد التي تقع الرمال حتى لايتبقى منهم إلا آخر موتاهم هو الذي لايجد من يتولى دفنه وحماية جسده من النسر والصقور الجارحة.

استمع الرفاق وهم في أشد حالات الإحباط والإرهاق إلى مناقشة

■ الناقة الجصوح ■

جانبية بين الثلاثة الكبار.. نعم أصبحوا الثلاثة الكبار بعد أن أذاب التعب والياس المسافات بينهم.. اقترب شوقى من صلاح وهمام أكثر وأكثر بعد أن تبينوا أنه الوحيد بالمجموعة الذى يحتفظ بقدرته الكاملة على إيجال الفكر وإمعان النظر فيما يطرح من اقتراحات، دنا صلاح من شوقى فى محاولة للاعتماد على فكره بعد أن قشل هو فى تنقيح الفكرة التى اقترحها همام وإدراك أبعادها ، اقترح همام أن يخالفوا الاتجاه الذى ربطوه على البوصلة ولينحرفوا يمينا بمقدار تسعين درجة كاملة وليبهموا وجهتهم شطر البحر قاصدين مياهه حتى ولو كانت مالحة.. نعم لاتصلح للشرب للنسبة الكبيرة من الملوحة التى تتسم بها.. لكنها على الأقل قادرة على إعادة الحياة وإحداث التوازن المفقود فى خلايانا بعد أن فقدت معظم سائلها الأسموزى ، مارأيك يا شوقى قالها صلاح بصوت خافت حتى لاتضعف هيئته التى ظل محتفظا بها منذ أن نصبوه قائدا عليهم لكن مع مواجهة هذه المعوقات الصعبة أصبح من المتعذر عليه اتخاذ القرارات المصيرية وهو على هذا النحو من الضعف.

بدأ شوقى فى مناقشة همام بنفس الصوت الخفيض.. إذا سلمنا برايك وبدأنا فى تنقيذه بصفتك خبيرا فى أمور الملاحة البرية وعلما بيوطن علم الطبوغرافيا الذى يدرس طبيعة المسارح الصحراوية وتعريف الهياكل والتضاريس الأرضية.. فمتى نصل إلى البحر وكى نقطع إليه من مسافة؟ وبيأس شديد أجاب همام لم يعد لى أى قدرة على الاستنتاج وأنا على هذا الحال من الإرهاق فلا أنا مستطيع تحديد المكان الذى نحن فيه ولا تقدير المسافة التى تبعدنا عن شاطئ البحر لكننى تحت وطأة الظمأ أفكر فى أى شىء يبعدنا قليلا عن شبح الموت عطشا.. وحتى إذا لم ترينا مياه البحر للموحتها فإنها قادرة على أفانقتنا ومدنا ببعض القدرة على مواصلة المسير بعد أن فرغت تماما مقاومتنا ورغم أنه من البديهيات التى تعلمتموها بالكلية الحربية أن ملوحة المياه لاتروى ولا تشبع من ظمأ ورغم أن شوقى كان يدرك تماما أن المسافة التى بينهم وبين البحر لاتقل عن عشرات الكيلومترات على الأقل الأمر

■ الناقاة الجموح ■

الذى يؤكد موتهم وهم يقطعونها على هذا النحو من الظلم والإرهاق.. إلا أنه ناشد صلاح الموافقة على فكرة همام ليس لرجاحتها وإنما لأنها مجرد فكرة يحض بها الرفاق على السعى.. ولاشك أن بينهم وبين الحياة خيطا يكاد يتمزق بفعل أى مقاومة ولو حتى جاء ذلك متمثلا فى نسمات الرياح غير المتعشة التى كانت تلفح وجوههم بحرارة وقسوة الطقس والذى تعدت درجة الحرارة فيه عن خمسة وأربعين درجة مئوية كان الرفاق قد نفذوا فكرة شيطانية لمواجهة عطشهم المهلك أفرغ كل منهم ما بجسده من مياه تخرج على شكل بول فى زمزميته أنهم قد يحتاجونه .. لا مناص أمامهم من استخدامه فهو منهم ولهم ولا ضير عليهم إذا استخدموه فهو ليس أشد خطرا مما يواجهونه كما أنه ليس أظلم مذاقا أو مرارة من طعم ومذاق الدماء التى ظلوا يطاردون الناقاة بهدف الارتواء به.. نعم إنه يحتاج منهم إلى بعض من ترويض النفس وتعمية الذهن لاستخدامه لكنه على الأقل قد يضاعف من قدرتهم على المقاومة ولو لثوان قد تشكل أمامهم الأمل الوحيد الباقي.

كان همام أيضا صاحب الفكرة وأول المنفذين لها أدركه الظلم بصورة قاتلة.. ومع ذلك فهو لم يتخلف عن الركب ولم يتوقف عن التفكير، رفع همام زمزميته التى تحتوى على مخزون بوله منذ وقت القيلولة وحتى نحو الرابعة بعد الظهر ارتشف رشقة وقال بعدها إن له مرارة مهلكة وطعمه بغيض ورائحته كريهة.. لكن ليس أمامنا مناص من استخدامه.. أرجوك «يا سمعة» — يقصد جنديه إسماعيل — أن تعرض الزمزية إلى الهواء لتساعدنى على ترطيب السائل وإفقاذه قليلا من حرارته المقبضة أنتى أنشده مرطبا وليس ساخنا لكن حذار أن تستخدمه لتروى ظمأك فأنا أعلم منسوبة بالزمزية وإذا ماسطوت عليه عرضتك لعقابى حالة تمكنى من ذلك.

يا لسخرية القدر وبالعجوبة ما يعرضون له من مفارقات إن همام حفيد الباشا رئيس الوزراء السابق يريد ترطيب بوله حتى يخفف من معاناته وهو مقبل على شربه.. ومساعدته إلى غايته هذه جنديه

■ الناقة الجموح ■

إسماعيل.. لكن يخشى على ثروته القليلة من هذا السائل الكريه من عين إسماعيل لو أن إسماعيل سطا على كمية البول القليلة لادرك همam الموت لم يكن غريبا أن يحذو كل الرفاق حذو همam بما فيهم صلاح نفسه.. كان يرتشف الرشفة ثم يخرج كل ما بجعبته من عصارة.. لم يكن مذاق البول مستساغا ولا مقبولا من أحد حتى الجنود لكن لامقر من شربه.. المضطر يركب الصعب.. وهم ليسوا مضطرين فحسب أنهم أكثر من مرغمين.. والحاجه ام الاختراع وليس أمامهم ما يبتكرونه ويشفع لديهم عند شبح الموت عطشا.

كان شوقى هو الوحيد المستثنى من المجموعة في مواجهة بوله الكريه.. لم يكن يتصور أن بمقدور الزلطة الصغيرة التى قام بوضعها تحت لسانه وتهكم الرفاق من اقتراحها أن تجنبه شبح استخدام ذلك السائل الكريه وتبعده قليلا عن حالة الظما القاتل الذى واجهه الرفاق.

أثابك الله عنا خير الثواب يانقيب زهرة.. أيمكن لهذه الكلمة التى مر عليها سنوات طويلة منذ أن كان طالبا بالقسم الإعدادى بالكلية الحربية أن تمنحه النجاة من شبح الموت عطشا.. أيمكن للزلطة الصغيرة التى حرص على ألا يلفظها طوال فترة سيره حتى أنه اعتادها وتصادق معها أن تكون السبب فى نجاته.. لا بأس.. لكن يمكن ألا يبعثر ثروته هو الآخر فى الفلاة.. أن زمزميته أولى باستقبال بوله من حبات الرمال.. ربما احتاجه.. ربما لجأ إليه.. صحيح رغم أنه أكثرهم تعرضا للإرهاق والتعب بسبب ساقه العلية.. لكن حتى الآن لم يجد نفسه مرغما على تناول بوله.. وليتركه كاحتياطى قابل للاستخدام متى دعت الضرورة لذلك.. والضرورات كما يقولون تبيح المحظورات.. وما عليه إلا انتظار تلك الساعة.

حب وحرب

١٠

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الغلبة

العجزة

اكتظ السرادق الضخم بجموع المعزين.. زادت اعدادهم عن سعته.. وضاحت بهم مقاعده.. اضطروا للوقوف في ممراته والاصطفاف أمامه.. قام أحد الأقارب بتنبيه القارئ إلى ضرورة أن يختم في محاولة لقض التزامهم.. هاهو ينفذ الوصية ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار .. ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير﴾ صدق الله العظيم.

لكن هيهات هيهات.. وكان المعزين أبوا أن يغادروا السرادق وتمسكوا بالمقاعد حتى نهايته .. واضطر القارئ أن يكمل الآيات ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم﴾.

سبحان الله ولا قوة إلا بالله قالها شوقى وهو يحاول التوفيق بين تذكياته عن الدمار والأخطار التى لحقت به وبرفاقه خلال الأيام القليلة الماضية.. وتذكياته مع شقيقتيه اللتين علم بقصد احدهما هذه الساعة.. ترى من تكون الفقيدة إن زوج الشقيقة الكبرى يقف بجوار شقيقه وقد تورمت عيناه من البكاء وأحمر أنفه وتثاقلت قدماه.. إذن هى شقيقته

■ المعجزة ■

الكبرى التى طالما حنت عليه وحملته على كتفها وقامت بدور أمه عندما غابت لفترة بسبب مرضها الذى أفقدهم إياها لعدة شهور .. كانت شقيقته بمثابة أمه تماما .. توقظه من نومه وتساعدته على الاغتسال وتعد له طعامه وتجهزه لمدرسته ولاتركه إلا بعد أن تودعه على باب المنزل رغم أنها كانت تعمل مدرسة بمدرسة الحى .. نعم لابد أن تكون هذه الفقيدة خاصة وأنه يلمح بعض تلاميذها وهم يقومون بواجب العزاء .. لكن هؤلاء التلاميذ من أجيال متقاربة مع جيله .. أنهم يعرفونه ولابد أنهم يجاملونه أو على الأقل يبدون وطنيتهم تجاه أحد العناصر التى غابت عن الحى فى مهمة قومية .. لكن كيف له أن يقطع بوفاة شقيقته الكبرى ونفس الشئ ينطبق على زوج الصغرى . إن الصغرى تكبره أيضا بسبع سنوات.. ولاثقل حنانا وودا عن الكبرى صحيح ان اختلاف الملامح بينهما كان يؤدى إلى الحكم بعدم أخوتهما من بعض الأصدقاء لكنه طالما حظى برعايتها وعنايتها طوال مشوار أخوتهما الصادقة وحتى انتقلت إلى بيت زوجها .. كما أن هذا الزوج المكلوم يقف بجوار قرينه وليس أقل منه تأثرا بعد أن انتفخت أوداجه واحمرت مقلته وتهاكت أوصاله وتدنت مقاومته إلى أقل حد لها.

هرب بفكره من جديد إلى رفاقه الأربعة وزملاء مشواره الصعب من الجنود بعد أن قاموا بتنفيذ آخر مقترحات همام بالاتجاه نحو البحر فى محاولة لاستخدام مياهه الملحة للارتواء أو على الأقل للانتعاش من حالة الموت التى كادت تفك بهم وتعتصر امكاناتهم .. شجعتهم على مواصلة السير حالة الجو المعتدلة نسبيا بعد أن كانت شمس الأصيل تغيب ..

انعددت آمالهم على الوصول إلى شاطئ البحر قبل حلول الظلام.. لابد لهذا اللقاء الحار أن تسجل مراسمه فى ضوء النهار انه موعد مع الحياة .. يعلن فيه شبح الموت الذى خيم عليهم لفترة طويلة يأسه

■ المعجزة ■

ويطلق ساقبه للريح وهو يولهم الاديبار بعد أن منّ الله عليهم بتوقيفه ومنحهم السلامة وشملهم بإنقاذه بعد أن كادوا يهلكون.

الوقت يجري والساعات والدقائق تعدو والشمس تزدد ميلا وأشعتها المضيئة تزدد أفولا وكأنها تعلن للرفاق أنه لانجاة لهم وأن شبح الموت عائد لامحالة ليطبق مخالفه في رقابهم ويثبت أظافره في عروقهم .. توقف شوقي فجأة عن السير وتحولت جميع خلايا جسده إلى خلايا الكترونية تركز اتجاهها في أمر مهم لفت انتباهها.. تصور الرفاق أن الألم زاد على ساقه وأقعده عن السير .. لا لا يجب أن تستسلم له وتمكنه منك .. لا بد من الاستمرار حتى لو اضطررنا لقطع هذه الساق اللعينة عقب الوصول .. ان العيش بدون ساق أو حتى بطرف صناعي ممكن .. لكن القعود والخضوع والاستسلام لأقبله لمن كان بحيويتك وأقبالك على الحياة .. هكذا هتف صلاح بشوقي يستحثه على التخلص من حالته التي كان عليها ..

اضطر صلاح للوقوف بجواره عندما لم يجد لكلامه أى صدق في نفس شوقي ولم ينعكس تحفيزه لمواصلة المسير على حالته المترقبة التي أصر عليها .. مالك يا شوقي .. لماذا هذا الصمت المطبق .. ليس لأوجاعي ولآلامى أى دخل في وقفتي المفاجئة .. تحدث شوقي منقذا الرفاق من حالة الدهشة التي ألت بهم .. وأردف يقول لهم .. تنامى لسمعى صوت نباح كلب قادم من جهة اليسار باتجاه عمودى على اتجاه سير المجموعة نحو البحر وإذا ما صدق سمعى فلابد أن هذه الكلاب ترافق عربانا في حراستهم .. ولابد لهؤلاء العربان من حطية يقيمون فيها ويضربون عندها خيامهم ويضعون عليها رجالهم.. كانوا قد درسوا في الكلية الحربية أن الحطية مكان منبسط في الصحراء تتميز بتوافر الكلال والعشب يرعون عليه الأغنام ولديها مصدر مياه يعتمدون عليه سواء أكان بئرا أم مجرى مائيا بفعل مياه الأمطار. لكننا لم نسمع ماسمعت قالها صلاح وهو يود صدور تأكيد من شوقي على ماسيسمع .. لكن

■ المعجزة ■

شوقى لم ينطق ببنت شفه بعد أن تحولت خلاياه إلى مهبط الكترونى لتجميع النبرات القادمة نعم أنه يسمع بوضوح.. لم يتبين من قبل قدرته السمعية الخارقة .. ولم يكن يدرك أن لديه مهارة خاصة فى أذنيه.. أنه كان يتمنى دائما أن يكتشف لديه أى موهبة أو قدرة خاصة لينميها .. وكان يردد دائما لو أنه رزق بطفل لكان أول ما يبحث عنه مواهبه الخاصة ليصل به للعبقرية إن أمكنه ..

ظل شوقى على أراهفه .. وظلت المجموعة تحيطه بمزيد من الصمت والانتظار .. ان حياتهم جميعا انتقلت أمانة فى سمعه وليس يده .. لو صح ماسمعه شوقى لكتب الله لهم النجاة فى آخر لحظة.. أنهم لايقرون على تحريك أقدامهم أو حتى استخدام انظارهم ، تحجرت عيونهم بعد أن شلت قدرتهم على الحركة وخارت قواهم تماما.. وبهدوء شديد خرجت نبرات شوقى حاسمة بعد أن تحولت القيادة تماما له بالرغم من عجزه .. فلنتحول باتجاهنا إلى ناحية اليسار .. ولنسرع خطواتنا قليلا ..

وقبل أن يبدأوا فى السير سجد شوقى على الأرض فخاله الرفاق يسجد لله شكرا لكنه لصق أذنه على حبات الرمال وهو يهدف سمعه .. كان يطبق النظرية التى تعلمها فى المدرسة الاعدادية التى تقول إن النبرات الصوتية تنتقل فى الأجسام الصلبة بأسرع مما تنتقل فى الهواء والتى كانوا يستدلون عليها بالشوكة الصوتية وكأس المياه .. قام شوقى من جلسته ليؤكد تعليماته أن صوت نباح الكلاب يأتى من هذا الاتجاه ولم يعد أمامنا سوى أن نسرع الخطى إليه. لم ينتظره الرفاق لاكمال حديثه بل سارعوا بخاصية حب البقاء فى الاتجاه الذى حدد تقدمهم صلاح ومعه أمير ورستم وبقية الرجال وجاء فى المؤخرة همam الذى كان الارهاق قد سيطر عليه تماما وأفقده كل قدرة على الحركة .. ثق أن الله معنا .. ولن يغفل عنا .. ثق أنه منقذنا وأنه مدركننا قبل أن نتعرض للهلاك .. لايمكن أن ينسى الله نفرا من خيرة شبابيه ويوردهم

■ المعجزة ■

مورد الهلاك جوعا وعطشا .. لم نخطئ في حقه ولم نهمل عن واجباته وركزنا في عبادته وطاعته ثقي ياهمام أنه راعينا وأنه منقذنا .. ما عليك إلا أن تتماسك في هذه اللحظات القليلة التي تسبق هبوط العناية بنا، قالها شوقى وأخذ بيد همام الذى طالما ساندته من قبل.. انحرف الجميع يسارا .. ودبت فيهم القوة .. أوصالهم ثابتة .. وأقدامهم تعدو في ثبات وقوة .. قلوبهم تهفو إلى الأمل .. من يعرف .. ربما وانتهى المعجزة في صوت نباح كلب .. هذه قدرة الله يمنحها من يشاء من عباده ومخلوقاته.. ورغم أن أحدا منهم لم يكن يتصور شوقى حين كان يبلغهم بهواجسه إلا أنه يهزئ فكيف لهذه المنطقة التي لوترك فيها الجمل مات عطشا أن توجد بها مظاهر حياة؟..

غير أنهم تحركوا في الاتجاه الذى حدده على أمل حدوث المعجزة وفي انتظار فرج الله .. وكلما اقترب الرجال من مكان الحطية .. ميزت أسماعهم نبرات النباح بوضوح نعم أنه نباح كلاب .. وكيف يكون هذا في منطقة جرداء لازرع فيها ولا نماء.. أنتدخل في قدرة الله . قالوها جميعا بسداخلهم وكأنهم يبعدون هواجسهم المضادة .. لقد وقعت المعجزة التي لاتعرف المقاييس والمعايير المنطقية فلتذهب هذه المنطقيات إلى الجحيم .. ومايعرفونه الآن أنهم على مشارف منطقة أهلة بالأعراب.. أنهم على بعد خطوات من الماء .. من الزاد والزواد .. أخذ كل منهم يمنى نفسه بجرعة وفيرة من المياه ..

كان الماء مطلبهم الأساسى .. لم يذهب أحد منهم في طموحه المحدود إلى أبعد من ذلك .. أن المياه هى أقصى مايطلبه الظمآن انها تمثل بالنسبة له الحياة بأسرها .. اختلج صياح الجنود بنباح الكلاب وراح البعض يتلذذ بتأكيد المعجزة عن طريق تقليد أصوات انباح ليأتيه الرد من الحيوان الاليف من الجانب الآخر .. تبادل الطرفان النباح .. وانفجروا جميعا في حالة من الابتهاج لم يشعروا معها إلا بأنفسهم وقد غابوا عن الوعى .. تداخلت الأسباب .. فرح .. سعادة.. ذهول ..

ارهاق.. ظمأ.. غبطة.. ألم .. عدم تصديق .. رغبة .. اشتياق المهم انههم قباب قوسين أو أدنى من الحياة .. نعم ما أغلى الحياة .. وما أشد الفناء.

أفاق الرفاق من غيبوبتهم اللحظية على مشهد عاطفى مؤثر .. الأعراب على مشارف الحطية خرجوا فى استقبالهم ويدهم «الزنايل» كل اعرابى يحمل بيديه زنبيلين تتساقط منهما قطرات المياه العذبة السلسبيل .. يا الله .. ماذا يرون .. مياه .. أنه كثير كثير التفتوا إلى بعضهم وقبل أن يسلموا على مضيفهم أو حتى يهجموا على آنية المياه أخذوا يتعانقون ويتبادلون الأحضان والقبلات تعبيرا عن ابتهاجهم بالنجاة بعد أن اشرفوا على الهلاك .. الأذرع واهنة والصدور والوجوه شاحبة .. ومع ذلك فالأحضان دافئة والقبلات حارة.. شد الأعراب على أيدي الرجال وناولوهم المياه ، احتضنها الرفاق وكأنهم لا يصدقون أنفسهم استقبلتها قلوبهم قبل أن ترتوى بها شفاههم.. أخذ كل منهم رشفة من زنبيله.. ثم يستريح ليعود من جديد يشرب ويشرب انهم لن يكتفوا بالشراب أنهم يودون الشبع.. الارتواء.. الامتلاء.. أنهم يحسون بمشاعر لا يمكن أن يصفها قلم . أو تصورها آلة أو تسجلها لحظة .. العمر كله يكمن فى هذه القطرات من المياه .. العمر كله كاد أن يفنى لفقدها ..العمر كله عاد مع ظهورها .. لم يستمع أحد من الرفاق لكلمات الترحيب التى أمطرها الأعراب على مسامعهم .. أبطل .. رجال .. أشداء .. أنهم غير ذلك هم الآن يفهم أنهم ممسكون بأيديهم سر الحياة .. أغلى ما فيها .. أنه الماء .. وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ إنها الحياة بعينها .. أغلى من الحياة .. ان الحياة بدون مياه فناء .. هباء .. غثاء.

استقبلهم الأعراب بترحاب شديد وكأنهم غزاة فاتحون .. بل لعلهم ظنوا أنفسهم دعاء مبشرين من قرط ترحيب الرجال بهم .. هذا الشيخ

■ المعجزة ■

عيد زعيم قبيلة العبايدة .. والشيخ سلمان الرجل الثانى أو قل نائبه وذلك الشيخ عايد ومعه الشيخ عبدالله وكان لابد من تعريفهم لأنفسهم.. وتولى شوقى مهمته التى كان قد اضطلع بها منذ بداية تشكيل المجموعة اننا يا اخوان النخبة التى كتب الله لها النجاة من بين مايزيد عن خمسمائة فرد هم أعضاء الكتيبة ٣٤٢ ..

لم يكن لنا إرادة فى حياتنا أو بقائنا لكن الله أراد ذلك . فهذه رحمته وسعت كل شىء.. وهذه مشيئته ليس لنا حيالها خيار .. هذا هو النقيب صلاح أكبرنا سنا وأقدمنا رتبة ..

شد الشيخ عيد على يد صلاح وكأنه نجله وضمه إلى صدره وقال .. ماعليكم أيها الرفاق انكم وسط أهليكم.. ونحن نقدر الأحوال التى لقيتموها ونعرف الأخطار التى صادقتموها.. أكمل شوقى مهمته وهذا هو الضابط مهمام أما أنا فثالث المجموعة وبعدى الأخ رستم.. فالأخ أمير. ومعنا الرقيب عبدالخالق والعريف والجنود فلان وفلان لم يحفل العربان بتكملة التعارف وراحوا يتجاذبون أطراف الحديث مع صلاح كانوا متلهفين لسماع القصة كانوا ينشدون عقد المقارنات بين مايسمعونه خلال اذاعتنا الغراء!! وبين مايرونه بعيونهم.. لم تكن أول من استضافوهم من الرجال .. ولعلنا لن نكون الآخرين ومع ذلك كانوا كراما لأبعد الحدود لم تكن المياه الوفيرة التى تمثلت الحياة فى قطراتها والتى أعادت لنا الأمل فى البقاء وبعثت فى نفوسنا الرجاء فى الاستمرار هى أقصى ماقدموه الأعراب.. بل قدموا إليهم نوعا من الخبز الشمسى المصنوع على عجل .. كان أشهى من الثريد وألذ من الفطائر. التهموه بنهم وتناولوه بشهية وكأنهم يأكلون أفضل ماقدم لهم فى حياتهم فلأول مرة منذ ثلاثة أيام يشعرون بارتواء ويحسنون الشبع الذى ظل شبح قدرته يطاردهم بلارحمة.

امتدت الجلسة ساعات طويلة .. منذ أن فرغوا من صلاة العشاء

■ المعجزة ■

جماعة وحتى مطلع الفجر تجاذب الرجال أطراف الحديث .. وكان صلاح المتحدث باسم الجماعة حكى لهم باقتضاب كيف واجهت الكتيبة هجمات اليهود الشرسة من الخلف بعد أن تم تطويقها ومحاصرتها ليلة كاملة .. وكيف أن الرجال واجهوا النيران والمدفعات اليهودية بصدورهم وكيف وكيف وكيف..

استمع الأعراب لحديث صلاح وكأن على رؤوسهم الطير.. وعظمة الانسحاب السريع الذي طمس كل معالم الشجاعة والبلاء الحسن.. كل ماشاهدوه فلول عائدة يائسة يائسة لم تبد مقاومة تذكر ولم تشارك في معارك متكافئة كانت أم غير ذلك.. كان لكلام صلاح الأثر الفعال في نفوس الأعراب.. زادوا من حفاوتهم .. غمروهم بمزيد من القهوة غير المحلاة والشاي الثقيل الأسود بل ذهب أحدهم وهو الشيخ سلمان نائب شيخ القبيلة إلى دعوتهم للاستمرار بينهم عدة أيام ريثما يستعيدون تماسكهم ..

اعتذر صلاح بأدب شديد عن عدم تلبية دعوتهم الكريمة .. وطلب منهم أن يمدوه فقط بمعلومات وفيرة عن طبيعة الطريق وأماكن المياه وبعض المدن القادمة من مكاننا .. بل لعلنا لم نكن نعرف حتى تلك اللحظة أين نحن ومن هم بخلاف الأسماء والألقاب التي ذكروها والتي ناديناهم بها خلال الجلسة.

وتحدث الشيخ عيد وأرهف الجميع سمعهم لكلماته كان مهيبا عميق الصوت واضح النبرات : أنتم في قبيلة العبايدة كبرى القبائل في منطقة بير العبد التي تبعد عن القنطرة زهاء مائة كيلو وفي منتصف المسافة بين العريش والقناة .. وتمتد قبيلتنا لتشغل عدة مساحات شاسعة في هذه المنطقة .. ونستطيع أن نعينكم على السير خلال هذه الدروب بما لدينا من خبرات فضلا عن توصية رجالنا لإمدادكم ببعض المياه والأطعمة ان شئتم .. فانتهم ابنائونا .. ودمائكم تجرى في عروقنا بعد أن امتزجت بحبات الرمال ورويتكم بها الفياث والقفار في محاولتكم الحثيثة لصد

■ المعجزة ■

العدو الباغى وحرمانه من السيطرة على المنطقة كما فعل في حرب السادس والخمسين نحن نعرفهم .. سبق أن تعاملنا معهم .. لقد أذلونا وحطموا كرامتنا واستباحوا حرماننا ..

ولعلنا نعد عدتنا الآن في كيفية التعامل معهم .. وخاصة ونحن نتوقع أن تطول اقامتهم هذه المرة بيتنا بخلاف المرة الأولى .. كل المؤشرات تؤكد ذلك .. جحافلهم الجرارة .. واستعداداتهم الكبيرة وأعدادهم الغفيرة .. وليس لنا إلا الصبر على البلاء .. والاحتساب لله هو مولانا وحامينا .. اعتدل همام في جلسته .. مايهما ياشيخنا العزيز هو توضيح معالم الطريق .. أماكن الوقفات .. أسلوب الامداد بالمياه .. طريقة التعامل مع العريان .. لقد عانينا كثيرا اقتربنا كما لم نقرب من قبل من شبح الموت .. ظل يخيم على أرواحنا كما لم يخيم عليها يوم أن واجهنا نيران اليهود .. ان العطش والجوع أشد المأ وفتكاً من النيران .. قاومناها بالاحتماء بالخنادق والاعتماد على نيراننا المضادة .. لكن الجوع لاسبيل لمقاومته أما العطش فهو قاتل ..

قاتل الله العطش .. والتقت همام إلى الجندي إسماعيل وقال له لاتنس أن تشطف الزمزية حتى لايتبقى فيها أى آثار للجريمة التى ارتكبتها فى حقها وحق أنفسنا طهرها من رائحة البول الكريه التى سيطرت على فتحتها.

لاعليكم يارجال جاءت كلمات الشيخ عيد جلية تزيل كل معالم الغموض الذى اكتنف الرفاق. لكم من الدليتين هاديا ومرشدا .. وأشار بأصبعه السبابة إلى نجمتين متأللتين بخلاف ماجاورهما من نجوم .. لو أنكم جعلتموها على «صدغكم» الأيمن .. لاتبعتم اتجاه الشمال وهو الاتجاه الذى انصحكم باتباعه ان اردتم التوجه إلى القنطرة ومنها إلى الاسماعيليه .. وأكمل الشيخ عيد محاضرتة العفوية عن الملاحه البرية وقال لاتغامروا بالاقتراب من الطريق المرصوف فرجالنا يؤكدون أنهم يقطعونه بدورياتهم التى لاتتوقف ليلا.. ويسرون عليها نهارا دون

■ العجيزة ■

انقطاع كما اننى أنصحكم بالتوقف خلال فترات القىظ.. عليكم مواصلة السير ليلا فقط حتى لا تتعرضوا لفقد مخزون مياه أجسادكم عرقا.. أما ساعات الظهيرة فما عليكم إلا أن تمضوها بجوار أحد الأبيار وقريبا من الحطيات التى تصادفكم فى الطريق وهى كثيرة أنكم ستتوجهون بعد ذلك إلى مدينة نجيلة وهى على بعد عشرات الكيلومترات من بير العبد.. وقبلها توجد أبيار كثيرة ونخيل وأماكن منبسطة حولها.. وتستطيعون بمال زهيد الحصول على كل حاجتكم من ماء وأطعمة وتبغ دعونى أنصحكم بحسن المعاملة حتى مع مواجهة احتمال عدم التعاون معكم فليس كل العربان كرجالنا لقد أنسنا منكم ودا.. وتجاوزنا معكم لقسوة ماشاهدناه على وجوهكم من آثار الجوع الشديد والعطش القاتل.. لكنكم لن تجدوا دائما هذا الترحيب وهذه الحفاوة ولهم بعض الحق وعليكم إزالة الرهبة من نفوسهم أو حتى تفادى التعامل مع من لا يبدون استعدادا طيبا لمعاونتكم.

كان لابد من تعقيب صلاح على محاضرة الشيخ عيد.. أبدى امتنان الرفاق بكلمات قليلة لكنها عميقة المعنى بالغة التأثير.. كان صلاح صعيديا عاطفيا برغم ملامحه القاهرية شكرهم على حسن الضيافة ووفرة المعلومات وطلب منهم أن يتقبلوا هدية المجموعة المتمثلة فى إحدى بنادق رجالها.. كان الجندى حسان قد أبدى ضيقه باستمرار حمل البندقية على كتفه ورغبته فى التخلص من ثقلها.. وأمره صلاح بالتدرب بالصبر وتحمل المشقة ووجدها فرصة.. التخفيف عن كاهل حسان.. وتقديم مايقابل ويوازى خدمات وكرم قبيلة العبايدة ولقد أعرب الشيخ عيد زعيم القبيلة عن امتنانه وسعاده الغامرة بهذه الهدية الثمينة وأمر بعض الرجال بإعداد مزيد من الفطائر والخبز ليتحصن بها الرفاق خلال رحلتهم التى لن يعرفوا مدتها ولن يتوقعوا مصيرهم فيها.

استسلم الرفاق لسويعات من النوم قبل أن يستأنفوا رحلتهم فى اتجاه بلدة نجيلة كما أبلغهم الشيخ عيد.. ثم تناولوا بعض الخبز

■ المعجزة ■

والفطائر في وجبة رئيسية جاء وقتها بعد أذان العصر ومع أقول شمس الغروب حانت لحظة الوداع.. شد رجال المجموعة على أيدي أعراب قبيلة العبايدة وعانقوهم وقبلوهم بحرارة.. وبدأوا رحلتهم مستلهمين من الدليلتين هاديا لهم، تقدمهم همام كما كان قبل أن تصادفهم التيه. وتبعه بقية رجال المجموعة.. كان شوقى أكثر استعدادا للسير.. وتخلص من رفقة أمير ورستم بعد أن أبدى شكره على معاونتهما الصادقة وإحساسه بقدرته على السير بعد أن تصادق مع الألم .. وعقد معه اتفاقية هدنة مؤقتة.

الخالة جازية

التزم الرفاق بخط السير الذى حدده همام بواسطة بوصلته المتهالكة والتي يرجع تاريخ صنعها إلى الخمسينات كانت معظم معداتهم من الكتلة الشرقية وهى معدات خالية من الحداثة بعيدة عن الاشكال الجمالية لكنها فعالة وتؤدي الغرض المصنوعة من أجله وهكذا الفرق بين المعدات الشرقية والغربية وأوروبا والأمريكان يهتمون بالناحية الجمالية بالإضافة إلى الفاعلية والانتاج الجيد أما الروس فليس من بين اهتماماتهم راحة الانسان المستخدم للمعدة ولا حالته النفسية لحظة استخدامه لها ..

لم ينس شوقى عندما كان طالبا بالكلية الحربية وذهب مع رفاقه فى رحلة لمشاهدة بعض الغواصات الجديدة التى دخلت الخدمة حديثا بقواتنا البحرية.. تحدث القبطان عن امكانياتها النيرانية وقدرتها على الدفاع ضد قذائف الأعماق والطائرات وأخذ يعدد مميزاتها ومحاسنها لكنه خفض رأسه خجلا عندما سأل أحد الطلبة عن سبب ضيق مساحة دورة المياه الخاصة بطاقم الغواصة.

كان خط سير المجموعة موازيا تماما للطريق الشمالى الذى يربط العريش بالقنطرة لكنه يبعد عنه عدة كيلومترات داخل الصحراء لتفادى المواجهة مع اليهود لم يكن اتجاه البوصلة هو المرشد الوحيد لهم.. بل

■ الحالة جازية ■

كانت الدليتان الساطعتان اللتان نصح بهما الشيخ عيد زعيم قبيلة العبايدة وأمرهم بوضعها في مقابل «الصدغ» الأيمن هما المرشد الأول لخط سير المجموعة.. ظلمة الليل منعت همام من الرجوع غالباً لبوصلته.. وهى بدورها غير مجهزة للعمل ليلاً.. ومع تعاظم أهمية الدليتين في تحديد خط سير المجموعة تعاظم احساس الرفاق بنصائح الشيخ عيد.. كم جاءت كلماته بليغة وحكيمة.. كم شعروا بأن نصائحه دسمة وتوجيهاته تعود لخبرة وحكمة عشرات السنين ومئات التجارب.. إنهم يتخذون منها دستوراً ينفذون هديه ويتمسكون بتعليماته لا يحيدون عنها ولا يتمردون عليها ، إن السير في الصحراء خلال النهار عملية بالغة المشقة والصعوبة.. فما بالك وأنت تهيم على وجهك فيها ليلاً.. تتعرف بشق الأنفس على مواطىء قدمك.. تختفى أمامك المرثيات.. وتتوحد المشاهد.. وتتساوى الهيئات .. انها الظلمة الحالكة التى تعطل البصر وتقعد الأنظار مكانها وتحيل الحاسة الهامة التى وهبها الله للإنسان كى يميز طريقه ويتبين هدفه إلى عتمة كاملة.

لم يدر الرجال كم من المسافة قطعوا وكم من الخطوات ساروا.. فهم لا يتحركون على دروب أو يسيرون على مدقات لكنهم يتحركون قاطعين التباب من سفوحها إلى قممتها وبعد أن يتنفسوا الصعداء على القمة للحظات يعودون أدراجهم لنزولها في طريقهم الوعر نحو اللاهدف.

ينشدون الوصول إلى بلدة نجيلة التى أخبرهم الشيخ عيد أنها في طريق سيرهم لم يسمعوها من قبل عن مدن نجيلة وبالوطة.. ربما سمعوا عن العريش لأنها ميناء حيوى.. كما سمعوا عن القنطرة.. وبعضهم فقط هو الذى يعرف مدينة رمانة.. لكن بير العبد وبالوطة ونجيلة لم تكن على خريطتهم ومادام الشيخ عيد قد حدثهم عنها.. فلا بد لهم من الوصول إليها.. كلام الشيخ عيد لا يرد.. فكل ما قاله لهم من واقع خبرته الطويلة ودرايته العميقة بدروب الصحراء ورمالها ووهاها وحتى مناطق الغرز فيها جاء صحيحاً.

■ الحالة جازية ■

لم تتوقف المجموعة عن مواصلة السير طوال الليل.. ليس لهم سبيل سوى أن يجدوا في سيرهم لقطع المسافة والوصول بأسرع مايمكن إلى القنطرة لينضموا إلى قواتهم غرب القناة.. ترى متى يصلون إليها الأمل معقود على ذلك.. لكن الآمال ليست كفيلة بتحقيق الغايات وليس أسلوبا للوصول إلى الأهداف.. هل يقدرّون على مواصلة السير في هذه المسافة الطويلة؟ وإذا استطاعوا ترى هل يقدرّون على مجابهة أخطار الصحراء ومايتعرضون له من ظمأ وجوع ومقابلة الضواري والحيوانات المفترسة؟ يا الله كل هذا بخلاف اليهود..

لو أن دورية يهودية حاول قائدها التعرف على مسرح سيناء ودخل بعربته ولوحتى على سبيل التريض داخل الصحراء لامسكهم كما الجرذان.. نعم سيطلقون على الدورية بعض الأعيرة النارية من بنادقهم ورشاشاتهم.. لكن هيات لهذه النيران الضعيفة أن تقاوم رشاشاتهم الحديثة سريعة الطلقات.. أفاق الرجال من شرودهم ومن تبادل الأحاديث الجانبية التي كانت وسيلتهم لقطع الملل والرتابة ومواجهة الارهاق الذي أحال أقدامهم إلى كتل خرسانية يصعب عليهم رفعها ثم وضعها من جديد.. أه شقشقة الصبح وانبلج الفجر مثل لهم نذيرا بالتوقف أو على الأقل أول حطية تصادفهم.. أنهم سيحيطون رجالهم بجوارها يستريحون ويرتوون من مائها.. ويتمتعون بظلها.. ويحاولون عقد صفقات غذائية ليقيموا بها أودهم

وإذا لم يتيسر لهم ذلك فليس أقل من الحصول على جمار النخل.. ذلك النسيج الرخو الذي ينتهى إليه ساق النخلة من أعلى.. نعم إنه لايفيد في بناء الجسم ولايعود عليه بأى نفع من ناحية الفيتامينات لكنه على الأقل يشعرهم بالشبع ويحول بينهم وبين احساسهم المؤلم بالجوع فضلا على مايتحتويه هذا النسيج الرخو بين طياته من مياه تساعد على الارتواء ولاتعرضهم للظمأ.. أين لهم الحصول على الخيار.. ان الخيار أفضل الأطعمة لمسافر الصحراء.. أنه أكثرها اكتنازا للمياه..

■ الحالة جازية ■

واضفاء حالة من الارتواء لآكليهم.. لكن الخيار ثمرة لايعرفها العربان.. ولاينمو في الأرض الصحراوية مالهم يطمون بالعزيز من الثمار كالجوعان يحلم بسوق الخبز.

لم تصادفهم حظية يحطون فيها رحالهم وحتى العاشرة صباحا ظلوا يترقبونها منذ طلوع فجر ليلتهم الأولى بعد رحيلهم من بير العبد وحتى أحمر قرص الشمس ولفحت أشعته أقفيتهم وأسالت العرق من ابدانهم.. تخوفوا قليلا من تأخر لقاءهم بالحظية.. خشوا أن يواجهوا من جديد شبح الموت عطشا بالرغم من تسليحهم ببعض مخزون المياه.. لم ينسوا أن يملأوا الزمازم تماما قبل مغادرتهم لقبيلة العبايدة وأمرهم صلاح بعدم استخدامها مهما كانت حاجتهم للمياه ورغم فقدهم لبعض العرق مع طلوع الشمس.. إلا أن مقاومتهم وخبرتهم التي اكتسبوها من المواجهة الأولى مع الظما مكنتهم من عدم اللجوء إلى الزمازم.. وأخيرا ظهرت الحظية المنشودة.. نخلاتها الباسقات خير هاد إليها ودليل على ظلالتها الوارفة وخضرتها السندسية الغامقة وسط بحر الرمال الصفرة بعث الأمل في نفوسهم .. وأعادت الطمأنينة إلى صدورهم كانت تعليمات صلاح تقضى بالمحافظة على مسافة مناسبة بينهم وبين العربان يكفيها من الحظية مساحة ظليلة من طرفها القصى.. دون أن يكون لوجودنا أى خطر على العربان يثير تحفظ رجالهم.. أو حفيظة نسائهم.. لسنا بمستطيعين مواجهة أى مشاكل.. بل لعنا في حاجة لتوفير كل جهد والاستفادة من كل ما يصادفنا.. ان التعاون بيننا وبين من سنلاقيه في طريقنا لا بد أن يكون كاملا.

كان على شوقى أن يبدأ اتصالاته في محاولة لتوفير إحدى الوجبات الدسمة لرجال المجموعة تعينهم على المجهود المطلوب بذله خلال السير.. حلا لرستم أن يرافقه في تجواله حول جوانب الحظية بحثا عن الغذاء.

إن لحاهم التي أطلقوها وشعورهم التي أرسلوها وأثمالهم التي غطتها البقع لا يمكن أن تدل على نوعيتهم أقربت هياتهم كثيرا من هيئة

■ الحالة جازية ■

الجهد الذى بذلوه لم يكن من الصعب على المتفرس فى محياهم أن يفرق بين الجندى والضابط.. إن كعوب الضباط لم ينل منها الحفى الذى فرضه صلاح عليهم بعد أن أمرهم بالتخلص من أحتيتهم.. بدت بيضاء من غير سوء.. لاتشققات فى الجلد ولاخشونة بل تبدو والدماء تجرى فيها وبين ثناياها.. أما كعوب الجنود فقد بدا عليها القشف وتخللتها التشققات.. وهو الأمر الذى دعا شوقى لعدم تبديل ثيابه الداخلية مع رفاقه من الجنود.. فالتشبه بهم أمر متعذر!!! والتفرقة بينهم أمر يسهل على أى متفحص أن يتبينه.

التقى الرجلان بأعرابية على مشارف الحطية تسوق بعضا من الغنمات.. كان محياها يقطع بطيبتها وملامحها تدل على وداعتها كانت متوسطة العمر غير لافتة الجمال لاتبدى من وجهها أكثر من عينيها بادرتهم بالحديث قائلة شدوا حيلكم أيها الرجال.. لاتكنوا اليأس من أن يتسرب إلى نفوسكم أنه اختبار صعب سبق أن مررنا به فى حرب ستة وخمسين.

تابعنا رجال الجيش وهم يتجاوزونه قهروا اليأس داخلهم فساعدهم الله على النجاه وساندتهم إلى الوصول إلى مرفئه اننا معكم.. قلوبنا تدعو لكم.. وأرواحنا تساندكم والله يرياعكم.

آنس شوقى منها ودا فسألها مااسمك يااختاه فى محاولة للتقرب إليها وتحفيز طاقتها على التعاون معهم.. قد تتمكن المجموعة من الحصول على مساعدتها فى اعداد وجبة شهية لهم.. بل قل ياأماه.. اننى فى سن والدتك.. إن لم أكن تعديت عمرها.

رد شوقى بلهجة متحفظة حتى لاثير خشيتها لسنا بصغار فنجن على مشارف الثلاثين وماأحسبك قد تخطيت العقد الرابع.

لم ترد أن تترك كلماته تعبر مسامعها دون فهم. فاستقرت منه عن معنى كلمة العقد وأهمته أنها تقدر مجاملته تمتن لذوقياته العالية بالرغم من احساسها العميق بأمومتها لهم ولوعلى الأقل تعاطفا منها للظروف الصعبة التى يواجهونها.

■ الحالة جازية ■

للظروف الصعبة التى يواجهونها.

ما عليك ياأماه العقد فترة زمنية لاتتعدى العشر سنوات.. وماقصدت باستخدام تلك الكلمة إلا أن أؤكد لك عدم تجاوزك لسن الأربعين.. أى أن مايبيننا من عمر لايسمح لك بأمومتنا وإن زاد قلعلك تتبواين مكانة الشقيقة الكبرى.. ولم يستطع شوقى أن يمنع زفرات ساخنة انسابت على خديه عندما تذكر تلك اللحظة طالما أحب شقيقتيه.. طالما تربى على أيديهما.. طالما كانتا بالنسبة له الأم والأخت والصديقة والحبوبة.. كان يتمنى أن يعوضهما عما قدمتا من تضحيات حتى أوصلاه إلى المكانة التى هو عليها.. الفضل كل الفضل يرجع إليهما بعد والدته التى من الله عليه بالاطمئنان على عدم فقدها.. لكن عليه الآن أن يفاضل بينهما.. أيهما فقد الكبرى التى تشببه تماما .. أم الثانية التى كان يجمعه بها الود والحب والتعاطف بعد أن أفترقا الملامح المتشابهة.. أنه لايستطيع المفاضلة . أنه لايستغنى عن كليهما أنه يفضل أن يضحي بنفسه فى سبيل بقائهما.. لكن هيهات له التضحية فالسرادق الضخم والأعداد الكبيرة التى اكتظ بها من المعزين تقطع بفقده إحداهما الكبرى أم الأخرى إن السؤال يلح عيه ولايجد له اجابة.. ترى لو انه اقتحم السرادق لأراح نفسه وهداً باله وكبح جماح شروده أنه يستطيع أن يقف على الاجابة المحددة لوتقدم وقطع الخطوات القليلة التى تفصله عن السرادق . عاد من جديد يتحسس جروحه ويتفحص هيئته ويرفض نظرات الاشفاق والعطف التى سيحظى بها من المعزين.

أنصتت الاعرابية باهتمام لكلمات شوقى وهو يشرح معنى العقد ثم مالبتت أن حدثته قائلة: إننى إذن تخطيت العقد الخامس وأدنو من السادس.. لكننا معشر العربان لاتحمل للدنيا هما.. نهيم على وجهنا فيها ونعتمد فى سعيينا على أقدارنا.. ونترك الباقي على الله إنه رازقنا ومولانا.. وبعد أن شعرت بالآلفة والمودة التى انسابت بين ثلاثتهم قالت أنا إسمى «جازية» ويمكن لكم أن تناديبنى خالتي «جازية» هكذا نحل المشكلة حتى لا يكون بيننا خلاف.

■ الحالة جازية ■

انتقل الود الذى شعرت به خالتى جازية إلى قلب الرجلين ولم يرد شوقى أن يترك الفرصة دون استغلالها لمصلحة المجموعة.. فطلب منها أن تساعدته فى اعداد وجبة شهية من يديها المباركتين وأبدى استعدادته الكامل فى دفع التكاليف سواء عن الخامات المستخدمة أو المصنعية والجهد المبذول.. وتصاعدت طمأنينته بما شاهده على ملامحها من موافقة وبالغ فى توضيح مطلبه.. نود طبقا من الثريد يكفى عشرة أفراد وبعضا من الدجاجات على أن تحاولى توفير «المرققة» معها كنوع من أنواع الارتواء.

صدمته اجابته.. أما الدجاجات فيمكن توفيرها بحسائها دون عناء وستلث السنتكم بالدعاء لخالتم جازية لطعمها اللذيذ ونكهتها البديعة.. لكن توفير الثريد أمر متعذر أو مستحيل.. لم يتوقف شوقى عن محاولة اقناعها وقد تصور انها تناور لمضاعفة المقابل.. إننى سأجزل لك العطاء.. سأعوضك عن كل رغيف تستخدمينه فى الثريد قبل أن أدفع لك ثمنا للدجاجات المطهية.. وسندخل فى الحساب حبات الارز وان شئت التوابل بل والمياه المستخدمة فى الحساء.

لم تتأثر الخالة جازية بكلمات شوقى واردفت قائلة أيها النجل العزيز.. إننى سأبيع كل شئ ولن أخجل من ذلك أنها خاصية حب البقاء.. وكم تعلمنا من تجاربنا السابقة فى حرب ستة وخمسين أن اليهود قوم لا يعرفون الله ولا يعرفون ضمائرهم فى التعامل معنا بل لعل ضمائرهم فى اجازة طويلة بعيدة عن أجسادهم.. ولولا لطف الله ولولا الانذار الأمريكى الذى عجل بانسحابهم من أرضنا العزيزة لادركنا الهلاك لامحالة فى حربنا الماضية ومع ذلك فلا عليك سأطهى لك الدجاجات وسأقدمها لكم جيدة النضج دون أن أكلفكم أكثر من ستين قرشا للدجاجة الواحدة مع بعض الحساء يكفى لكم جميعا.. ولكى تقهم موقفى فأنا أوفر الدجاجات التى أستطيع استعواضها بعد ذلك.

الدجاجات الباقية تبيض والبيض بشئ من العناية يفقس كتكايت ومع رعاية الكتاكيت تتقلب بعد فترة دجاجات كاملة النمو.. أما الخبز

■ الحالة جازية ■

تعلما من تجربة ستة وخمسين أن اليهود يسيطرون علينا.. ويتحكمون في اخلاصنا وعدم مقاومتنا لاحتلالهم عن طريق التحكم في مرتباتنا من الدقيق وغيره من أنواع الاغذية التي يتعذر الحصول عليها.

جاءت كلماتها حاسمة ولم تترك له أى خيار ولم يبق أمامه أن يحاول من جديد بعد أن عرض عليها جنيتها كاملا ثمنا للرغيف الواحد أى مايزيد أربعين قرشا عن ثمن الدجاجة المطهية لكنها لم تلتن ولم تتأثر واكتفت بصنع ماوعدت من سجاجات مطهية.

وجمد هو الله على انجاز الاتفاق وأسرع بيلغ الرقاق ويمنيهم بقرب تناولهم لوجبة شهية نسمة.

شعر الرجال بالامتلاء بعد أن تم تقسيم الدجاجات فيما بينهم حتى البصل الذى اضافته خالتهم جازية للحساء تم اقتسامه كان للدجاج المسلوق طعم لذيذ لم يتذوقوه في حياتهم كانوا يحرصون من قبل على أن يكون غناؤهم من الدجاج جيد التحمير لكنهم نسوا هذه الرفاهية غير المتوافرة حاليا . إن خالتهم جازية تستحق كل الشكر على ماقدمت من غذاء جيد النكهة طيب الصنع التهموه بنفس راضية وشهية كاملة كانت تلك الوجبة أمتع وألذ الوجبات في حياتهم أنهم يشعرون وقد سرت مشاعر الشبع في أوصالهم وجرت اثاره في عروقهم بأنهم قادرين على مواصلة المسير لعشرات الأيام القادمة.. يل أنهم أشد اقتناعا من أى وقت مضى بالقول الماثور الذى يقطع بأن الجيوش تمشى على بطونها.

فطالما شعر الانسان بالشبع وأفرغ في جوفه بعضا من المياه أمدته الله بقدرة هائلة على المواجهة وأعانه بسبل جارف من المقاومة مقاومة كل شئ وأى شئ الأخطار والأهوال والمشقة والصعاب إن الله لا يد متجهم من هذا الخضم المتلاطم من الصعوبات بعد أن انجاهم من مذبحه اليهود التى أحالت كتيبتهم إلى بركة من الدماء.

تبادل شوقى الحديث مع خالته جازية وهو يحاسبها على ثمن الوجبة.. لكننى لم أتعرف عليك وعلى رتيبك قالتها جازية وهى تقرب أكثر من شوقى وكانتها تود أن تبوح ببعض أسرارها .. أنا ضابط

■ الحالة جازية ■

أكثر من شوقي وكانتا تود أن تبوح ببعض أسرارها .. أنا ضابط صغير بالجيش المصرى.. وضمن قوة الكتيبة ٣٤٢ مشاه لأعليك من اسم الكتيبة لكن يكفيك أن تعلمي أن عدد شهدائها زادوا عن الأربعمئة شهيد مابين ضابط وجندى.. أنهم رجال صناديد وقبل أن يستقيض شوقي في الحديث عن شهداء الكتيبة.. بادرته جازية قائلة رحم الله شهداءنا أنهم خيرة رجالنا.. أنهم خلاصة أكابرننا قاتل الله اليهود كم نكلوا من أمهات ويتموا من أبناء ورملوا زوجات.. لكن الله منجيكم ومانحكم المنعة وموفر لكم الأمان والسلام إن شاء وحتى تصلوا إلى أهليكم وتويكم.

ودعها شوقي ورستم وشنا على يدها واعتذرا لها عن التعبير عن خالص امتنانهما وشكرهما على ما قدمت لهما لأنه يفوق تعبيرهما ويعجز لسانهما عن تصويره والتحقا بالمجموعة واستمعا لكلمات صلاح قبل أن يبدأوا السير ليلتهم الثانية في طريقهم نحو بلدة نجيلة. علينا نجد في السير ونسرع الخطى بعد أن دبب في أوصلنا القوة وسرت في عروقنا آثار الغناء الشهى.. ولتبدا على بركة الله.. وتقدم صلاح المجموعة وتبعه الرجال في صمت لكن بقوة لم يكونوا عليها من قبل.

حب ..

وحرب

١٢٧

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

المصريون الرخيم

الصوت الرخيم

الأموال التي مرت بالرفاق الباقين من الكتيبة الشهيدة خلال الحرب الخاطفة التي لم تدم لسويغات قليلة في موقعة جبل لبنى الشهيرة لم تقتصر فقط على مواجهة أشباح الجوع والعطش والته ونيان اليهود واحتمال الوقوع في أسرهم وغير تلك من أمور متوقعة وغير متوقعة.. وانما حملت لهم كل لحظة قادمة وكل خطوة تالية نوعا جديدا من الأخطار ودرسا حديثا من دروب الألم والمشقة في مواجهتهم غير المكتافئة مع مستقبلهم الغامض.

كانت كل حركة تحمل بين ثناياها بعضا من المواجهة تقريهم من مصيرهم المحتوم وتفرض عليهم نوعا من الاختيار المرير بين الأسر أو الاستشهاد ترى هل يلحقون بشهادتهم الأبرار من زملائهم بالكتيبة بنيان اليهود أم سحقا بجزائير دباباتهم لوحث هذا لغازوا بجنة الخلد مع الابرار والمجاهدين وحصلوا على مراتبهم الرقيقة وثوابهم العظيم لكن الخوف كل الخوف من الوقوع في أسر اليهود إنها الطامة الكبرى التي طالما حاولوا تقاديتها وعدم الوقوع فيها.. إنها الكارثة المحققة التي تعرضهم للمهانة والاذلال طالما سمعوا عن آيات تعذيب اليهود لاسراهم من زملائهم القدامى.. فبخلاف عمليات التجويع والترويع والتعذيب

■ الصوت الرخيم ■

هناك أمور وصنوف أخرى مبتكرة.. هناك الكى بالنار والصعق بالتيار والختم على الأقفية والمؤخرة هناك استباحة للكرامة واستهانة بالآدمية لدرجة أن الأسير يفقد خلال فترة أسره أى رغبة فى البقاء ويتنازل مرغما عن أى تمسك بالحياة.. ان شبح الأسر كان يخيم على مخيلتهم دائما ولا يبارحها يجثم على الذاكرة ويسيطر على الذهن.

لم يهتز الرجال أمام مشقة الترحال وارهاق السير وأهوال الغرز فى الرمال وصعود التباب والهبوط منها والانحراف عن الاتجاه والتعرض للتيه ومغبة لقاء اليهود.. انها النهاية بعينها النهاية التى لامناص منها ولا أمل فى النجاة إلا بمعجزة إلهية يهبها الله لهم مجسدة فى طريق مختصر غير محقوف بالمخاطر أو ربما تمثلت فى طائفة صديقة تخطفهم بعيدا عن أعين اليهود أو ... وقبل أن يخلق شوقى بخيالاته بعيدا عن أرض الواقع هروبا من الأشباح التى تطاردهم لمح غبارا يتصاعد عن بعد ينبىء عن توغل إحدى مركبات اليهود داخل الصحراء.

كانت المركبة نصف الجنزير تتحرك ببطء وكأنها تقصدهم وتوجه إليهم ماسورة الرشاش الرئيسى فى المركبة هرول الجميع بعيدا عن خط السير بلاهدى داخل الصحراء اتسعت الخطى وتلاحقت ، تضاعفت سرعتهم وهم يأخذون بتلابيبهم بحشا عن النجاة ، أطلقوا سيقانهم للريح متخلين عن حرصهم متمسكين بأهداب الحياة ولوحتى لدقائق معدودة.. تبا لهذه الرمال الناعمة التى تقلل من سرعتهم والظمأ القاتل الذى يفقدهم مقاومتهم وقدرتهم على الاستمرار.. قاتل الله اليهود الذين ليس لهم بعد استراتيجى أو خط فكرى.

لماذا انحرفوا عن مسارهم الذى اتبعوه منذ بداية مشوارهم.. لماذا تخلوا عن طريقهم الذى اتخذوه دربا لحملاتهم وتحركاتهم لعلمهم يبحثون عنهم.. عما تبقى من فلول الجيش المصرى.. عن بعض ضباطه المتحصنين بالصحراء المحتمين بالفلاة.. نسى شوقى آلام ساقه وهو يعدو كان فى المقدمة بالرغم من وثبه على ساق واحدة.. انها حلالة

■ الصوت الرخيم ■

الروح غريزة حب البقاء ، الرغبة في التمسك بالحياة ظلوا يعدون بلا توقف وبلا ابطاء.

لايفتأون في النظر خلفهم حتى يتأكدوا من الابتعاد عن مرمى نيران الرشاش اللعين الذى يعلو المركبة اليهودية وحتى مع ابتعادهم بمسافة مناسبة عنه لم يتوقفوا.. امعانا في التوغل داخل الصحراء حتى يكونوا في أمان وحتى يتأكدوا من النجاة.. إن الحياة غالية ثمينة إذا كان هذا الحادث العارض قد زلزل تماسكهم وهز كياناتهم وأفقدتهم رباط جأشهم.. فما بالهم بالمواجهة السافرة مع اليهود.. إنهم يعلمون تماما انه لا قبل لهم بهذه المواجهة.. فلأتوجد ندية تذكر في كل شئ في العدد والعدة والعتاد في القدرة والامكانية والظروف المحيطة.. فليبتعدوا إذن بفكرهم عن هذه الأمور التى تلح عليهم حتى لا تتقل على كاهلهم وتسبب في مضاعفة انهيارهم.

لمح شوقى على باب السرادق مشهدا أزال الغشاوة التى ظل عليها منذ أن قبع في مكانه بالردهة المظلمة وهو يحلق في جموع المعزين وهى غادية وقادمة تأكد منها أن الفقيدة هى شقيقته الكبرى.. يالها من خسارة فادحة.. لقد فقد نبع الحنان الثانى بعد أمه فقد توأم روحه وصديقه الأولى في هذه الحياة رأى اقرباءه جميعا وقد التفتوا حول وحيدها الصغير يحاولون أثنائه عن حالة البكاء التى انخرط فيها ويربتون على كتفه محاولين التسرية عنه لما ألم به من حزن عميق.

لم يتعد هذا الصغير العاشرة إنه أكثر المكومين بفقد هذه السيدة.. من سيتولى تربيته بعدها من سيتحمل مسئولية ايقاظه ثم اعداد افطاره وتجهيز ملابسه وتهيئته للمدرسة قبل أن تاتى السيارة الخاصة بها لنقله إليها مع شقيقته الصغيرة.. وبالرغم من مظاهر التأثر البالغ البادية على ملامح زوجها غير انه لايمكن أن يتحمل وحده مسئولية أطفاله انهما يحتاجان لمن ترعاهما.. ياترى من ستكون زوجة أبيهم القادمة.. من سيقع الاختيار عليها؟ من ستحل محل شقيقته التى طالما

■ الصوت الرخيم ■

ملأت على الأسرة حياتها وشملت جميع أعضائها بالرعاية والاهتمام. شاركت في حمل همومهم وأسهمت في حل مشاكلهم وتدخلت بكل امكانياتها لتذليل مايعترضهم من عقاب ، رحمها الله وأسكنها فسيح جناته.. وألهمه هو ونجليها وزوجها الصبر على مصابهم . لم يكن بمقدوره أن يغادر الردهة المظلمة حتى مع تأكده أن الفقيده شقيقته الكبرى وكان لزاما عليه أن يشارك في عزائها.. فالجروح التي ملأت ساقيه أقعدته عن الاستمرار حتى في الوقوف.. والملابس التي يرتديها ما زالت تحول بينه وبين اجتياز تلك الأمتار القليلة في طريقه نحو صدارة السرداق ولم يكن بوسعه إلا العودة إلى شروده وتذكره للأيام السوداء التي مرت عليهم وهم يقطعون الفيا في القفار سيرا على أقدام حافية.. دون مؤن ومياه وغذاء بل ودون غطاء أمني ومعنوى ومع تعرضهم لأخطار وأحوال عديدة لا يمكن حصرها أو مواجهتها تحول نهارهم إلى سبات يأوون فيه إلى أى تخيل يلاقونه يحتمون في ظله الوارف وهوائه الرطب وجمار نخله الرخو ذى الطعم المستساغ وفائده الغذائية المحدودة وقدرته الفائقة على احداث نوع من الشيع والامتلاء.

كانت حرارة شمس يونيو الحارقة.. تلفح جباههم بلهبها لايقدرّون على مقاومتها يخرون صرعى تحت نارها لم ينسوا ماأصابهم في أول أيام سيرهم نحو العريش ولعندما ارتدوا على أعقابهم بعد أن صدموا بسقوطها ولم يتمكنوا من دخولها . إن شبح الموت عطشا أحال نهارهم إلى سكون وحول ليلهم إلى حركة وسعى ونشاط ساعات الليل كانت تمر سريعة من خلال أحاديثهم المتبادلة التي تسرى عنهم وهم يقطعون المسافة الطويلة التي تفصل بين بير العبد ورمانة ثم القنطرة . كانوا يسرون متجاورين متلاصقين حتى لايشرد أحدهم ويضل طريقه ويبتعد في جنح الظلام عن المجموعة.. ظلمة الليل تحيل المساحات الشاسعة إلى عتمة موحشة تتساوى فيها المراثيات.. وينعدم من خلالها التمييز.. لا يستطيعون خلالها تبين وقع أقدامهم ، بذلوا جهدا كبيرا في

■ الصوت الرخيم ■

تعديل اتجاههم بعد أن هاموا على وجوههم وأطلقوا لسيقانهم العنان هربا من المركبة اليهودية الطائشة وسعيا للنجاة بأنفسهم. حاول همام عبثا أن يضبط اتجاه التحرك من جديد دون جدوى وكان عليهم أن يجدوا في البحث عن منطقة ظليلة يمضون فيها نهارهم التمس بعد أن ابتعدوا عن المسار التقليدي الذي نهجوه. قطعوا في محاولاتهم عدة ساعات طويلة لم يكن أخطر ماواجههم فيها التوهان فقط ولاحتي الجوع والعطش وإنما ظهر لهم في هذه المنطقة أعداء آخرون كانوا أشد فتكا وأفدح تأثيرا من كل أعدائهم السابقين وقد تمثل عدوهم الجديد في الضواري والسباع والذئاب ، تمثل في الحيات والثعابين قابلوا لأول مرة في حياتهم الحيوان الشرس المفترس الذي يعرف بالضب أنه صغير الجسم أشبه بالثعلب لكنه شديد الشراسة والنهم محبا للحوم البشر مولعا بدمائهم، كان يحوم حولهم مصدرا صوتا مخيفا بين الزئير والنباح.. استطاعوا صيده بطلقات بنادقهم وفي أغلب الأحيان كان صوت الطلقات كفيلا بهروبه وابتعاده عن التعرض لهم فقد كان شديد الخوف من النيران اعتاد الرفاق على ملاقات الثعابين. فحيحها أصبح صوتا مألوقا لأسماعهم بل كان هذا الصوت الرخيم المحبب لهم ينبىء عن قرب تناولهم لوجبة دسمة شهية تعوض أجسادهم ما فقدته من عناصر تكوينها ، تحولت هذه الحيات السامة إلى مصدر غزير للبروتين الذي تعرض حياتهم للخطر مع خلو غذائهم منه.

أما أشد ما كان يخيفهم خلال سيرهم ذلك النوع من الأفاعي المعروف «بالطريشة»، إنها تدفن نفسها في الرمال وتسمع وقع خطوات فريستها عن بعد.. وتحدد اتجاهها بكفاءة متناهية ثم تثب نحو فريستها وتلتصق بعنقها وتنثف سمومها في عروقها ولا تتركها إلا جثة هامة.. من حسن الحظ ولعظمة قدرة الله أن هذه الطريشة الملعونة كانت تصدر صوتا عاليا يسمع على بعد خطوات وكأنها تحتفل بفريستها وكانوا دائما ينجحون في تفادي لقاءها غير السار الذي يندرز

■ الصوت الرخيم ■

بأخطار جسيمة.. واستخدام طلقات رشاشاتهم لارهابها واعادتها لأعماق الرمال حتى لاتنقذ حياتها.

الذئاب كان أمرها أسهل كثيرا من الطريشة فهي حيوانات كسولة متعطشة للدماء التى تأتى سهلة.. كانت أشكالها تيسر مهمتهم فى التمييز بينها وبين الكلاب الضالة.. ذيل الذئب يختلف كثيرا عن قرينه فى الكلب كما أن أنياب الذئب وأسنانه الأمامية أكثر قوة وبروزا وفمه غالبا مايبدو مفتوحا وكانت دفعة من النيران كفيلا بأن يهرب معها أعتى الذئاب ويبتعد من أمامهم دون محاولة للعودة.

تواصلت الليالى وتعددت الأيام والرفاق على حالهم الرتيب ليلهم يمشونه فى السعى ونهارهم فى السبات.. لايفتأرون فى تفادى الأخطار ولايميلون من قطع المسافات كل تبه يقطعونها تسلمهم للتبه التى خلفها فى تتابع رتيب لانهاية له.. أشبه بتتابع الأمواج فى لجة البحار والمحيطات.. تخيلوا أن الصحراء لن تنتهى وأن مشوارهم لن يفرغ وأن الله قد كتب عليهم التيه فى غياهب الصحراء المقفرة كما كتب على اليهود..

أيمكن أن تحدث المعجزة ويتبدلان المواقع اليهود ينتقلون إلى موقعهم غير المحدد مجهول الملامح والأبعاد وهم ينزلون من تبابهم وجبالهم إلى الطريق الشمالى المهد المضاء بأنوار لامعة سواء كانت لمصابيح الطريق القرية من بعض المدن الواقعة على ضفتيه أو أنوار العربات والمصفحات التى لاتتوقف أو تتقطع عن السير عليه ليلا ونهارا.. لكن من أين لهم فرض ارادتهم على الطريق.. انه الآن يئن تحت سير اليهود البغاة.. ان رماله وصخوره ومسطحاته وحتى «مطباته» تشكو من الدنس الذى تعيثه دبابات اليهود فيها إنه يئن متأثرا وكأنه يبكى وينعكس تأثره وبكاؤه على محياه، آثار الجنازير المحتلة تظهر بوضوح على سطحه تحدث على وجهه ندبات.. وتصيبه بنتوءات.. تحفر فى اسفلته جروحا غائرة لايمكن اصلاحها.. فلم يعد من قبل

■ الصوت الرخيم ■

تحمل الحملات الميكانيكية . ان مركبات اليهود المجنزرة تعامله بفظاظة وتقسو عليه بغلظة.

جلس الرفاق يتدارسون : ما العمل وكيف الخلاص ارتسمت على محياهم ابتسامة سخرية من الحالة التي وصلوا إليها يتهمون على أنفسهم من قرط ما ألم بهم من بأس.. ومن هول ما أصابهم من جزع وشر البلية ما يضحك وما لهم لا يضحكون فالأمور جميعا تساوت وإذا كان الموت هو مصيرهم المحتوم فليس أقل من لقاء الله وهم راضون وليسوا بجزعين.. لماذا لا يضحكون فليخففوا على أنفسهم فليس أمامهم مندوحة وليثقوا في قدرة الله مهما تأخرت معجزاته — نعم ليس أمامهم سوى توقع حدوث المعجزة انها فعلا معجزة تلك التي ينتظرونها لنجدتهم من هؤلاء اليهود الملاعين.

الواجهة

قطع الرفاق المسافة بين محطاتهم الأولى التي توقفوا عندها في بئر العبد وتزودوا منها بالمياه العذبة والتهمو فيها الخبز اللذيذ الذي كان طعمه أشهى من الفطير وبين مدينة بالوظة في عشر ليال كاملة رغم أن المسافة بينهما لاتتعدى الخمسين كيلومترا.. لكن السير في الصحراء والتوغل داخلها خاصة بعد حادثة المركبة الإسرائيلية الطائشة ألزمهم بصعود التباب وهبوط الوهاد وتسلق المرتفعات مهما كانت المشقة وأيا كانت الصعوبات فكلها أمور محتملة تجنبهم مغبة الوقوع في الأسر وتمنحهم الفرصة في الاستمرار ، هاموا على وجوههم ليلا وساحوا يقطعون الفياثي ويعبرون القفار مساء .. كان الضابط همام دليل المجموعة وعينها المبصرة يكتشف أحيانا أنها لم تتقدم إلا خطوات قليلة عن مكان بدايتها بالرغم من السير طوال الليل فالملاحه الليلية جعلتهم كمن يسبحون في بحر لجى ليس له ملامح وليس محددا بأبعاد أو معروف الاتجاهات.. كانوا يشفقون على البحارة وزملائهم من رجال الحدود كيف ساسوا البحر وهادنوا الصحراء كيف امتهنوا تلك المهنة التي تعرضهم للأخطار المؤكدة.. لولا تقدم العلم وتطور المعدات لواجه هؤلاء الرجال مغبة التيه في الصحراء رغم مساعدة السفن الحيوانية المعروفة بالجمال، صحيح الجمل صبور وصديق للإنسان لكنه عندما

■ المواجهه ■

يفرغ صبره يتحول إلى وحش كاسر ربما أنهى حياة صاحبه والتهم جسده، ولم يكن همام يخبرهم مع نهاية كل ليلة المسافة التي قطعوها وإنما اكتفى بحفز هممهم وتجديد نشاطهم واستنقار جهودهم مع بداية السير في أول الليل..

استغرقت المسافة بين مدينتي بالوظة ورمانة نصف المدة التي تطلبها سابقتها.. كانت الأرض أكثر استواء وأقل غرزا.. وكان الأمل يتزايد مع اقتراب الهدف.. لم يبق أمام الرفاق إلا بعض الكيلومترات يقطعونها صوب القناة عشرة كيلومترات أو تزيد قليلا لم يكن من الأهمية معرفة المسافة الباقية بالتحديد فقط أن الأمل لا يزال باقيا وأن الله يمد لهم يعونه ويمنحهم المقاومة التي تمكنهم من الاستمرار.. لو أن الله حجبها عنهم أو حرمهم على الأقل من التوفيق لمواجهة نهايتهم منذ بدأوا نزولهم من جبل لبنى في اتجاه العريش أو لاسرهم اليهود على مشارفها.. لمزقت أجسادهم شظايا الألغام أو فتكت بهم نيران الدبابات الذين ساروا بجوارها لولا هذه العناية الإلهية التي أحاطتهم بها السماء لتمكنت منهم الضواري ونهشت أجسادهم الذئاب وخروا صرعى بسموم الأفاعى والطريشة اللعينة.

على مشارف رمانة جلسوا يتدبرون أمرهم ويتدارسون خط سيرهم ويعيدون حساباتهم كيف لهم من عبور القناة وبعضهم لا يعرف السباحة تذكر شوقي في هذه الجلسة كيف أن السباحة كانت دائما تشكل عائقا في سبيل مستقبله قللت مجموع درجاته في كل سنوات عمره الدراسية بالكلية لفقد الثلاثين درجة المخصصة للسباحة.. بل عرضته للحبس لأكثر من ثلاثة أشهر متتالية بعد قرار اللواء محمد فوزي مدير الكلية آنذاك بحرمان الطلبة الذين لا يجيدون سباحة طول الحمام من الخروج مع عطلة نهاية الأسبوع.. أعاد لعدة مئات من الطلبة تمضية فترة المستجدين وهم على مشارف التخرج لولا زيارة الرئيس الجزائري بن بيللا وقيامهم بتقديم عرض عسكري جيد أمامه لما حصلوا على راحة وتنفسوا الصعداء وهم يستنشقون الهواء خارج

■ المواجهة ■

مصنع الأبطال كما كانوا يطلقون على الكلية.. ثم بعد ذلك وقف عدم إجابته للسباحة أيضا في وجه أن يكون من بين ضباط الصاعقة الأشداء لولا قرار حاسم من قائد مدرسة الصاعقة حينئذ المقدم أحمد صلاح عبدالحليم الذي استثناه من الإلزام بالسباحة شريطة القفز من على مسافة عشرة أمتار في النيل. هكذا كان دائما بينه وبين السباحة عداة مستحكم تأتي هنا لتحول دون بلوغه شاطئ الأمان وعبور القناة إلى الضفة الغربية للانضمام إلى قواتهم.. لم يكن بين الرفاق من يجيد العوم سوى همام ويأتي بعده رستم ابن الإسماعيلية الخير بكل متر في شاطئ القناة الممتد لأكثر من مائة وعشرين كيلومترا من بورسعيد شمالا إلى السويس جنوبا .. بقية الرفاق جلسوا يتدبرون أمرهم مع تبدد الأمل وتعذر الخلاص، قال صلاح ماعليكم إن أماننا ليف النخيل متوافر بكثرة بالمنطقة ولا خجل من أن نعود بأيامنا إلى الأصول لقد كنت أرى رجال قرينتا في الصعيد وهم يجدلون الليف مستخدمين أصابعهم كما يستخدم النساجون أنوالهم. لتتركوا أمر الأحبال وصنعها ليدى الماهرة في نسج الليف وتحويله إلى أحبال متينة.. ولم يضع وقتا بدأ فعلا في جدل الليف وتقدم أمير منه يساعده بينما لم يجد شوقى بدا من تجميع الليف من حول النخيل بحثا عن المزيد قال همام أستطيع ومعى رستم أن تساعدكم على العبور بمرافقتكم فرادى نحو الشاطئ الغربى للقناة واعتذر شوقى حاكيا تجربته غير المضيئة يوم أن تعرض للغرق بحمام الكلية عندما شجعه زملاؤه على السباحة معهم ولولا ستر الله لزهقت روحه غرقا.. قدم عبدالقادر للرفاق بعض الأرب من جلود الحيوانات وجدها في إحدى العشش المهجورة القريبة لتسهيل مهمة العبور بالأحبال.. لكن رستم ناشدهم التوقف قائلا مالكم تجتهدون في جدل الليف وماذا أنتم به صانعون إذا كان اليهود قد تمكنوا من احتلال الضفة الشرقية بكاملها فمن سيسمح لكم بربط الحبل على ضفة القناة المحتلة.. وكيف تعبرون هذا المانع المائى المتسع في حراسة جنودهم وتحت نظر رجاله.. صمتوا وكان على رؤوسهم الطير . إن الرغبة في

■ المواجهة ■

الحياة والسعى نحو الخلاص مما يواجهونه من عراقيل يدفعهم إلى إغفال بديهيات لم يكن ليفعلوها لو أنهم بكامل وعيهم وإدراكهم.. صحيح كيف سيتركهم اليهود يربطون حبالهم ويقيمون معيهم دون أن يمتطروهم بنيرانهم ويقضون عليهم فلنكف إذن عن إطلاق العنان للخيال الساذج ولنفكر فيما يعيننا على مانحن فيه بغير سطحية وبتركيز أعمق.

تحدث أمير السبكي وكان آخر المتحدثين بطبيعة أقدميته.. لماذا تفكرون في الغد بهذه القتامة لماذا تقدرون الأمور الأسوأ وتعتقدون مقارناتكم وتفاضلون بين احتمالاتكم غير المضيئة لماذا لانتوكل على الله ونواصل سيرنا صوب القناة فلربما أدركتنا عناية السماء التي لم تتخل أبدا عنا حتى الآن ولنعتبر القناة مع أمثالنا من الشاردين وهم بالآلاف دون أن يظن اليهود إلى نوعيتنا أكنا ضباطا أم جنودا أديهم القدرة على الفصل بين رجالنا ونحن على هذه الهيئة الرثة والقوة المتهاكة.. إننا جميعا تعرضنا لأحوال كثيرة أحالت محيانا إلى خفوت ليس أشبه بخفوت الجنود وإنما أقرب كثيرا من انكسار الشحاذين.. ورد عليه صلاح باستياء ما هذا الهراء الذي تردده يا أمير أن درايتك قليلة وخبرتك معدومة أن اليهود لن يسمحوا لنا بالمرور لن يضاروا من أسر عشرات الآلاف هم مجموع عدد ضباط الجيش المصرى فى سيناء أنهم يتقنون فى استخدام ملكاتهم الشيطانية لتعذيب الأسرى وترويعهم وما عليهم أى جهد فى ذلك فمعسكرات العمل داخل المستوطنات تستوعب الآلاف المؤلفة وليعودوا لنظام السخرة واستخدام الكرابيج فى إخراج ما أبجعتنا من جهد واستنزاف طاقاتنا وقدراتنا.

قطعت جهيضة قول كل خطيب قالها شوقى بعد أن سمع كلمات لبعض الزملاء مروا عليهم عائدين فى الاتجاه العكسى من ناحية القناة سألهم صلاح لماذا عودتكم بعد أن شارقتم القنطرة قالوا بئس قررنا أن نستوطن سيناء بعد أن تأكدنا بعيوننا أن اليهود لن يسمحوا لنا بالمرور ، أنهم يفصلوننا إلى ثلاثة أقسام الأول يحكمون عليهم بالإعدام

■ المواجهه ■

ويحصدونهم بالنيران وهم وقوف معصوبي الأعين دون جريرة أو ذنب، القسم الثاني يزفونهم كقطيع الماشية إلى عربات نصف نقل ويعودون بهم إلى معسكرات الأسرى بالخلف أما القسم الثالث وهم من المحظوظين من أبناء الريف فيتركونهم يعبرون إلى الضفة الغربية دون مساءلة.. أخذ كل منهم ينظر إلى هيئته ليصنفها تبعا لما ذكره الزملاء الفارون أيمن أن يكون أحدهم ضمن الناجين من القرويين أتساعدهم شعورهم الكثة وجباههم التي اسمرت بفعل حرارة الشمس وأشعتها اللافتة، لقد أطلقوا لحاهم وبدلوا ثيابهم وعبثوا بوجوههم ومع ذلك ليس من العسير على اليهود أن يفرقوا بين الضباط والجنود ليس من المجدى أن يبالغوا في عمليات التشبه بالجنود لأن جلودهم البضاء وملبس أقدامهم الناعم وقوامهم الرياضى وأسلوبهم المتمدين فاضحهم لا محالة وكاشفهم أمام اليهود الملاعين الذين لديهم القدرة على تمييز كل شئ من خلال إقامتهم بمصر لفترات طويلة قبل التهجير.. إن بعضهم عاش في إحياء بولاق والسكاكينى والفجالة والظاهر : إن لهم حارات تعرف بحارات اليهود يتحدثون لغتنا ولكتنا فلن يكون من الصعب عليهم التمييز بيننا.. ويخرج عليهم أمير السبكي بفكرة جديدة أنه دائم التفكير حتى مع آرائه السطحية لكنه أبدا لم يقبع أو يركن إلى الاستسلام.. حباه الله بفكر متقد كان من شباب شبرا المرح جرب كل شئ ورافق بعض أقرانه من هواة الترحال فأقاموا معسكرات الكشافة وزاروا المحافظات وتعاملوا مع فئات كثيرة ونوعيات عديدة فأكسبهم هذا بعض الخبرة خالوها ثروتهم التي لا تنضب وتصوروها سلاحهم الذى لا يبلى.. قال أمير إننى أملك قدرا كبيرا من المشاغبة ولدى موهبة خاصة من الغتاة أستطيع معها إثارة اليهود وقبل أن يكمل انفجر الرفاق من الضحك مرة أخرى وشر البلية ما يضحك رغم أن القلوب واجفة والأنفس خائفة ، استمر أمير دون تحفظ وكأن ضحكهم لا يعنيه.. نعم والله أستطيع أن أثير حفيظتهم واستخرج كوامن شرهم وادفعهم لأن يمحطرونا بوابل من رصاصهم وهم يقومون بعملية

■ المواجهة ■

المفاضلة وتقسينا إلى فئات.. وبهذا يكون قد استدرجناهم بعيدا عن قرار الأسر فلننا بذلك الشهادة ووصلنا إلى غايتنا ومبتغانا وتقادينا أن نزف إلى عرباتهم كقطعان الماشية لنقلنا إلى معسكرات النازى أقصد الأسر.. استهجن صلاح الفكرة وأعلن استيائه بكلمات خالية من المجاملة إن أفكارك تصدمنى وأراءك تثير السخرية وتدفع للتهكم مالنا نحن «ولغاتك» التى تملكها أيمكن لهذه الغتاة التى تحكى عنها والتى لمسناها فعلا من خلال تعاملنا معك أن تتجينا من أسر اليهود والذل والهوان الذى يكتفه ، أيمكن أن نعتمد على غتاتك كاستراتيجية نستطيع من خلالها تحقيق هدفنا والوصول الى غايتنا لا لايأخ أمير لقد بالغت فى الثقة بنفسك رغم أننى شخصا لا أنزهك من أن تكون على هذا القدر من الغتاة أو أنقىك من تخيلك لهذه الثروة التى حياك الله بها.. كان صلاح قاسيا على رفق الدرب وزميل الكفاح لم يكن كلاهما يرتاح للآخر.. كان صلاح يرى فى أمير الشخصية العابثة غير المقدرة لعواقب الأمور وغير الملتزمة بالمعايير والضوابط وكان أمير يتصور الالتزام المطلق الذى قد يصل لحد الجبن فى شخصية صلاح ولطالما جاهد نفسه وكبح جماحها فى الانطلاق والاعتراض على صلاح والتمرد على أوامره..

نظر أمير للرفاق ليتبين وقع كلمات صلاح النافذة المتهكمة برأيه وأثر فى نفسه تلك الملامح التى بدت عليها الشفقة به والتعاطف معه وقبل أن يندفع للثأر لكرامته من قائد المجموعة أو على الأقل للرد عليه تدارك شوقى الموقف وقال لأمير : لا لا يا «أمير» لن نستطيع الاعتماد على غتاتك وحدهما مع اليهود أنهم قوم لا أمان لهم ولا يحكمهم خط فكرى سوى أنهم ينفثون أحقادا وعقدا وغالبا ما يأتى سلوكهم متأثرا بهذه العقد ومتمشيا مع تلك الأحقاد وإذا كان لديك ثروة من الغتاة فكثير منا وأنا أولهم لدينا مثلك قدر مناسب منها قالها شوقى يخفف بها عن زميله الذى أوشك أن ينفجر قالها حتى لو أنه لم يدرك أمير قبل انفجاره فعلى الأقل يكون هذا الانفجار معه هو وليس مع رمزهم

■ المواجهة ■

وقائدهم صلاح.. كان شوقى يحاول الحفاظ على توازن المجموعة وروابطها مهما كلفه الأمر أنهم كعصبة أقوى كثيرا منهم كأفراد لماذا يبعثون قدراتهم ويفرقون وحدتهم . الغريب أن أمير أدرك ما رمى اليه شوقى وأثر التعقل مفضلا الصمت على مواجهة صلاح التى قد تؤدى الى طريق اللاعودة بينهما..

ارتسمت على الجنود بقيادة الرقيب عبدالقادر علامات الرضا والارتياح إنهم أقرب أعضاء المجموعة إلى النجاة ورغم أن بعضهم كان من أبناء المدينة إلا أن هيتتهم كانت تنبئ على نوعيتهم ولا تحتاج لكثير من الجهد فى عمليات الاستغراق فى توضيح معالم الجندية والبعد عن مظاهر الضباط ومع كل هذه الثورة المكتومة والغليان الصامت الذى واكب الجميع قال عبدالقادر كلمات قليلة حدث بها نفسه « الله يرحمك ياوالدى لولاك ما كتب الله حاليا لى النجاة لولا أرغامك لى على التطوع فى صفوف الجندية وإحجامك عن تكملة رسالتك وانفاقك على تعليمى لكنك أواجه حاليا المصير المظلم الذى يواجهه حضرات الضابط.. الله يرحمك ياوالدى سلمتني بنفسك إلى شيخ البلد وطلبت منه مرافقتى إلى مركز التطوع بالقاهرة لعدم قدرتك على ذلك.. لم يكن لدى قبل بمواجهة شيخ البلد كان رمز السلطة فى القرية والرجل القوى بعد العمدة يومها أمرنى أن أجهز نفسى غدا ومن يومها لم أعد لقريتنا إلا فى إجازات كل عدة أشهر يرحمك الله يا والدى على هذا الجميل الذى لن أنساه..» ابتسم الرفاق لكلمات عبدالقادر الذى جاءت عفوية برغم قسوة مايشعرون به من مأسى ومراة المفاضلة التى عليهم أن يختاروا بينها الشهادة.. أم الأسر.. خياران كلاهما مر.. خياران لا ثالث لهما.. ترى أيهما يواجهون.. يودون الاستشهاد لكن قد يوقعهم قدرهم فى الأسر إنه الشبح الذى خيم عليهم وأقض مضجعهم وعكر مزاجهم منذ أن بدأوا مشوارهم الطويل.. سيطر على فكرهم وحرهم من التفكير فى ورطتهم والخروج من أزمتهم كان الأسر هو الخطر المصدق بهم بعينه كانوا أحيانا يتحسسون أقيمتهم وظهـورهم ومقاعدهم وكأنهم يهيئونها لتلقى

■ المواجهة ■

آثار التعذيب التى تنتظرهم فى معسكر النازى إن اليهود ابتكروا طرقا لتعذيب أسراهم لم تكن أيام النازى ، استحدثوا فيها أدوات ومعدات جديدة وطوروا طرقا وأساليب غير تقليدية تتمشى مع «ساديتهم» وتتناسب مع شذوذهم الفكرى . أياكون مصيرهم الأسر بعد كل ملاقوه من صنوف العذاب واللوان الهوان؟ أياكون نهايتهم بهذه القسوة بعد كل معاناتهم وآلامهم ؟ .. ومع كل لىس أمامهم سوى الصبر.. ولىس فى مقدورهم سوى الامتثال.

حب
و حرب

١٤

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

تحت ما بين الخطوط

عندما يهز الموت

طالت جلسة الرجال على مشارف مدينة رمانة كان الامر جللا والخطب قادحا والقرار غاية في الصعوبة.. ماذا هم فاعلون؟.. إذا قرروا الحركة إلى أين وإلى متى.. أيتقدمون صوب القناة ويسلمون أنفسهم طواعية لليهود ليفاضلوا بينهم.. يواجه معظمهم الأسر وينقلون في شاحنات الى معسكرات النازي ويلقى البعض الآخر الموت رميا برصاصاتهم الغادرة وينجو قلة منهم تشاء الأقدار نجاتهم فيعبرون القناة ضفة النجاة المسماة بالضفة الغربية أم يرتدون على أدبارهم ويعودون من جديد من حيث أتوا الى الشيخ عيد زعيم قبيلة العبايدة في بير العبد.. يتزوجون من بناته وينخرطون ضمن رجال القبيلة في أعمالهم التي تنحصر في رعى الأغنام والاتجار في الدخان.. سكون رهيب ران الصمت على جلسة الرفاق وشملهم جميعا بلا استثناء وأخيرا تحدث صلاح وجاء صوته خفيضا حزينا خافتا كأنه صدر من العالم الآخر من عالم الأرواح عالم الأشباح نزلت كلماته عليهم كالصاعقة ألجمت السننهم وجمدت أفكارهم وأصابتهم بالذهول والصدمة.. أطلق صلاح قنبلته الأخيرة في مرحلة قيادته للمجموعة زلزلت قنبلته كيان الجميع وفجرت آثارا بركانية كانت قد اختفت داخلهم طوال مشوارهم الشاق.. لا بد أن نتخلص من الحياة بإرادتنا ، لا أن نصرر أرواحنا من

■ عندما يعز الموت ■

قيد أجسادنا، لابد أن نزيح من على كاهلنا شبح الأسر البغيض وأثاره المدمرة ونتائج المزلزلة ، نعم أيها الرفاق وتعمد أن تكون كلماته التالية أكثر تحديدا ووضوحا لابد أن نتحرر بأيدينا قبل أن تنالنا أيدي اليهود.. لابد أن تواجه صدورنا نيران بنادقنا قبل أن تئن قلوبنا تحت وطأة نيرانهم الغادرة على الأقل سنلقى بعض الرعاية من زملائنا الجنود ، على الأقل سيتمكن بعضهم من أن يوارى أجسادنا التراب.. وقبل.. أن ينهى صلاح كلماته اصدر تعليماته ليقوم أمير السبكي بالدور الرئيسي في هذه المهمة الصعبة ليطلق نيران مدفعه الرشاش علينا ، إنه أقدرنا على مواجهة هذه المواقف وليعينه الله بعد ذلك على قتل نفسه..

انفجر بركان الغضب النائر لدى أمير ، شهدت المجموعة أول تمرد حقيقي ، أول مواجهة سافرة وصلت العلاقة بين صلاح وأمير الى نقطة اللاعودة . صاح أمير يهذى بكلمات رافضة ويصيح ويسب الجميع بالفاظ خارجة وينعتهم بشتائم وقحة ويقول طالما تحملت أوامركم التعسفية طالما نفذت تعليماتكم الغبية واقنعت نفسى بالاضطلاع بمهامكم العجيبة قاتل الله الأقدمية التى أجبرتني على الانصياع لكم والالتزام بكلامكم ، تبالكم جميعا وسحقا لأوامركم الآننى تخرجت بعدكم اتحمل رزالتكم وأصبر على سخفكم وانفذ مهمة إزهاق أرواحكم. ماهذه القرارات التافهة السطحية التى تصدر منكم ما هذا العبث الذى تتفنونون في صياغة الحديث عنه أنه «الهلل» بعينه ولن أكون صنيعكم في تنفيذه فلتذهبوا الى الجحيم بعيدا عنى لكن لن تقترف يدى مثل هذا الجرم الشنيع وترتكب هذه الجريمة النكراء.. أثرت عدم الرد على تطاولات المدعو صلاح قائدكم المفدى واستمعت لنصائح شوقى ونفذت كل ماكلفت به من مهام كنت انتظر الى بعضها على أنه ظلم بين لشخصى ومع كل هذا التحمل والصبر وصلت الى هذه الدرجة من الغليان التى لن تعرفوا مداها أو تقيموا حجمها إلا إذا نطق أحدكم ببنت شفة موجها لى أى نقد أو فارضا على أى أوامر وإن شئت فأننا لست منكم وحتى

■ عندما يعز الموت ■

النهاية.. قالها أمير وأدار ظهره للمجموعة وكأنه يعلن عن تمرده الكامل ومروقه السافر..

كان لابد من تدخل شوقي الذى لعب دور مخفف الصدمة لعلاقاته الوطيدة بين طرفي المجموعة.. الكبار صلاح وهمام والأحدث رستم وأمير حدث شوقي مهدئا روع أمير ومعتذرا لصلاح نيابة عنه لقد كنت على صواب يا أمير عندما رفضت قتلنا فما بيننا من عشرة وأواصر يجعل من العسير على أى فرد من المجموعة ازهاق روح بقية الرفاق بيديه.. كما أنه عمل مناف لأى شرائع وأديان.. وإذا كنت أؤيدك فى رفضك إلا أننى عاتب عليك انفعالك الزائد عن الحد الذى وصل بك الى حد الهياج فصلاح لا يستحق منا جميعا إلا كل اعزاز وتقدير.. إنه قائدنا وأخونا قبل أن يكون رئيسنا وأقدمنا وقد كان نعم الأخ طوال مشوارنا الشاق الذى لا يبدو له نهاية وإذا كان قد قسا عليك فى القول أو اعتمد عليك فى العمل فلأنه يعتبرك أخاه الأصغر ويتمنى لك الوضع الأفضل فضلا عن ثقته الكبيرة فى امكاناتك وقدراتك.. حاول أمير أن يسوق بعض مبرراته واعتدل فى جلسته وقبل أن يطلق كلماته التى وضح أنها ستدمر جهود شوقي بادره الأخير لا عليك يا أمير من الاعتذار فنحن جميعا نعتذر نيابة عنك ونقبل صلاح ونستسمحه ونطلب منه العفو والنسيان.. وأنا شخصيا أرى أننى شريك معك فى الخطأ فلقد كان واجبا على أن أناقش صلاح فى أوامره التى كلفك بها ومن ثم فقد تباطأت فى التدخل وهو ماجعل الأمور تستفحل ولا يسعنى الآن إلا أن أطلب من صلاح أن يتولى بنفسه قتل الرفاق. إذا كان مصرا على رأيه.. ولن يجد منا إلا كل انصياع ورضا بقضاء الله وبتلقائية سريعة أخذ صلاح يرد لا..لا..لا لايمكن أن أقوم بتلك المهمة ليس اشفاقا عليكم وارتباطا بكم فحسب وإنما أيضا لأننى أجبن من أن انفذ الانتحار مع نفسى ولن أستطيع العيش بدونكم ولاقبل لى بمواجهة أهوال الأسر بمفردى.. وتبادر الى ذهنه فكرة ظن أنه يهرب بها من تكليف شوقي المباغت.. إذا كنا متفقين على أن الانتحار هو الحل الأمثل لظروفنا الحالية وهو السبيل الوحيد

■ عندما يعز الموت ■

لتفادى شبح الأسر المهين فلماذا لا ينفذ تلك المهمة الرقيب عبدالقادر لن توهه الشجاعة ولن يفقد القدرة كما أنه ليس في حاجة الى مواجهة نفسه والتردد أمامها لأنه لن يقوم بالانتحار بعدنا وبعبقوية شديدة خرجت كلمات عبدالقادر تناشد الرفاق اعفاه من هذه المهمة الثقيلة لا أيها القادة استمحيكم عذرا فلم أكد أصدق ان الله كتب لي النجاة بعد سماعى لتصنيف اليهود للشاردين منا وادراجى في الفئة الثالثة مع المحظوظين.. ولقد توجهت بالشكر بعد الله لوالدى الذى بخل عن الانفاق على وتكملة تربيتى وتعليمى لا أكاد أصدق ذلك حتى أوقع نفسى في شرك القيام بجريمة عسكرية قد تعرضنى لعقوبة الاعدام.. لو أن أحدا أبلغ العقيد عاطف قائد الكتيبة الحازم لما أفلت من رصاصات جماعة ضرب النار التى تقوم بتنفيذ عقوبة الاعدام على المحكوم عليهم بها..

أيها السادة لقد كنت نعم الأخ المطيع إليكم بل وكنت دائما أنا ورفاقى أكثر من الخدم رعاية وصونا لحضراتكم.. فلا تشعرونى أن مكافأتكم لى تكون بحرمانى من الهبة التى منحنا الله أيهاا وكتب لنا البقاء والحياة حتى مع تعرضنا لملاقاة اليهود على ضفة القناة حال وصولنا إليها.. انتهت كلمات عبدالقادر وأسلم الجميع بعدها الى الخلود للتفكير والصمت.. وتعجبوا من الأقدار.. حتى الموت الذى يكرهه كافة البشر أصبح صعب المنال.. عاد حلمنا.. وبات رفاهى لا يمكن توفيرها.. أمير تمرد وصلاح اعترف بعدم قدرته على ذلك حتى لو كان هذا يدخله في عداد الجبناء.. والرقيب عبدالقادر أعلن عن تخوفه من تعرضه لحساب وعقاب القائد وليس خشية عليهم وحبا فيهم.. بالسخرية القدر الموت الذى قيل في الأوراد إنه الحقيقة المؤكدة في هذه الحياة الدنيا أصبح متعذر الوجود وصعب التحقيق.. اعتدل شوقى في جلسته وناشد الجميع أن يسمعه بتركيز وأن يتبينوا مقصده والايسيئوا فهم غرضه وبنبهة خطابية وصوت جهورى قال: إن الله لن يتركنا نهبا لرصاصات اليهود أو فريسة لنيرانهم.. كما أنه سينجيننا من الوقوع في أسرهم وملاقاة إذلالم لو أن إرادة الله لم تشملنا برعايتها وعنايتها للحقنا

■ عندما يعز الموت ■

بزملائنا الشهداء الأبرار ولواجهتنا نفس المصير الذى واجهه الشهيد سيد عبدالغفار والشهيد سيد ياسين والرائد رمسيس رياض والقيب ممدوح والقيب قاروق وعلى سليمان وغيرهم وغيرهم ممن لاتسعفنى الذاكرة على ذكرهم.. لكنت أجسادنا مسجاة منذ فترة فى قبورها بلا حركة ولا حياة .. لكنت أرواحنا قد صعدت إلى بارئها فى هدوء واستلمتها الملائكة يفردون لها الصحف وينشرون لها الأعمال أبعد أن شملتنا العناية الإلهية برحمتها وحفتنا حماية الله بعطفه وقدرته نقوم نحن ببعثة هذه الهبات وإهدار هذه النعم.. مالكم أيها الرفاق تلقون أسلحتكم المعنوية فى يأس وتسلمون مقدراتكم فى قنوط وتفقدون مقاومتكم بغرابة.. سيطر عليكم الخوف من المجهول وهزتك بعض الكلمات التى صدرت بلا تحفظ من أفراد لايتسلحون بالإيمان ولا يعرفون اليقين ، خارت قواهم وقرروا التسليم تحت ضغط مارأوه على ضفة القناة.. ربما خدعتهم أبصارهم وربما تغير موقف اليهود وربما شملنا الله برعايته وأنقذنا كما أنقذنا من قبل من عدة مواقف وصعاب كان أقلها كفيلا بالتسبب فى هلاكنا وفنائنا.

وأردف شوقى يكمل محاولات إقناعه لرفاقه بنبذ فكرة الانتحار قائلا: لا بد أن الله قد أراد بنا خيرا أذ نجانا حتى الآن مما حاق برفاقنا من أخطار نالت منهم وواجهوا معها الموت فلنكن شاكرين لفضله حامدين لعطفه طائعين لأوامره.. ويجب علينا أن نعمن فكرنا بهدوء ونجهد ذهننا بتركيز فى محاولة جادة للخروج من هذا المأزق الحرج.. لا أن نفكر بهذه السذاجة وتلك السطحية فى التخلص من حياتنا والانتحار بأيدينا.. إنه الضعف بعينه.. إنه هروب من أقدارنا.. إنه مسروق وعصيان لأوامر الله.. لن يكون الخوف من أهوال الأسر وما سمعناه عن قسوة اليهود وفظاظتهم مع أسراهم مبررا لنا أمام الله يبيح لنا الأقدام على هذه القعلة الشنعاء.. بل على العكس إنه يعرضنا لغضبه ويحكم علينا بدخول النار.. اسمحوا لى أيها الرفاق أن أعلن أمامكم رضى لهذه الفكرة ودحضى لهذا الاقتراح وبرغم اعترافى

■ عندما يعز الموت ■

بفضلكم وامتنانى لتعاونكم معى غير اننى أفضل الاستمرار فى مواجهة تلك الأخطار عن الركون إلى هذا القرار الخاطيء بالتخلص من الحياة. وحتى مع مواجهتى لاحتمالات الأسر على يد اليهود وحتى مع اعترافى وتوقعى لالوان وصنوف العذابات المختلفة.. غير اننى أفضلها راضيا بها على الاعتراض على مقدرات الله ومواجهة غضبه والتعرض لارتكاب أفظع المعاصى والآثام واقتراف جريمة الانتحار.

وقعت كلمات شوقى على نفوس الرفاق بلسما شافيا لهم من الآثار المدمرة للفكرة الطائشة التى اقترحها صلاح.. ورقعت قليلا من معنوياتهم المنهارة وروحهم المتهالكة.. وران الصمت عليهم من جديد كل يفكر فيما تكون عليه الخطوة التالية وكيف لهم الخلاص وكان لابد من طرح القضية للمناقشة وإتاحة الفرصة المتساوية أمام الجميع للتدبر والتفكير.. المفاضلة إذن بين خيارين.. الحركة صوب القناة مع احتمال التعرض لمواجهة اليهود ومن ثم الوقوع فى الأسر أو الاستشهاد.. أم الخلود والبقاء فى موقعهم ولو حتى على سبيل الانتظار المؤقت.

وعاد صلاح يطرح القضية للمناقشة فالخياران غير مأمونين العواقب.. الأول وهو التقدم صوب القناة ستكون نهايته المحتومة ملاقة اليهود.. أما الثانى فليس لهم قبل باستمراره من أين لهم الغذاء والشراب؟.. نعم هم على مشارف مدينة رمانة التى تبعد عدة مئات من الأمتار عنهم.. لكنهم لا يستطيعون الدخول إليها أو التعامل مع أهلها.. فلربما فرض اليهود حصارا حولها وانتشر جنودهم فى طرقاتها.. يعيشون فيها فسادا ويعيثون بمقدرات أهلها وزائريها.. وتحدث صلاح بنبرات عميقة حزينة.. بالرغم من الآثار المؤلمة التى سببها اقتراحى غير الموفق وما تبعه من هجوم شرس للأخ أمير على شخصى رغم نزاهة ونظافة توجهاتى إلا أنه لابد لى من الاضطلاع بواجبى ومادمت قد قبلتمونى قائدا مؤقتا لحضراتكم خلال مشوارنا الصعب بحكم أقدميتى وسنى فلا بد أن تكون لى المبادرة فى بحث ما نتعرض إليه من أخطار

■ عندما يعز الموت ■

ولعلى أرى أنه لامناص أماننا من إرسال بعض الرفاق إلى حوانيت رمانة يبتاعون منها بعض الغذاء والأطعمة ويحاولون إعادة ملء زمازما وإمدادنا ببعض الفواكه والثمار ولعلى أترك لكم اختيار من يصلح للمهمة لكننى احتفظ لنفسى بضرورة الحذر كل الحذر فى اختيار من يقوم بها واقترح أن يكونوا من الجنود.

بسرعة تم تكليف الرقيب عبدالقادر ومعه اثنان من الجنود كانت هيئتهم تدل دلالة واضحة على أنهم ليسوا من فئة الضباط وعلى بركة الله توكلوا موجهين وجهتهم شطر مدينة رمانة.. بينما جلس بقية الرفاق يتناقشون فى خطوتهم التالية لتحديد مصيرهم المجهول، لم يفت صلاح بوصفه قائد المجموعة من أن يتأكد بنفسه من هيئة المجموعة التى تكلفت بإحضار الغذاء من حوانيت رمانة وتوصية عبدالقادر بتفادى أى مواجهة مع جنود اليهود إذا كان لهم تواجد بطرقات المدينة مهما كلفه ذلك ولو كان على حساب العودة دون شراء مايلزمهم من طعام وشراب لأنه أفضل كثيرا من الصدام معهم.

ورغم أن صلاح فتح باب المناقشة أمام الجميع فى الحديث وناشدهم على أن يدلوا بدلوهم فى تحديد مستقبلهم وتقرير ملامح خطوتهم التالية.. غير أن أحدا منهم لم يجد لديه الرغبة فى الكلام.. ضاقت الحلقة واستحكمت العرائيل وسدت المنافذ وليس من سبيل أمامهم إلى النجاة. ضرب الفشل أطنابه فى النفوس واحكم القنوط فى العزائم وخارت القوى وتهاوت المقاومات.. شرد الجميع بنظراتهم وزاغت الأبصار وطاشت الأفكار.

وهم على حالهم هذا وصل عبدالقادر ورفيقه وحملوا ثلاثتهم بعض الأرزفة الآلية وبعض الأطعمة الشهية والثمار الناضجة.. ورغم إحساس الرفاق بالجوع ورغم عوزهم الواضح طوال الرحلة غير أن النفس افتقدت الشهية وعافت الأطعمة وظلت الأكف على الخدود وانطلقت الخيالات فى محاولة لفك رموز وطلاسم موقفهم الغامض.

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

التي تسمى
التي تسمى

الإعرابي الحافي

تفرس شوقى فى جموع المعزين لعله يتبين منها ما يعينه على تأكيد استنتاجه بأن شقيقته الكبرى هى الفقيدة بعينها .. وليس غيرها .. كان القارئ يتلو آيات الذكر الحكيم ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفلان مت فهم الخالدون .. كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ (صدق الله العظيم).

رأى أشقاء زوج شقيقته الصغرى يقفون بجواره وقد بدا على وجوههم مظاهر فرط التأثر والحزن حمر الوجوه متورمو الأعين من البكاء .. بعث هذا المشهد فى نفسه بعض الشك .. لم تكن علاقة أسرة زوج شقيقته الصغرى قوية لهذه الدرجة بشقيقته الكبرى بل لعل الشقيقتين لم تكن تتبادلان الزيارات الأسرية لاختلاف طبائع وسمات الزوجين فما بال أشقاء زوج شقيقته يبالغون فى تأثرهم .. أتكون شقيقته الصغرى هى الفقيدة؟ .. إنه لم يتأكد بعد من شىء .. تداخلت الأمور تضاربت الاستنتاجات .. لم يعد يدرى من الفقيدة كل ما يدرى أنها ليست والدته .. ويحمد الله كثيراً على ذلك . فلقد أبقاها الله له لبيثها شوقه ويواسيها فى مصائبها بالرغم من أنه يستحق نفس القدر من المواساة .. إنه يحب أشقائه حبا جما .. كان لا يستطيع فراقهم ولا يقوى على الاستغناء عنهم..

■ الإعرابى الحافى ■

ومن فرط جزعه وعجزه عاد بذهنه من جديد ليتذكر رفاقه وهم جالسون وكان على رؤوسهم الطير على مشارف رمانة .. لاتزال الأطعمة التى جلبها عبدالقادر أمامهم لم تمس .. أفواهم مطبقة ونفسهم مسدودة حتى عن الكلام فمابالك بتناول الطعام أنه يحتاج لقد كبير من التوافق مع الذات وذواتهم أصلا منهارة .. ومعنوياتهم منعدمة.

بينما هم ساهون لمح أمير وكان لايزال معرضا عن المجموعة ولم ينس بعد حالة الهياج التى انتابته اعرابيا يسير بجوارهم كانت ثيابه رثة ولحيته كثة وأثماله بالية ممزقة ومرتقة .. كان ميمما وجهته شطر الشمال قادما من اتجاه القناة ناداه وبادره بالسؤال عما تبحث وإلى أين تتجه؟ ورد الاعرابى بعفوية لا أبحث عن شىء واسير فى اتجاه قبيلتى المنتشرة على بعد عدة كيلو مترات من المنطقة .. وأين كنت؟ ورد الرجل بنفس التلقائية .. كنت فى مهمة انسانية مع بعض الرجال الشاردين.. قمت بقيادتهم متفاديا أماكن تركز وانتشار اليهود وحتى أوصلتهم إلى الضفة الغربية للقناة.

آه .. أطلقوها جميعا هذه المرة بسعادة غامرة وكأن الاعرابى انتشلهم من الغرق من بحر الصحراء المظلم .. وكأنه قادهم فعلا نحو النجاة وصوب الخلاص، نسوا حالتهم النفسية المكتئبة وتبدد اليأس الذى تفتشى بينهم والدمار الذى حاق بهم .. آه لقد جاء الفرج وأرسل الله معجزته متمثلة فى هذا الاعرابى الحافى . إنها إرادة الله التى تفرض مقدراتها على رقاب الجميع فما بالك باليهود الملاحين الخارجين عن تعاليم الأديان المحرفين للرسالات السماوية السائرين على بروتوكولاتهم الوضعية . إن ترتيب السماء خير من تدابير البشر حتى ولو اجتمعوا على كلمة رجل واحد .. يا لرحمة الله بعباده .. يا لقدرة الخالق ببشره ، إنه الواهب الرحمن الرحيم .. عجزوا تماما عن نجدة أنفسهم.. وقبل أن يستسلموا لحققتهم وتضيق بهم السبل وتعز عليهم الحياة أرسل اليهم معجزته وبعث لهم المدد وهبهم العون .. وما أدرهم

■ الإعرابى الحافى ■

بأنه إعرابى ربما كان ملكا من السماء أرسله الله ليهديهم إلى طريق الانقاذ .. ربما كان من أولياء الله الصالحين دفعه الله اليهم لانتشال تلك الأرواح والأنفس الطاهرة البريئة قبل أن ترتكب جريمتها وتتخلص من حياتها وتزهق روحها .. مادام الله قدر لهم الحياة فلن تقف أمام قدرته ارادة ولن تعترض مشيئته عقبة .. الحمد لله الحمد لله ردها الجميع بصوت خاشع .. نطقت بها القلوب .. وهتفت بها الأفئدة تضرعا وامتنانا لله عز وجل أن كتب لهم الحياة بعد أن اشرقوا على الهلاك وامتدت لهم يد العناية الالهية لتنقذهم من المصير المؤلم الذى كان ينتظرهم ويخيم على مسيرتهم.

بمجرد ان استمع شوقى لاجابات الإعرابى استعد بأسهل مهمة وهى اتمام الاتفاق مع الرجل لتكرار مشواره الذى أنقذ به أرواح زملائهم من قبل وخطب وده واستنفر تعاطفه عندما بادره بقوله اليس من الممكن أن تقوم بعمل بطولى للمرة الثانية فى وقت قياسى وتعاود قطع هذا المشوار الشاق فى محاولة انقاذنا وقيادتنا بعيداً عن أعين ومتناول اليهود ؟.. اننا لن ننسى لك هذا الجميل ما حيننا إن هذا الصنيع سيطوق أعناقنا بفضل لن نبخسك حقه فيه أبدا وسيكون بيننا وبينك وصال لاينقطع وأواصر لاتنفصم .. وكيف لا يحدث هذا التقارب بيننا وبينك وقد انتشلت أرواحنا من مستنقع الموت وأنقذت انفسنا من هاوية الاسر.

لم يستمع الرجل لكل توسلات شوقى وكلماته المشجعة .. وسأله بسفور شديد .. كم سأتقاضى منكم مقابل مشوارى معكم لقد دفع السابقون خمسين جنيها للفرد الواحد .. وأراكم تزيدون عن العشرة.. وأتوقع أن يرتفع المبلغ إلى الخمسمائة جنية .. فغر شوقى فاه وارتسمت على ملامح الرفاق آيات الاستغراب والتعجب .. لم يخجل الرجل من أن يطالب بأجر مادى نظير قيامه بمهمة وطنية انسانية.. الا يعلم أن المادة إذا تدخلت فى مثل هذه الاعمال القومية انتقت عنها الملامح الداخلية المخلصة وحرمتها من الدوافع الرقيقة السامية لكنهم شعروا

■ الإعرابى الخائى ■

بعد برهة أئهم يظلمونه وأنهم بالغوا فى تقييمه .. الرجل اعرابى مسكين ليس لديه قوت يومه ولايملك ما يدفع عنه عوز الاحتياج وربما الجوع فكيف يتحلّى بمثل هذه الشعارات التى ليس لها أى وجود فى عالمه المتخلف! كيف له اهدار تلك الفرصة التى لن وجود الزمان بمثلها ماله هو ومالهذا الكلام الضخم الفخم الذى لايفهم ابعاده ولايدرك مراميها إنها مهمة كئى مهمة يقوم بها فى قبيلته يستأجره رجال القبيلة لرعى الأغنام بمقابل .. ربما لا يكون بالجنيهاات وربما اكتفى بأحدى الصغار الوليدة وبعض الألبان المنتجة .. أنه لم ير من قبل مثل هذه المبالغ الكبيرة .. ولعله لم يشاهد الورقة فئة العشر جنيهاات فى حياته الا بين يدي زعيم القبيلة نفسه ما عليه من كل هذا إنه أمام صفقة كبيرة ربما رفعت من عداد الرجال الذين يعملون بالأجر إلى بعض أصحاب النفوذ بين القبيلة من الذين يلعبون ادوارا هامة ويتدخلون فى رسم استراتيجيتها وبحث واتخاذ قراراتها المصيرية..

فلنتفق انن على المقابل الذى تطلبه قالها شوقى وقضى بكلماته على حالة الشرود التى انتابت المجموعة وهم يتفرسون فى الأعرابى ويكاد ينقضون عليه للفتك به .. لم يرد شوقى اهدار الأمل الذى لاح مؤخرا وبدد الظلمة الحالكة والعنمة القاتمة لن أزيدكم عن المهمة السابقة لى مع زملائكم بالرغم من أن قدماى لم تعد قادرتين على حملى وطاقتى لم تعد تستطيع تحمل مهام أخرى.. أراد الأعرابى بمقولته أن يستحث شوقى على الدفع ويخاطب إنسانيته لاجزال العطاء ويثير فى نفس الوقت حفيظته وشكوكه من أنه قد يرفض القيام بالمهمة تماما وبهذا يكون قد هدم آخر آمالهم فى البقاء ودمر ما تبقى لهم من مقاومة وأجاب شوقى من فوره .. ماعلى فأنا أضمن لك المبلغ الذى حددته لكننى أود توضيح أمر قد يكون خافيا عليك اننا ننقسم فيما بيننا إلى ضباط وجنود.. الضباط قادرون على دفع المبلغ الذى طلبته بكامله لكن الجنود سيراقدوننا دون مقابل .. هكذا هم دائما منذ بدأنا المشوار لايشاركون فى الدفع لأن مرتباتهم لاتكاد تكفيهم الخمسة ايام الأولى من يونيو

■ الإعرابى الحائى ■

لضآلتها وطالما اتفقنا على ذلك فإنه لك فى ذمتى مائتان وخمسون جنيها نظير قيادتك لنا نحن الخمسة اتعهد بدفعها لك بمجرد وصولنا إلى بر الأمان الذى تعرفه .. لم تظهر على ملامح الرجل أى بادرة رضا ولم يبد أى استعداد للحركة وكأنه لم يعجبه الاتفاق ولم يعتمده .. اقترب شوقى أكثر من الاعرابى فى محاولة لاستماليته وترضيته .. ربت على كتفه قائلاً مالك يا أخا العرب وكأنك تبدو غير راض .. لقد وعدتك بدفع المبلغ الذى حددته وناشدتك باعفاء الجنود من الدفع لظروفهم الصعبة وبعد كل هذا لابد أن تقدر بمشاعر الامتنان التى نحملها لك نظير قيامك بهذا الجهد المضى وما ننويه من تسجيل ذلك فى التقارير التى سنرفعها لقيادتنا نعترف فيها بفضلك ونمجد فيها تضحياتك .. لم يكن الاعرابى يسمع أى كلمات قد تبعده عن صفقته المادية فلقد كان اعترافه فقط بلغة النقود أما سلاح المعنويات وعبارات الاشادة والمديح فقد كانت بالنسبة له عملة مزيفة لاتعرف طريقها إلى قلبه وعقله .. إذا كنتم موافقين على المبلغ فلماذا لم أر الآن أى نقود؟ لماذا لاتقومون بالدفع الفورى؟ قالها الاعرابى وهو ماذا يده ويتيحاً لاستقبال المبلغ لم يفت شوقى ما استحته الاعرابى عليه لكنه لم يفهم دوافعه إلى ذلك .. وقال بهدوء لماذا تصر على تحصيل المبلغ الآن وقد وعدتك بدفعه فور وصولنا إلى مرفأ النجاة الذى ستقودنا نحوه .. وماذا يضمن لنا نجاح مهمتك .. ثم الأمر الأهم من كل هذا اليس من الممكن أن أقوم بدفع المبلغ بكامله الآن ثم اغتصبك اياه بمجرد وصولنا إلى غايقتنا؟ فرغ شوقى من اطلاق استفساراته وكأن الاعرابى توقعها مسبقاً .. وبهدوء قاتل وتلقائية فطرية قال الرجل .. مشواركم الذى ساقطعه معكم أحفظه عن ظهر قلب ولم أكد انتهى منه منذ ثوان معدودة ولا أدعى أننى أعرف دروب أغوار سيناء فحسب فأنا أزعم أننى عليم بكل شبر فيها، حافظ لكل معالمها، واع بكل ابعادها ولامحها .. ونحن لن نختلف على ذلك فإذا كنتم غير واثقين من نجاحى فى مهمتى معكم فلا تغامروا باسنادها لى ولتبحثوا لكم عند بديل كفاء غيرى أو حتى تعتمدوا على أنفسكم

■ الإعرابى الخافى ■

وعلمكم ، معداتكم الحديثة التى أراها بين ايديكم وتريحونى من هذا العبء الثقيل .. أما إذا لم يغامركم الشك فى هذا لتتوكل سويًا على الله ولنعتمد على توفيقه وهدايته ..

وأضاف الإعرابى هذا من حيث المهمة أما عن المقابل وامكانكم استرداده حالة وصولكم إلى غايتكم منى عنوة فلن يكون هذا فى مقدوركم لسبب بسيط هو أننى سأدقنه فى الرمال أمامكم بمجرد استلامى له .. وسأنقب عنه وأستخلصه لنفسى وأنا فى طريق العودة وهذا ما فعلته فى مهمتى الأولى ولعلكم تلاحظون أننى لأحمل نقداً وإنما فى طريقي إليها حيث قابلت الرجال السابقين على بعد أمتار من مجلسكم هذا..

تبين الرجال أنهم أمام شخصية واعية وليست كما تصوروها من سذاجة.. واستحال عليهم القيام بأى نوع من أنواع المناورة معه وما عليهم إلا الانعمان والتسليم .. ولم يكن أمام شوقى سوى أن يهم بتحصيل مبلغ الخمسين جنيهاً من زملائه وبمجرد أن أوماً اليهم بادر الرفاق بمناولته أياها واجتمعت كلمتهم على الموافقة وسلمها بكاملها للأعرابى الذى أعاد عدها والتتيم عليها وبعد أن اطمأن لاكتمالها استأذنهم فى الابتعاد عدة خطوات وقام بربطها ووضعها فى حفرة صغيرة وضع فوقها حجراً مميزاً من المنتشر بالمنطقة وعاد اليهم ينبئهم أنه على أهبة الاستعداد للبدء.

كان لابد أن يتحاور همّام عين الجماعة أكثر أفرادها إلماماً بالملاحة البرية مع الإعرابى ويتفهم منه وجهته حتى لايفاجأ الجميع بوقوعهم فى قبضة اليهود وانتهاء أملهم فى البقاء وبإدراك همّام صف لى يا أخا العرب ماذا أنت فاعل بنا وفى محاولة لترضيته وعدم اغضابه أردف قائلاً .. نحن لانتشكك فى قدرتك بل لعلنا نثق تماماً فيها لكن من باب التشاور نود أن تشارك الرأى وبعد أن تقتنع لن يكون لنا معك أى اعتراض أو مقاومة ودون أى أكثرث أو أى تردد تحدث الأعرابى وقد اطمأن إلى أن المبلغ الذى تقاضاه لن يصل العقرية إليه بعد أن اخفاه فى الرمال ..

■ الإعرابي الخافي ■

وهذا كل مايعنيه لايهمه أى شىء سواه وحتى لو أنهم تعرفوا على خط السير وأرادوا أن يقطعوه بمقردهم فيلقعوا ويكون قد فاز هو بالمكافأة دون أن يبذل أى جهد أو مشقة .. انتم الآن تسيرون بمحاذاة الطريق الشمالى فى اتجاه القنطرة .. ومادام القنطرة قد وقعت فى قبضة اليهود فهى اذن لاتصلح الآن لاستقبالكم

وما علينا إلا أن نغير خط السير تماما ونتحول بمحاذاة القناة بعد أن نقطع الطريق الشمالى فى اتجاه بورفؤاد وأردف الاعرابى وكأنه يشرح خطة عمليات كاملة .. أمانا الآن تحفظان الأول أن نقطع الطريق الشمالى قبل حلول النهار حتى لاتكون قافلة الشمال اليهودية التى تقل الأسرى إلى المعتقلات فى طريقها صوب العريش .. ثانيا أن نتفادى المشى فى الملاحات حتى لا تستنزف الجزء الأكبر من طاقتكم وتبعثر جهدكم وحاوره همام اذن بورفؤاد مازالت صامدة تقاوم اليهود .. قال الاعرابى وكان شيئا لايعنيه اليهود لم يحاولوا اصلا اقتحام بورفؤاد ولعل هذه المدينة فى حماية الملاحات والارض الغرز المنتشرة حولها.. اليهود يدركون تماما طبيعة وطبوغرافية المنطقة انتشروا بدباباتهم فقط على ضفة القناة الشرقية وابتعدوا عن مناطق الغرز حتى لا تتعرض دباباتهم لأى خسائر .. وواصل همام استفساراته .. وكم بيننا وبين بورفؤاد؟ ليس أقل من سبعين كيلو مترا هكذا رد الاعرابى باقتضاب أولا هناك عشرة كيلو مترات أو تزيد قليلا بيننا وبين الطريق الشمالى ثم بعد ذلك مايقرب من ستين كيلومترا أخرى بين القنطرة وبورفؤاد قالها الاعرابى واضعاً فى اعتباره انهم سيسلكون طريقاً ممهدة وأن هذا قد يزيد المسافة طولا .. ونظر همام إلى رفاقه وكأنه يقول بعينه إنه مقتنع بما قاله الرجل شريطة أن تكون معلوماته صحيحة فبعد الأيام العجاف التى أمضوها فى قطع المسافات الطويلة سيرا على الأقدام والاختطار والأهوال التى صادفوها لم يعد لديهم ثقة فى أى شىء سوى فى قدرة الله وعنايته ولطفه بمجموعتهم والذى ابقاهم حتى الآن على قيد الحياة والا لكانوا جميعاً من الهالكين .

■ الإعرابي الخافي ■

عقد الرفاق الخمسة اجتماعاً مغلقاً مستغلين انشغال الاعرابى فى احاديث جانبية مع الجنود ليتدبروا أمرهم ويحسموا كلمتهم .. فقد كانت الخطوة التالية تعنى الكثير .. لم يكن المبلغ الضخم الذى تقاضاه الاعرابى يشكل أى أهمية لهم، انعدم احساسهم بقيمة الماديات بل لعلمهم شاهداً أمير السبكي وهو يصنع لفائف التبغ بلف بعض الدخان الذى حصل عليه من العرب الرجل بورق الجنيهاات الخضراء .. كان احتياجه للتدخين يفوق حرصه على الأوراق المالية التى لا تشكل بالنسبة له أى مقابل .. انها مجرد أوراق لاعائد منها ولافائدة لها لكنهم يودون مراجعة معلوماتهم للتأكد من سلامة تحركاتهم صوب بورفوآد .. لم يكن همام أكثر منهم دراية أو معرفة بعد أن بلغوا هذا المنعطف واضطر صلاح للتدخل مادامنا جميعاً نستوى فى الجهل بطبوغرافية المكان فليس أمامنا إلا أن نعقلها ونتوكل .. قلن يكون تحركنا هو أسوأ ما تعرضنا له خلال مسيرتنا على الأقل أنه أفضل من الاستسلام وليس أمامنا سبيل غير الاعتماد على هذا الاعرابى الجشع ونسلم له قيادتنا .. من يديرنا لعل الله ارسله لنا لينقذنا مما يحيق بنا ولاتدركه بصائرنا .. واجتمعت كلمتهم على أن قيادة الاعرابى لهم فى الفترة القادمة ليس لها بديل .. وكان الرجل قد دنا منهم والشمس قد مالت للمغرب واختفى بريق أشعتها وتوارت أضواؤها فى الشفق الأحمر الداكن فأحالت الرمال إلى حمرة مصفرة أشبه بمناجم الحديد ..

تحدث الاعرابى بعد أن انتصب أمامهم وسألهم هل أنتم مستعدون يا رفاق ؟ ورد الجميع على بركة الله فلنبداً مسيرتنا ولنتوكل على مولانا وهادينا وتقدم همام إلى الأمام فى محاولة للمشاركة فى القيادة لكن الاعرابى قال له لن تجديد بوصلتهم ولن اعتمد على معادتك هى لك أما أنا فيكفينى النجمات الساطعات والتى ستتلاها فى كبد السماء بعد سويغات قليلة .. ومضى الجميع تحفهم عناية السماء وترعاهم بركات الرب ويتوجهون بقلوبهم إليه أن يمنحهم التوفيق فى المرحلة الأخيرة من مشوارهم الشاق.

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

السلامة

الاحداث

تسرب إلى شوقي احساس بالياس وهو يستسلم إلى العقبة الكتؤد التي حرمته من قطع الخطوات القليلة التي تفصله عن منزلهم والمتمثلة في السرادق الضخم الذى أقيم أمامه.. وتضاعف هذا اليأس عندما فشل في فك رموز الطلسم وتحديد شخصية الفقيدة بعد أن تضاربت الاستنتاجات وتداخلت التوقعات وتعارضت المشاهد.. مرة قطع بأن شقيقته الكبرى هى التى أقيم من أجلها السرادق الشاهق ومرة أخرى تصور أنها الصغرى ومع حيرته في تحديد شخصية الفقيدة ومع استسلامه للبقاء في وقفته إلى أن ينفض جموع المعزين من تأدية واجب العزاء انطلق خياله في اجترار نكريات المشوار الرهيب والاختار التى صادفتهم مع كل لحظة مروا بها إلى أن اسلموا قيادتهم للأعرابى وغيروا من مسارهم ليكون اتجاههم صوب بور فؤاد بدلا من القنطرة.

استمرت الجماعة على سيرها منذ الغروب وحتى فجر اليوم التالى لم تتوقف إلا للحظات لتبادل الرأى والمشورة.. فقد كان من المفروض أن يعبروا الطريق الشمالى في جنح الظلام قبل أن يطلع النهار حتى يتفادوا مواجهة تحركات اليهود النشطة التى تبدأ منذ الصباح الباكر عليه وبحسبة بسيطة ومع التسليم بأن المسافة التى كانت تفصلهم عن الطريق الشمالى لاتزيد عن عشرة كيلو مترات فقد كان عليهم إذا صحت وجهتهم أن

■ الملاحظات ■

يعبروا الطريق في تمام الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل.. إلا أن هذا لم يحدث وقد قاربت الساعة الخامسة وأصبح النهار على الأبواب وبات وقوعهم في أيدي اليهود أمرا متوقعا فيما لو استمروا على سيرهم دون توقف.. وتدخل صلاح وقال للأعرابي أراك قد ضللت الطريق وحدت عن الاتجاه السليم وإلا لكانا قد عبرنا الطريق الشمالي منذ مدة.. وقبل أن يرد الأعرابي عاجله همام قائلا اننا نحاسبك على اتفاقك معنا لقد قلت اننا سنعتبر الطريق الشمالي ونحن نسير في محازاة القناة في اتجاهنا صوب بورفؤاد.. وبما اننا لم نكن نبعد عن الطريق سوى بضعة كيلو مترات فمالنا لم نعبره حتى الآن؟ وتلعثم الأعرابي ولم يجر جوابا.. فأدرك الرفاق أنهم تاهوا بين التباب والكثبان الرملية المتماثلة خاصة وأن الأعرابي كان يفضل السير نهارا غير أنهم أصروا على اتباع أسلوبهم التقليدي في الخلود إلى الراحة نهارا والسير ليلا احتما بستره وتقاديا للعطش الذي قد يصيبهم لفقدهم لكثير من العرق خلال السير.

وللمرة الثانية استرد صلاح القيادة من الأعرابي وقال لرفاقه فلنتوقف في مكاننا ونمضي بقية النهار فيه لاننا لانضمن عواقب استمرارنا في السير.. من الواضح ان اخانا الأعرابي قد تدخلت عليه الهيئات وفقد اتجاهه الصحيح وحتى نبتعد عن المحذور فلنفكر في كيفية تهئية المكان لاستقبالنا طوال ساعات النهار وحجب أشعة الشمس عن أن تلفح وجوهنا وأجسامنا خاصة وقت القيلولة التي لاتطاق..

وبدأ كل عضو في المجموعة يفكر في قرار صلاح وبسرعة طاقوا في المكان يبحثون عن شيء يحميهم من حرارة الشمس.. وتحدث همام قبل أن يبتعد الرجال عن المكان سنحفر عدة حفر مستطيلة الشكل بحيث تكفي كل حفرة لشخصين معاً.. ولنبعث في المنطقة عن بعض الشجيرات «وكدي الحشيش» وهي نوع من أنواع الزرع يطلع عشوائيا بالصحراء وشديد الشبه بورد النيل ينمو ويتكاثر تلقائيا على صفحته لتغطية الحفر بعد الولوج فيها.. وبذلوا كثيرا من الجهد في البحث عن مواد تصلح لتغطية الحفر التي ستؤويهم طوال نهارهم إلا أن جهدهم راح سدى فلم يكن

■ الملاحظات ■

بالمنطقة مايمكن الاعتماد عليه أو الركون إليه.. اختار كل اثنين حفرة صغيرة تم حفرها على عجل وقاموا بتغطيتها ببعض الحشائش بسرعة فائقة وقبل أن تقهر أشعة الشمس المضيئة عمدة الليل الداكنة تحول الرجال إلى عدة قبور اختيارية ضم كل واحد منها فردين.

اختار صلاح لرفقته همام.. واستسلم شوقى لحضن رستم وسكن أمير خاضعا لظلم الاقدمية إلى صدر الرقيب عبد القادر برغم اختلاف المشارب والابعاد.. واطمأنوا إلى أن الاعرابى قد قبع في حضن فرغلى دون مقاومة حتى لا يطلق ساقيه للريح بعد أول عقبة صادفته في قيادتهم.. وقبل أن يتوارى الفجر وتصدح أشعة الشمس تعلن عن انبلاج النهار استسلم الرفاق لحالة من السبات الاجبارى تقاديا من مواجهات قدرية ليس لهم قبل بمواجهتها.. أشعة الشمس الملتهية في هذا التوقيت الصيفى الحار والتي كادت من قبل أن تودى بحياتهم عطشا وظما على مشارف بير العبد واليهود الذين يتحولون مع بداية الصبح إلى خلايا دؤوب تتحرك في كل اتجاه لتعزيز مواقعهم وامداد رجالهم باحتياجاتهم الأساسية.

قطع سكونهم العميق صوت أشبه بالصراخ.. النجدة.. النجدة.. فلتهبوا من سباتهم أيها الرفاق.. فلتلحقوا انفسكم قبل أن يحيق بكم خطر مؤكد.. انكم على مشارف الأسر.. انكم تنامون على فوهة بركان.. وانتقض الجميع خارجين من قبورهم الاختيارية لتلمس الأخبار والوقوف على دوافع الصراخ.. وبالهول ما رأوا.. وجدوا همام وقد وقف مذهولا لا يقوى إلا على أن يشير بأصبعه صوب الغرب.. التفتوا إلى حيث أشار.. لم يكن من الصعب عليهم أن يتبينوا الخطر الفظيع المحدث بهم.. رأوا أنهم اختاروا قبورهم في جنح الظلام وهى لا تبعد خطوات قليلة من الطريق الشمالى.. نعم انه الطريق بامتداده الداكن وأعمدة التليفونات المصطفة على جانبيه الأيمن وأعمدة الاضاءة المنتشرة حول ضفتيه وأرضه الاسفلتية اللامعة.. جاءت صرخة همام عندما هب من سباته بعد أن اكتشف انه نسي قضاء حاجته قبل أن يركن إلى حضن صلاح.. وكان الصبح قد بدأ نشر أشعته فشملت المنطقة وأوضحت الرؤية .

■ الملاحظات ■

وبدون اتفاق وبلا قرار هرع الجميع يجرون بلا تدبر أو ترتيب الكل
يجرى بكل طاقته وبأسرع مايمكن ليتوغل الناحية الأخرى من الطريق قبل
اكتمال ضوء النهار حتى لا يراهم اليهود وهم في طريقهم مع قافلة الصباح
المتجهة من القنطرة إلى العريش.. تساوت الرؤوس في سباقهم هربا من
شبح الأسر وبحثا عن النجاء.. الكل يحاول أن يحقق الرقم القياسي في
السرعة ليقلت بنفسه من مرمى نيران اليهود لو أنهم أدركوهم.. ربما كانت
المسافة التي قد تنقذهم من نيران اليهود مجرد خطوة يناوون بها خارج
مرمى النيران.. ظلوا على جريهم دون إبطاء.. الروح غالية.. وجميعهم
يتمسك بأهداب الحياة.. سبحان الله وجل شأنه.. من شاهدتهم وهم على
هذا النحو من الفرع والهلع لا يتصور أنهم منذ فترة ليست بالطويلة كانوا
قد قرروا الانتحار.. كان أقربهم إلى شاطئ النجاء معظم الجنود ومعهم
على نفس الخط رستم ذو القوام الرياضى المشوق والنفس الطويل فأمير
ويأتى بعد ذلك كل من صلاح فهمام واحتل مؤخرة السباق شوقى بساقه
المعتلة وبرفقه الاعرابى المرهق من فعل المشوار الذى قطعه من قبل.

ظلت المجموعة تعدو منذ الساعة السادسة صباحا وحتى التاسعة وهى
لاتصدق أنها أصبحت فى مأمن.. ولم يتوقف أحد منهم عن العدو حتى
أيقنوا أنهم خارج مرمى كل الأسلحة الصغيرة لليهود ولكن لا يضمنوا
مطاردة عرباتهم الجيب المجهزة بمدافع رشاشة إذن لا يجب عليهم
التوقف.. فليستمرروا فى الجرى لفترة أخرى حتى بعد أن خارت مقاومتهم
وضعفت قدرتهم على الاستمرار.. فجأة وجدوا أنفسهم وسط ملاحاة..
تفوص أقدامهم فيها أكثر من نصف متر.. تتحطم القشرة الرقيقة العليا لها
تحت وطأة ثقلهم وتصطدم أقدامهم بعد أن تقطع هذه المسافة خلال المياه
الملحية بنتوءات صلبة أشبه بالمسامير.. ومع كل خطوة ومع كل حركة تنال
تلك المسامير من أقدامهم فتدميها.. أصبح الرفاق يتحركون وسط بركة
من الدماء.. اختلطت دماؤهم بالمياه الملحة فأحالت لونها الأبيض إلى حمرة
داكنة.. وتغلغل الملح فى خلاياهم فأصابهم بالألم غير المحتمل.. ومع كل
هذه المعاناة.. ومع هذه الآلام الفظيعة لم يتوقف الركب إلا بعد أن انتصفت

■ الملاحظات ■

الشمس كبد السماء.. استحالت الحركة مع هذه المقاومة الحادة.. لم تكن مسامير الملح هي العائق الوحيد أمام استمرار سيرهم.. وإنما تأثرت أقدامهم بالمياه الساخنة من حرارة الشمس.. ومع سخونة المياه والجروح التي ملأت أقدامهم.. التهب سيقانهم واحمرت وبيات عليهم ضرورة التصرف حيال هذه المستجدات التي لا يمكن مواجهتها.. هذه الصعوبات التي حالت دون استمرار تقدمهم وتعذر معها سيرهم صوب بور فؤاد..

كان الاعرابي هو الوحيد بينهم الذي لم يتأثر بفعل النتوءات المحلية وسخونة المياه.. حبا الله قدميه بطبقة تستطيع مقاومة أى شيء.. لقد قطعت هذه الأقدام مئات الكيلو مترات دون كلل أو شكوى..

باتت قدماء أشبه بخف الجمل الذي يحمى أرجله من الغوص في الرمال الناعمة والتأثر بسخونتها المحرقة.. كان الاعرابي يحاول قدر طاقته التخفيف عن بقية الرفاق تصور أنه المسئول الأول عن سلامتهم.. هو الذي أوقعهم في هذا المطب غير مأمون العواقب كان أرحم لهم مواجهة أى شيء ولو حتى أهوال الأسر بمعسكرات اليهود ومعتقلاتهم عن التعرض لهذه الآلام غير المحتملة.. أصبح من المألوف أن يطلق كل فرد في الجماعة صرخة ألم وصيحة جزع مع كل خطوة يخطوها.. وتبادل الرفاق الصرخات وأصبحوا يسرون على مارشات ونغمات حادة تنطلق من أعماقهم في محاولة للتخفيف عن معاناتهم الرهيبة.. كان همام أشدهم ألما وبالتالي أكثرهم وأعلام صياحا.. ومع أن بقية الرفاق لم يكونوا أقل منه تعرضا لمأساة السير في الملاحظات بأقدام حافية في هذا الوقت القاسئ إلا أن صرخاتهم كانت أكثر خفوتا. وأمام هذه الصرخات والتأوهات قرر صلاح التوقف ولو للحظات لامعان الفكر بعد استحالة الاستمرار..

ظل كل منهم في مكانه بعد أن تعذر عليهم الاقتراب.. كل خطوة أصبح لها ثمن.. وكل حركة كانت تعنى مواجهة المزيد من الآلام والتعرض لجراح وأوجاع إضافية. لأول مرة يتبادل الرفاق المشورة بالصوت العالي والاشارات ماذا نحن فاعلون وكيف التصرف حيال هذا الموقف الحرج وقبل أن يتحدثوا بادرهم الاعرابي مؤكدا أن مابقى أقصر كثيرا مما قطعوه

■ الملاحظات ■

وأنهم واصلون لغايتهم ببورقؤاد لو أنهم تذرعوا بالصبر وتسلحوا بالمقاومة.. ورد عليه صلاح أية مقاومة أيها الوجد لم تذكر في اتفاقنا معك اننا سنتعرض لمثل هذه المشقة وهذه الآلام المبرحة بل لعلك حددت بلسانك أنك ستجشمننا مشقة السير في الملاحظات خاصة وأننا غير مسلحين لهذه الآلام.. فقد تخلصنا من أحييتنا منذ بدأنا مشوارنا.. ولم يبق أمامنا مانقى به أقدامنا من مغبة هذه الأوجاع المرعبة.. ان جراحنا رغم انها غير غائرة إلا انها كثيرة وتنزف دماء غزيرة وهو ماقد يعرضنا للقتل قبل أن نصل لهدفنا الوهمى الذى حددته.. حاول الاعرابى تبرير موقفه لكن كلماته تهاوت وسط صيحات الرجال ومع ذلك أصر على الكلام ليس بهدف اقناعهم بسلامة موقفه وإنما خوفا من تعرضه لبطشهم وانتقامهم وهم يتعرضون لهلاك مؤكد.. لاتنسوا أن خوفكم بعد أن اكتشفتم نومكم بالقرب من الطريق جعلكم تجرون مذعورين دون تحديد اتجاه أو الالتزام بهدف.

وكان من الصعوبة الفائقة السيطرة على تحرككم أو التأثير فيكم.. ولقد حاولت مرارا توقيفكم لتعديل اتجاهكم لكن ذهبت محاولاتي ادراج الرياح وليشهد على الأخ شوقى الذى كان يجرى إلى جوارى بسبب ساقه المعتلة وشهد شوقى فعلا بما ساقه الاعرابى من تبريرات وأكد أن الرجل حاول لكن محاولاته ذهبت سدى بسبب الفزع الذى استولى على النفوس والهلع الذى حاق بالرفاق.. ورغم صيحات الألم ورغم الأوجاع التى فاق تأثيرها قوة تحمل البشر.. قال صلاح فلنفكر في كيفية تخفيف آثار الجروح وتقليل النزف منها لمزيد من المقاومة والبقاء.. وبمجرد انتهائه من عبارته صاح أمير أيها الرفاق لماذا لانقوم بربط رجلنا كما يربطها عمال الأسمنت وهم يصنعون خلطة «المسح» ان هذه الربطة تحول دون تأثر أقدامنا بتنوءات الملح وتقلل التهابها بفعل المياه الساخنة لدرجة الغليان ورد رستم وكان أقربهم لموقع أمير.. ولكن من أين لنا هذه الأربطة وكيف نوفرها ونحن على هذه الحالة من العجز.. وكان أمير كان يتوقع مثل هذا السؤال وأعد نفسه للرد عليه.. ليس أمامنا الآن إلا ملابسنا.. ومن حسن حظنا أن ثيابنا من

■ الملاحظات ■

قماش سميك النسيج قوى التحمل.. وقبل أن يتم تنقيح الفكرة أو التحاور بشأنها بإدارة أمير سأصنعها لنفسي وما عليكم إلا تقليدي أو الاستمرار في مواجهة الآلام.. وقبل أن يكمل عبارته صدرت منه صرخة مدوية تعبر عما شعر به من صدمة عندما استسلمت مقعدته للمياه الساخنة وهو يجلس عليها لربط قدميه «بسترة الأفرول».. استمر أمير في ربط قدميه وتحمل الآلام الفظيعة التي ألت بمقعده بفعل المياه.. إلى أن انتهى من تنفيذ فكرته تنفس الصعداء واعتدل واقفا وابتسم لزملائه قائلا: لم تصطدم مقعدتي من قبل بهذه السخونة الشديدة.. وأنتم تعرفون أنها الرفاق مدى حساسية هذا المكان بل ومدى أهميته ولم يستطع الرفاق منع ابتسامة باهتة علت شفاههم - شر البلية ما يضحك - وكان عليهم أن يأخذوا العبرة من أمير. فقد كان له بعض الأفكار النيرة التي توحى بذكاء فطري شديد.. لا بأس من ربط الأقدام بالأفرول وربما علت هذه الأربطة لتحمى أيضا السيقان حيث تهبط بهم القشرة الرقيقة من الملح المتماسك إلى عمق نصف متر في المياه الساخنة.. لكن فلنتعاون في مساعدة القائم بالربط حتى لا يضطر إلى الجلوس على المياه التي تغلى فتلهب جلد مقعدته الحساس..

وبدأ أمير ينتقل بينهم ومعه الاعرابى ذو القدمين اللتين حباهما الله بجلد سميك لا يتأثر بهذه الدرجة التي تأثروا هم بها لمساعدة القائم على لف قدميه بالأربطة.. هم يسندونه وهو واقف على قدم واحدة وهو يمزق ثيابه إلى أشرطة طويلة ليقوم واحد منهم بالربط.. وبعد عدة دقائق كان الجميع أشبه بعمال التراهيل أو ما يسمونهم «الفواعلية» الذين يخلطون الرمال مع الاسمنت والمياه والزلط لصنع خلطة المسلح.. واستعدوا لمعاودة المسيرة لكن بسرعة أقل وخطوات وثيدة متناقلة.

وماهى الا خطوات قليلة إلا وتوقف الركب.. لقد حلت أربطة أمير صاحب الابتكار الفريد غمرت المياه الأربطة وتخللها الملح فزاد ثقلها وانفكت من القدم وكان لزاما على المجموعة أن تسير عدة خطوات لتتوقف لحظات ريثما يصلح أحدهم ربطة قدمه ويحكم وثاقها على رجله ومع أنهم جميعا قد استسلموا لتنفيذ فكرة أمير بشد الأربطة على الأقدام غير أن هذا

■ الملاحظات ■

لم يقلل من صراخهم مع كل خطوة وصياحهم مع كل حركة.
أصبح الرفاق كالغرقى.. لاهم قادرون على الاستمرار في السير وسط
هذه المياه الساخنة والنتوءات الملحية الصلبة.. ولاهم بمستطيعين التوقف
لانه يعنى استمرار النزف وزيادة الالتهابات كما أن التوقف يعنى
الاستسلام الكامل والموت غرقا في الملاحظات.. ومع تأزم موقفهم وصعوبة
ما يواجهونه من عراقيل تسرب اليأس من جديد إلى نفوسهم وسيطر على
عقولهم..

لم ينهزم الرفاق من قبل كما انهزموا أمام هذه الملاحاة اللعينة.. قاتل الله
الاعرابى واليوم الأسود الذى ساقته إليهم فيه الأقدار.. هذه نهاية
الاستسلام للجهل.. انها نهاية من يسلم قيادته إلى شخص أحق لم يدر
عنه من قبل شئ لم يقدمه كما وعدهم إلى مرفأ النجاة وبر السلامة.. بل
دفع بهم إلى مستنقع الهلاك وهاوية الدمامة.. وعندما وصلوا إلى هذه
المرحلة من التدنى الفكرى نظروا جميعهم إلى قائدهم الاعرابى الأحق
وانفتحت أعينهم وهى تنظر إليه أن لا بد من الانتقام منه قبل أن يستسلموا
لأقذارهم ويلقوا حتفهم.. لا بد أن يكون أول ضحايا الملاحاة.. يجب أن
نحرمة من الاستمتاع بأموالنا انه لا يستطيع أن يعيدها إلينا وحتى
لو أعادها فلن نستفيد منها.. اننا لن نقاوم ولن نستمر طويلا : إن شعب
الموت يخيم علينا.. ان عزرائيل يرفرف حولنا.. انه يستعد لان يزف
أرواحنا إلى قبضته.. كم هو سعيد لان هذا العدد الكبير سيواجه النهاية
المحتومة.. النهاية التى هربوا منها مرارا منذ أن وطأت الدبابات اليهودية
هامات الرجال ومروا بالألغام والظما والجوع ومواجهة الضواري ونيران
مركبات اليهود الطائشة ثم التيه عبر الصحراء وغير ذلك من صنوف
العذاب وأنواع الأهوال التى تقود إلى الموت حتما.

[illegible]

وہ

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

المصادر

الغرائب

مع مرور الوقت زادت سخونة المياه بفعل أشعة الشمس الحارقة حتى قاربت درجة الغليان وتوغل الملح وأنساب مع الدماء عبر الشرايين يلسع الشعيرات الحسية فيحيلها إلى كتلة من النيران الملتهبة.. وكلما وضع أحد الرفاق قدمه على الأرض مع بداية خطوة جديدة انطلقت صرخته مدوية من لسعة الألم.. وكلما جلس في محاولة إصلاح ربطة قدمه صاح بجزع.. تأثرت مقعدته بسخونة المياه.. وأصبحت الصرخات تتوالى مرة بسبب آلام الأقدام والسيقان والمرة الأخرى بسبب حرقه المقعدة.. ومع كل هذه الأحوال لم تتوقف المسيرة.. كان تحركها أشبه بتحريك السلحفاة لكنه تحرك والسلام.. ولم يستسلم الرفاق بعد ولم تنفد عزيمتهم ولم يسيطر اليأس على قواهم.. استمرت هذه العلة الساخنة من العاشرة صباحا وحتى الرابعة بعد الظهر.. تصور الرفاق أنهم ساروا مسافات بعيدة، أنهم قطعوا ضعف المشوار الذي يفصلهم عن بورفؤاد.. لكن الحقيقة كانت مخالفة تماما لما تصوروا.. فالمسافات يزداد الإحساس بطولها مع اختلاف الظروف المحيطة سواء أكانت ليلا أو غرزا أو خلافه.. فما حالهم وهم يقطعون تلك المسافات في أقسى وأقظع ظروف ممكن يواجهها إنسان.

كانت صرخاتهم تشق عنان السماء وتتردد أصدائها تعلن عن شدة

■ الخواجات ■

الآلام وقسوة الأحاسيس كانوا يلقونها من أعماقهم ويتخففون بها من بعض ما ألم بهم وجثم على صدورهم.. ومن قرط معاناتهم زادت أبصارهم واهتزت الرؤية أمامهم.. وفوجئوا برجال أنشقت الأرض عنهم يجرون نحوهم وقد ارتدوا «برانيط»: فوق رؤوسهم «وتزالك» في أقدامهم كان الرجال يهرولون بسهولة تجاههم في هذه الأرض المهلكة بعد أن وقوا سيقانهم بهذه الأحذية ذات المواصفات الخاصة .. صدمتهم المفاجأة وسيطر الرعب على قلوبهم.. إن هذا النهار الذى قارب على نهايته لهو أسود نهار مر بهم منذ أن بدأوا مسيرتهم.. بل لعله أسود كثيرا من نهار الخامس من يونيو الكتيب.. أبعد هذه المعاناة وهذه الملحة الرائعة من الصبر العميق وقوة التحمل والثقة في عناية ورحمة السماء بالعباد يقعون في الأسر.. لاشك أن هؤلاء الرجال الذين يعدون نحوهم ولا تفصل بينهم سوى بضعة أقدام من اليهود.. من يمكن أن يرتدى البرانيط سوى الخواجات الملاعين من اليهود وهذه «التزالك» من يستطيع أن يقى بها قدميه سوى أفراد القوات المسلحة الإسرائيلية الذين تجهزهم الولايات المتحدة الأمريكية بأحدث المعدات الفنية.. بسرعة عملت الأذهان واشتغلت الأفكار وسيطر الفزع والرعب وجثم الأسر بأهواله وقطاعته على العقول فلم تجد منجى أو مهربا من كل هذه الأثقال سوى الفقد الاختيار للوعى وهى حالة نفسية تنتاب من يتعرضون لكوارث لحظية فجائية.. وقد تتصاعد حدة تأثير الحالة فتودى بالحياة ويفقد معها الإنسان روحه.. غاب الرفاق عن الوعى وراحوا في سبات عميق من هول الصدمة وكاد بعضهم يموت غرقا في مياه الملاحه قبل أن تمتد إليهم أيدي الرجال القادمين نحوهم.

واجه رجال قناة السويس العاملين بمنطقة الكاب وهى محطة بحرية في وسط الطريق بين القنطرة وبورسعيد مشقة بالغة في القيام بمهمة إفاقة أعضاء الجماعة المغشى عليهم ولم يدركوا للسهولة الأولى ماسبب هذه الظاهرة الجماعية الغريبة.. لولا أن الأعرابى ظل محتفظا بتماسكه وهدوئه وقال لهم لقد ظنوكم من اليهود وتصوروا أنهم وقعوا

■ الخواجات ■

في الأسر الذي حاولوا تقاديه منذ بدأوا مشوارهم.. لم يكن مع رجال هيئة القناة مواد إفاقة ولم يجدوا مندوحة في استخدام الأساليب البدائية في الصفع الخفيف على الوجه ودعك الجفون أسفل العين ورش المياه الباردة التي حملوها معهم على وجوه القوم لافاقتهم بدلا من الاحتفاظ بها لترى ظمأهم.

استغرقت عملية إفاقة رجال المجموعة فترة ليست بالقصيرة. وكان الأمر الغريب أن ينتاب بعضهم إغماءه تالية بمجرد إفاقته في محاولة لإرادية للهروب من هول ما يراه بعد أن تصور أنه وقع في الأسر.. ولم يأخذ الرجال العاملون بهيئة القناة أى فرصة لإثبات هويتهم وتأكيد حسن نواياهم وحرصهم على إنقاذ رجال المجموعة.. كانوا قد أهلوا أنفسهم على تحمل هذه المهمة الصعبة وأنجزوها بنجاح عدة مرات من قبل مع زملائهم الشاردين الذين وصلوا قبلهم ومنذ وضعت الحرب أوزارها وواجهت القوات المسلحة المصرية الشتات في صحراء سيناء.

لم يصدق الرفاق أنفسهم وهم محمولون على ظهور العاملين بمنطقة الكاب بهيئة قناة السويس كان هؤلاء الرجال يقبلون على القيام بنجدة الرفاق وكانهم يقدمون قربانا يدخلهم الجنة ويمنحهم رضوان الله.. أمطروا مسامعهم بعبارات الإشادة والمديح وتعتوهم بألقاب البطولة والفروسية.. لحظة لا يمكن لأحد وصفها.. لا يمكن تسجيلها.. لحظة هي بالعمر كله.. أغلى من ذلك بكثير.. أخيرا شملهم الله برعايته وخصهم بعنايته.. إنها حقا معجزة بجميع المقاييس والمعايير.. بل لاشك أن استمرار حياتهم مع ماتحملوه من أخطار ولاقوه من آلام معجزة وأى معجزة.. ان عظمة الخالق أن يجرى معجزاته على أيدي رجال بسطاء ليس لهم سلطة ولاجاه.. وصدق رسول الله إذ يقول: «رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره».

حمل كل رجل من هيئة القناة واحدا من أفراد الجماعة على ظهره وقطع به المسافة العرضية التي تفصلهم عن حافة القناة.. ولم يصدقوا أنفسهم أن الله أنقذهم من هذا المستنقع الذي كاد يقضى عليهم.. وجدوا

■ الخواجات ■

قوارب ولنشات راسية على الشاطئ الشرقى للقناة.. أنزلوهم إليها برفق وحرص شديد.. كانت الدماء تنزف من جروحهم المنتشرة بأقدامهم وحتى أعلى الفخذين كانت جلودهم أشبه بلون الطماطم من أثر الالتهاب.. لم يقو أحد منهم على أن يضع قدمه على حافة القارب من فرط الإرهاق.. ارتموا كالجالات وحرصوا فقط على تغطية عوراتهم بأيديهم بعد أن استنفدوا ثيابهم في ربط سيقانهم وأرجلهم ولم يبق منها سوى الغيار الداخلى السفلى.

تحركت اللنشات حاملة الرفاق صوب معسكر الكاب على الضفة الغربية.. أنعشتهم نسمات الهواء الرطبة وشحذت أفكارهم ودفعتهم لتخيل ما هم عليه الآن.. لا يمكن أن يصدقوا أعينهم كانوا يتخيلون تلك اللحظة وكأنها حلم بعيد المنال.. بل هو معجزة لا يمكن أن تتحقق.. وكيف تتحقق وقد ضرب اليأس أطنابه بينهم وسيطر على مقدراتهم وأحبال عزيمتهم إلى وهن وقدرتهم إلى هزال وتصميمهم إلى خيال.. أقلتهم اللنشات سريعا إلى استراحة هيئة قناة السويس بمحطة الكاب حيث استسلموا لقريق من الأطباء وبعض الحكيمات استقدمتهن الهيئة من الإدارة الطبية المركزية لهذا الغرض.. أخذ الرجال والسيدات يطيبون جراحهم ويضمّدون قروحهم ويلقون سيقانهم وأقدامهم بعد إضافة المساحيق والدهانات المطهرة.. كان الرفاق يخجلون من الظهور أمام السيدات دون أغطية وقد كشفت عوراتهم إلا القليل منها.. لكن إخوانهم الحكيمات كن يشجعنهم ويخففن من شعورهم بالخجل قائلات «نحن إخوانكم.. وإنكم في حالة إجبارية تعجزون معها عن التصرف وتواجهون فيها مصاعب كثيرة وتتجرعون ألما خطيرة فما عليكم من محاولة تغطية عوراتكم ولو على حساب الأكم.. فنحن لن نعبأ بمثل هذه الأمور ولن ينال منا الخجل ويقعدنا عن القيام بواجبنا نحوكم» قام الرفاق بالارتواء من المياه المتلجة السلسبيل كانوا قد حرّموا منها بعد أن رشوها على وجوههم لإفاقتهم وافقدوها لأكثر من عشرة ساعات كاملة.. فليشربوا هنيئا وليروا ظمأهم بعد أن استقر بهم المقام

■ الخواجات ■

وشعروا بحالة من الأمان.. لاترهبهم مواجهة اليهود ولا تفزعهم معسكرات الأسر التي يتوقعونها بين كل لحظة تمر عليهم ولن يفكروا في إزهاق أرواحهم بأيديهم.. أعادت قطرات المياه المثجة التي توافرت لهم بكثرة الحياة إلى أوصالهم وبعثت النشاط في أبدانهم فاندفعت الدماء غزيرة في عروقهم وعادت القوة إلى عضلاتهم.. باتوا يشعرون بقدرتهم على السير من جديد مئات الكيلومترات.. ولو طلبوا منهم معاودة السير من بورسعيد إلى القاهرة لما كلت أقدامهم ولما وهنت عزائمهم ولما خارت قواهم.

وقف الرجال ونساء محطة الكاب يودعون الرفاق والعربة تقلهم إلى بورسعيد حملوهم بين حناياهم وأجلسوهم على مقاعدهم وأحاطوهم بعنايتهم ورعايتهم وكأنهم فلذات أكبادهم.. لم يستطيعوا أن يمنحوا زفرات ساخنة أن تنهمر على وجوههم بعد أن نشأت بينهم وبين الرفاق علاقات أخوية سريعة ساعدت ظروفهم الصعبة على ترسيخها وتعميقها.. حمل الرفاق معهم من محطة الكاب سجلا بأسماء كل من أعانهم على استعادة قواهم وأرقام تليفوناتهم مع وعد أكيد بتبادل الاتصال.. قطعت العربة المسافة بين الكاب وبورسعيد في دقائق معدودة كان الرفاق يضجعون على مقاعدهم وكأنهم يركبون وسيلة مواصلات لأول مرة في حياتهم.. كانت سيقانهم قد تعودت السير ونست ذاكرتهم وسائل المواصلات المعروفة.. آخر مرة شاهدوا فيها سيارة كانت تلك العربة المصفحة الطائشة التي طاردهم بها اليهود عدة كيلومترات.. ولذلك كان آخر عهدهم بالسيارات ذكرى غير طيبة ساعدتهم على النسيان.

كان الرفاق أسعد الناس برؤية شوارع مدينة بورسعيد الجماهير يغدون ويروحون دون تحفظ أو قيود..

الحياة تسير في مجراها الطبيعي رغم أن الليل أرحى أستاره وأطبق جوانحه على جنبات المدينة.. اصطدمت أعينهم بالألوان الزاهية بعد أن اعتادت لفترة طويلة على اللون الأصفر فقط.. هذا اللون الكئيب الذى

■ الخواجات ■

انطبع في ذاكرتهم وسيطر على أعينهم طاردا كل ماعداه من ألوان أخرى.. الصحراء المترامية الأطراف هي التي كانت مآقيهم تشاهدها في كل اتجاه تطلع إليه.. تباب ووهاد ورمال وجبال وكثبان رملية.. إنها فقط العملة المتاحة وسط هذه الدباجير الكثيرة.

وصلت قافلتههم الصغيرة إلى أحد المباني اتخذته الأجهزة التنفيذية بالمحافظة معسكرا لإيواء الشاردين.. كتب على واجهته مدرسة الجميل الإعدادية.. ذكرتهم اللافتة بحرب ٥٦ عندما أسقطت القوات المتحالفة إنجلترا وفرنسا وصنيعتهما إسرائيليين بمطار الجميل.. عندما اشتعلت المقاومة وقصوا على الجنود الهابطين عن بكرة أبيهم.. كان الاعلام المصرى وقتها إعلاما صادقا فتحرى الدقة.. وتوخى الصدق لم يكذب على الجماهير وصارحهم بالحقيقة.. حتى عندما توالى إسقاط المظليين ونفذت مقاومة أهل بورسعيد البواسل.. نقل الاعلام المصرى نبأ استسلامهم وكان أول من بث إلى الجماهير سيطرة المحتل على المطار.. بادرهم رجل العلاقات العامة الذى استقبل السيارة التى أقلتهم بالترحيب والتهنئة بسلامة الوصول.. وأبلغهم أنهم سيلقون كل الرعاية وأنهم سينعمون باستكمال العلاج وسيجدون الخدمة الطبية والنفسية الكاملة وسيمدون بالملابس والأحذية وكل ما يحتاجون إليه.

هبطوا من العربية بترتيب جلوسهم لابقدميتهم.. أحاط رجل العلاقات العامة وسائق العربية بشوقى لمساعدته على الهبوط بعد أن ضعفت قدماه عن حمله.. فوجيء المارة بالرجال يهبطون وقد انحسرت ملابسهم إلا عن جزء ضئيل من عورتهم.. وتقدم أحدهم بدافع من شهامة ووطنية فطرية عارضا على شوقى ملابسه قائلا لك يابطل هديتى المتواضعة إنه لشرف لى أن أمنحك ملابسى وليسعنى منزل إذا لم يكن لدى بدل منها.. وحاول شوقى الاعتذار بكياسة دون أن يصدم مشاعر الرجل وتدخل مسئوال العلاقات العامة بالمحافظة لكن أبدا لم تقلح الجهود فى إثشاء الرجل عن قراره وأقسم إلا أن يرتدى شوقى ملابسه فاكثقى بارتداء سترته فقط وحصل على عنوانه لإعادتها حالة

■ الخواجات ■

استلامه لزي كامل بالداخل.. أمن شوقى ساعتئذ أن الدنيا مازالت بخير وأن الشهامة والمروءة لم تصبحا من العملات البالية المنتشرة. وأن هناك أقواما كثيرة يتحلون بهذه السمات النادرة وهذه مكارم الأخلاق العزيزة.. وليعلم اليهود أن شعبا كهذا برجولته وعطاءه وتضحياته لا يمكن أن يستسلم وأن تخور قواه أمام جحافلهم وجيوشهم.. ليعلم اليهود أن إرادة الرجال أقوى من صلابة الفولاذ.. عزيمتهم اشد من متانة الصلب.. أن حديد المدرعات اليهودية قد يلحق به الصدا أو تسيحه النيران.. لكن المعادن النفيسة للرجال لا يلحق بها الصدا ولا تنال منها الظروف والعوامل المناخية الطارئة.

دلف الرفاق إلى أروقة معسكر الشاردين تحوطهم كوكبة من العاملين فيه حاولوا مساعدتهم وأحاطوهم بكل رعايتهم وبذلوا معهم غاية طاقتهم.. حملوهم على أكتافهم وصعدوا بهم عدة درجات للطابق الثانى واسكنوهم أحد العنابر الفسيحة المجهزة بأسرة عليها ملاءات بيضاء جديدة.. وبمجرد دخوله استلمتهم أيد خبيرة لبعض الأطباء المتطوعين أعادوا فك أربطتهم وعاملوا جروحهم وقروحهم بأسلوب أكثر تخصصا.. وطاقات بأسرتهم مناضد العمليات المكتظة بأنواع عديدة من مساحيق المطهرات والدهانات والأربطة الطبية المتنوعة.

وفى لحظات استسلم جميعهم لنوم عميق هادئ بعد أن تناولوا جرعات مكثفة من المهدئات والمطمئئات أعادت لهم سكينتهم المفقودة وبعضا من معنوياتهم المنهارة.

أفاق الرفاق من نومهم على أصوات استغاثات وهتافات صدرت من معظمهم بالتناوب من «كوابيس» ألت بهم.. بعضها يطلب النجدة.. والبعض الآخر يعبر عن جزعه وهله من مواجهة اليهود وما تعرض له خلال تواجده فى معسكرات الأسر من صنوف العذاب وألوان الهوان.. وللحقيقة كان صلاح أقدمهم يهب لإيقاظ الرفاق من كوابيسهم وغفلتهم ولم ينس قط أنه مسئول عنهم أو أنه أب لهم.

استقبل الرفاق جوقة من «الحاكنين» استقدمتهم أجهزة المحافظة فى

■ الخواجات ■

صباح اليوم التالى لأخذ مقاساتهم وإعداد ملابس جديدة لهم.. وفى لحظات قصيرة استلم الرفاق أفرولات كاكى أعدت على عجل وتم تدبير أحذية كاوتشوك من «باتا» ذات مقاسات كبيرة.. كما قام بعض الحلاقين بخلق شعورهم الكثة وذقونهم التى لم تلمسها شفرات زهاء الشهر فطالت دون إرادة وحولت هيئاتهم وكأنهم بعض رجال الدين والعاملين بالوعظ والدعوة.

وبعد أن تناولوا وجبة الغداء حرص على زيارتهم محافظ المدينة ومعه نخبة من المسئولين بالمحافظة ووعدهم بتسهيل نقلهم فى أقرب فرصة إلى القاهرة عن طريق تخصيص قطار خاص يقلهم وحتى الكلية الحربية التى خصصتها القوات المسلحة كمعسكر لتجميع الشاردين العائدين من مسرح العمليات بسيناء.

حب وحرب

١٢٨

قصة واقعية عن بطولات معركة ١٩٦٧

الكوراني

الســـــر اذق

عقدت الدهشة السنة الرفاق.. وأدارت المفاجأة رؤوسهم.. وجدوا العقيد عاطف بين ظهرانيهم بمعسكر الشاردين.. انشقت الأرض عنه وظهر بينهم فجأة قبل ساعات من رحيلهم بقطار خاص إلى القاهرة.. هجموا عليه.. أمطروه بوابل من القبلات الحارة واستسلموا لأحضانه الأبوية الدافئة وعانقوه لفترات طويلة.. تبادلوا معه كلمات الترحيب.. حمدا لله على سلامتك.. ظنناك على رأس قائمة الشهداء.. توقعنا أنك لقيت حتقك مع الرائد رمسيس والنقيب سيد ياسين وسيد عبدالغفار وحلمى كامل وغيرهم وغيرهم.. إننا نعلم أنك لاتخشى التضحية بنفسك في سبيل المجموع.. تصورنا أنك اقتديت الكتيبة وتقدمت الرجال كأول الشهداء حتى بعد أن رأيناك لم نصدق أعيننا في بادئ لقائنا معك. استمرت مراسم الترحيب وحفاوة اللقاء فترة طويلة.. تنقل العقيد عاطف بين الرفاق واحدا تلو الآخر.. عانقهم طويلا.. وشد على أيديهم.. لم يفته أن يصنع مع الجنود مافعله مع الضباط.. كان دائما يشعرهم أنه لافرق بينهما.. ألم يكونوا في خندق واحد.. لم تفرق بينهم رصاصات اليهود.. كانوا رفقاء الدرب والمشوار الطويل.. جاءت كلماتهم لهم موحية معبرة كما هي عادته معهم دائما.. وأبتدريهم قائلا: تدرون معرفة كل شيء .. تدور بأنهم انكم استفسارات كثيرة.. لن أزيد

■ السرداق ■

حيرتكم.. فأنا أعلم أنكم تسالون عن زملائكم من استشهد ومن كتب له النجاة.. وكيف نجوت بنفسى.. ومتى وصلت ماذا أعرف عن الساعات الأخيرة قبل انهيار دفاعاتنا.. لانتعجبوا إذ قلت لكم أنني تصورتكم جميعا في عداد الشهداء.. لقد رأيت بعيني عربة شوقى وهى تنفجر.. صحيح لم أتأكد من وجوده بداخلها لكنه ولو حتى كان بجوارها فلعله أصيب إصابة بالغة.. صلاح ورستم تأكدت من استشهادهما بعد سقوط مواقع السرية الثالثة.. وأمير كان معهما كتفا بكتف.. الوحيد الذى ظننته فى مأمن من نيران اليهود كان همام لوجوده أثناء القتال فوق قمة جبل لبنى..

لاتتصوروا كم كانت سعادتى عندما علمت نبأ وصولكم كنت أتابع يوميا كشف بأسماء الشاردين الذين وصلوا إلى مدن القناة الثلاث.. لن تصدقونى إذ قلت لكم أنني قبلت تلك القائمة التى حوت أسماءكم ذرفت الدموع غزيرة ساعتها.. كنت أتمنى أن الحق بكم فور وصولكم.. لكن إجراءات إعادة تجميع وتجهيز الكتيبة من جديد حالت دون ذلك.. حددوا لنا مقرا مؤقتا فى المازة.. وضموا علينا عدة مئات من جنود الاحتياط وكنت أرنو إلى وصول أحدكم كم استنشق عبيركم وأهفو إلى لقاءكم.. وهأنذا أحمد الله على وجودى بينكم وعلى عودتكم من جديد لبيتكم الغالى .. كتيبتكم العريقة.. لم يفت العقيد عاطف أن يقص على الرفاق قصة نجاته وقال: كنت أقود المعركة من مركز قيادة الكتيبة وغير مصدقا للبسالة النادرة والقدرة الفائقة التى دافع بها رجال سريتك ياصلاح.. كانت نيرانهم تخرج من فوهات بنادقهم للأمام فكنت استنتج أن اليهود لايزالون متقدمين صوبهم.. لكن عندما مالت نيرانهم يمينا ويسارا أيقنت أنهم تمكنوا من اقتحام الحدود الأمامية لدفاعات الكتيبة وعندما رأيت نيران رجالنا تتجه نحونا أمنت ألا أمل باقيا.. لقد سقطت المواقع وانهارت المقاومة وتمكن اليهود من الكتيبة.. شاهدت الرائد رمسيس وهو مدرج بدمائه وكذلك المرحومان سيد ياسين وسيد عبدالغفار.. وساعتئذ أفاقنى سائقى.. وقال لى فيم تفكر ولماذا السبات؟

لا بد أن تتصرف لابد أن تحاول حضرتك أن تنجو بنفسك بعد أن عزت النجاة على الرجال.. كنت أعرف أن لنا قواتا صامدة بالحسنة.. قدت عربتي بنفسى وبجوارى سائقى وتوجهت إلى هناك.. وبعد بعض المداولات مع القادة اتخذوا قرار انسحاب جزئى لبعض القوات ووصلت في نفس اليوم إلى الضفة الغربية للقناة.

ظل العقيد عاطف يروى والرفاق ينصتون وكأن على رؤوسهم الطير.. كنت أتلسم وأتحسس أخباركم.. ذهبت للسؤال على كل فرد فيكم بمنزله أفق على مشارف المنزل وأبعث بسائق ليسأل ذويكم.. أصابنى بعض الحرج ذات مرة عندما تتبع زوج شقيقة شوقى السائق ولقيته واجهنى بحدة وعنف وطلب أن أريحهم جميعا من حالة القلق والتوتر التى يعايشونها منذ أن وضعت الحرب أوزارها ولم يعد ابنهم.. أقسمت له أننى لأستطيع أن أجزم بشيء ولم أعرف أى معلومة عنه سوى أننى شاهدت عربته تحترق ولست أدري أكان بداخلها أم لا.. وتكرر نفس الشيء عند همام لكنى في هذه المرة أكدت لشقيقته نجاته وأنه لابد في الطريق إليهم.

أزف موعد الرحيل.. عاود الزملاء عناقهم وتقيلهم لقائهم وكانهم يودعونهم بلا أمل في لقاء تال.. انفقوا على التجمع بعد عدة أيام بمقر الكتبية الجديد بالمأظة.. اقتنعوا بكلمات وتوجيهات العقيد عاطف إذا كان أهلوكم في احتياج إليكم.. فإن مصر كلها تنتظركم.. أرض مصر تناديكم.. هلموا للخلاص.. فلتعملوا على تطهير ترابى من براثن المحتل الغاصب أنا اعلم أنكم بحاجة ماسة للراحة.. الجروح التى في سيقانكم تستلزم علاجا لعدة أيام.. لكنها أبدا لن تصل إلى أسابيع.. لن أحدد موعدا مؤكدا لعودة.. لكن يكفينى تقديركم للمسئولية.

غادرهم العقيد عاطف واستقل عربته الأميرية إلى القاهرة بينما ركبوا هم القطار يمنون أنفسهم بقرب لقاء الأهل والأحباب ويتخيلون أحضان أمهاتهم الدافئة وقبلاتهن الحانية.. أه قالها شوقى لو لم يكن هذا السرداق اللعين الذى حال بينه وبين حضن أمه لكن الآن ينعم بالهدوء

■ السرداق ■

والسكينة فيه.. لكانت تمطره بقبلاتها. وتلثمه بشفتيها وتغمره بعناقها..
آه يا أماء كم اشتاق إليك.. كم أهفو إلى لحظة بين أحضانك ولتكن هي
النهاية.. وليكن بعدها الفناء.

وهو في غمرة أفكاره وفي ذروة شروده.. كان ينظر إلى السرداق وكأنه
غريمه لو أن بندقيته في جنبه لاطاح به بعيدا عن طريقه نحو حضن أمه.
ولكن ماذا يفعل.. وقد قاربت الساعة على منتصف الليل.. وكان المعذبين
يتشبثون بالبقاء في هذا السرداق اللعين.. ماذا يعجبهم فيه.. إنه حتى
خافت الإضاءة.. غير مسقوف لكنه طويل وذاخر بالناس.. يعج بالمعزين
من كل حذب وصوب من كل الفئات والأعمار.. الشباب والشيوخ ذوى
الطبقة الغنية.. والعمال من أصحاب الحرف.. لم يكن شوقى يدرى أن
لأحدى شقيقتيه هذه الشعبية الجارفة وهذه الجماهيرية ذائعة الصيت.
فجأة انتفض شوقى مذعورا على صوت صرخة مدوية بجوار أذنيه..
توالت الصرخات بسرعة خاطفة.. بعضها يعبر عن الجزع والبعض
الآخر عن الفرح.. بعضها مفهوم.. والآخرى غير مفهومة.. لكنه
استطاع أن يميز شيئين.. أن الذى أطلق الصرخات مشمش الكوجى
صاحب المحل أسفل منزلهم وأن معظمها تحمد الله وتشكره على هذه
المعجزة.

هجم مشمش الكوجى على شوقى وحمله عنوة من الخلف فوق
عنقه. واندفع به حاملا إياه نحو السرداق وهو يردد.. الله أكبر.. الله
أكبر.. أحمدهك يارب.. أشكرك يا الله إنه الميت الحى.. إنه الشهيد الباقي..
ولم لا فمعجزات الله باقية.. خالدة إنه أكبر من الجميع إنه فوق الكل.
أصابت شوقى حالة من الذعر أول الأمر من مشمش.. ظنه وقد
مسه شيطان أو أصابه جان.. إنه يهذى بكلمات كثيرة لا يفهمها.. أحيانا
ينظر إليه على أنه ماردر لدرجة أن شوقى اضطر لافاقتة وقال له
مشمش.. مشمش.. أنا شوقى يامشمش ألا تعرفنى.. إننى جارك منذ
خمس وعشرين عاما.. مابالك وقد ارتعدت أوصالك وتخبطت فرائسك.
لكن مشمش كان في حالة لاتسمع له بالاستقبال كان يرسل فقط.. كان

■ السرداق ■

قد ذهب في مهمة إحضار المزيد من البن لمواجهة جموع المعزين التي في السرداق بعد أن نفذت الكمية التي أعدها لذلك.. وهو في طريق عودته اختصر المسافة وجاء من الردهة المظلمة خلف المكان الذي قبع فيه شوقى لعدة ساعات.. عندما وقع نظره عليه في أول الأمر تصور أنه مارء.. لابد أنه عفريت من الجن.. كيف يكون هو شوقى بلحمه وشحمه بينما السرداق المنصوب أمامه أقيم من أجله.. لقد أبلغوهم رسميا أنه استشهد.. شهد على ذلك بعض زملائه من الجنود والضباط الذين سبقوه في العودة ولم ينف العقيد عاطف نفسه هذه المعلومة بل لعله أكدها عندما قطع بأنه شاهد عربته وهى تتفجر.. إذن كيف يطلع عليه عفريت شوقى وقد استشهد في سبءاء.. إنه لم يقتل في الردهة المظلمة كى يخرج علينا فيها عفريته.. تردد كثيرا قبل أن يتقدم نحوه لكنه تذكر قدرة الله في خلقه.. معجزاته التى لاتنضب.. انطلقت أعماقه تحدثه أنه شوقى وليس عفريته.. وترجمت حنجرتة تلك الانطلاقة التلقائية التى تضاربت فيها المشاعر واختلطت الأحاسيس.. الفرحة العارمة والدهشة الأخاذة والذهول العميق.. وتجمع كل هذا على لسانه فظل يهتف ويكبر.. الله أكبر.. الله أكبر.. أحمدك ياالله.. أشكرك يارب..

اقتحم مشمش السرداق حاملا شوقى على كتفيه.. فمالبت السرداق أن تحول في ثوان إلى عرس.. إلى زفة.. موكب مشمش وشوقى يخترق جموع المعزين الذن التفؤوا حوله في محاولة مستميتة للوصول إليه لتقبيله.. فإن لم يستطيعوا فللمسه للتبرك به وكأنه أصبح في لحظات من أولياء الله الصالحين.. إنه ضريح متحرك لأحد الأئمة والناس يتجمهرون حوله ويتدافعون تجاهه.. البعض أصابه الذهول فلم يحر حركة أو ينطلق بكلمة.. أما الغالبية فقد استمرت في سعيها نحو شوقى باستماتة ولم يكن هو قادر على استيعاب كل مايدور حوله.. أنها طلاس عويصة.. أكثر تعقيدا من طلسم السرداق الذى ظل يحاوره لعدة ساعات.. إنه يرى الدهشة في العيون والتعجب في الملامح.. والشكر والحمد لله باديان على الجميع.. إنهم ينظرون إليه وكأنه إحدى عجائب

■ السرداق ■

الدنيا السبع.. وكأنه أحد أهرامات الجيزة.. إنه محمول وسطهم وكأنه أبو الهول.. ماذا دهام؟ ماذا أصابهم؟ إنه لم يلبث أن غاب عنهم عدة أيام ربما طالت لشهر فقط.

زاد من دهشة شوقي مراسم الفرح التي خرجت عشوائية من شرفات المنازل المحيطة بالسرداق على هيئة «زغاريد» أطلقتها جميع السيدات بلا استثناء.. وإنهمار دموع سيدات العائلة التي تدافعت وسط جموع المعزين.. لمح أمه تعدو نحوه وشقيقته تتحسسان جروح ساقيه.. من لم يستطعن منهن الوصول إليه كدن أن يلقين بأنفسهن من الشرفات وهن متشحات بالسواد.. لم يستطع شقيقه الوحيد تحمل الموقف خر فريسة لإغماء طويلة.. ولحقت به أمه ثم شقيقته.. واضطر مشمش ساعتها فقط أن ينزله من على كتفيه ليلتصق بعائلته وهي في حالة إغماء.

الفهرس

.....

- إهداء (ص ٥)
- مقدمة (ص ٧)
- الحزن الدافئ (ص ١١)
- لبنى.. والحلال (ص ٢١)
- النبرة العالية (ص ٣١)
- الدبابات الخضر (ص ٤١)
- الاجتياح (ص ٥٥)
- أول الشهداء (ص ٦٩)
- القبور الجماعية (ص ٧٩)
- الأفعى (ص ٨٧)
- الناقة الجموح (ص ٩٩)
- المعجزة (ص ١١١)
- الخالة جازية (ص ١٢٥)
- الصوت الرخيم (ص ١٣٧)
- المواجهة (ص ١٤٧)

- عندما يعز الموت _____ (ص ١٥٧)
- الإعرابي الحافي _____ (ص ١٦٧)
- الملاحات _____ (ص ١٧٧)
- الخواجات _____ (ص ١٨٧)
- السرادق _____ (ص ١٩٧)

رقم الإيداع ٩٦/٥٣٢٧

الترقيم الدولي I.S.B.N

977 - 08 - 0535 - L



هيئة الكتاب

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للكتاب
كورنيش النيل - بولاق - القاهرة
تلكس جيبو UN ٩٣١٢١
القاهرة ٧٧٥٢٢٨ - ٧٧٥٠٠٠
فاكس: ٧٥٤١٢٣ (٠٠٢٠٢)

تواصل اشعاراتها المضيئة لكل قارئ
ومثقف ومجلات الهيئة منها ماهو
اصدار شهري وماهو اصدار فصلي كل
ثلاثة شهور وهي كما يلي.

بإع الثقافة والمعرفة ليس ينشر الكتاب
المميز فقط، ولا بإقامة المعارض
الدولية لكن بمواصلة إصداراتها من
المجلات الثقافية التي تتقف كمنازل

مجلات هيئة الكتاب الثقافية
منارات مضيئة هي بحور الثقافة
والمعرفة.
• تواصل هيئة الكتاب رسالتها في

أولا: مجلات تصدر كل شهر:

القاهرة

مجلة الفكر والى المعاصر شهوية تصدر
يوم ١٥ من كل شهر تشير قضايا فكرية
تشمل اهتمامات المجتمع الثقافي في مصر
والعالم العربي وتقدم محالات متعددة
من صور الفكر المعاصر بهدف الإحاطة
على الأيضاع العام لهذا العصر وعدم
التحلم عن كل أشكال الرقى والتقدم
الشم ٢٠٠ قرش



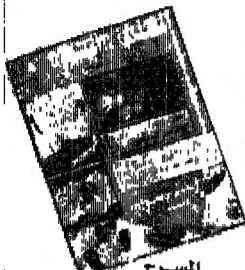
رئيس التحرير
أ. هاني شكري

العلم والحياة

مجلة العلم والحياة تهتم إلى مواقع
أهم الأحداث العلمية تتنص القضايا
العلمية وتتلص القاءات والوثائق العلمية
في محتات أبناء العالم
وتحادث أنها مجلة علمية هي أيضا
تحرص على تقديم المعرفة من الجامعات
والأشيرات الطبية إلى جانب ملحق العالم
الصغير، الخمس للعلم والذى يقدم
موسوعة علمية مسجلة للعلم

الشم ١٠ قرش

رئيس التحرير
أ. همد فراف

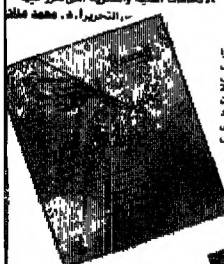


المسرح

وهي مجلة الشهرية الوحيدة في العالم
المرسى التي تهتم في الثقافة المسرحية
على المستوى الخمس للأكادوس وعلى مستوى
القاريه المراء وفي مؤلفات الخمسة
للحوض المسرحية المصرية وتوثيقها وير
سماح نقد المسرح عمليا لإنشاء خلق
علمي موسوعي في النقد المسرحي والدراسة
التي تهتم في الخمس الخمس
والشمس المسرحية الإحصائية المترجمة في
عدد إلى جانب منتديات نقدية أو تعريفية
كل عدد يقدم من ملهى العالم ويلفقه النظرة
والوسائط الخمس ذات الأهمية القصوى
تشكل المجلات المسرحية على التحليل
والقائات والنسوبيات والمعلمية الدول
والاحتفالات والهرجات المسرحية ومحا
الاحتفالات الفنية والفكرية التي أمر فيها



الشم ١٥ قرش



الفنون الشعبية

مجلة متخصصة في محلات الأدوة
الشعبية (الأمثال)، تصدر كل ثلاثة شهور
وتشعر العرايب التي تعرف بهذه الأدوة
وصاهاها. واللغة الشعبية الأدوة، وكذا
التحولات بين الناس وفي القدم الجملة
التي تهتم في هذا المربع من علوم العالم
الوطنى العرس، فقد أسسها راسي تحرير
عام ١٩٦٦ الاستبداد الدكتور
عبد الحميد بونس.

رئيس التحرير
أ. همد فراف

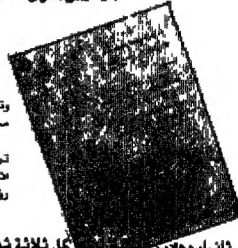


الشم ٢ قرش

رئيس التحرير
أ. همد فراف

الإبداع

تصدر المجلة أول كل شهر في قطع متميز
وتتمس مهموما شاسلا للإبداع من مختلف
محالاته الفنية والأدبية والفكرية
وتعمل من خلال هذا المهم على التواصل مع
لراب حركة التصوير المصرية والصربية وعلى
ثارة القضايا للشم من الواقع الثقافي من خلال
رؤية تعمل من الحرية شرطاً للإبداع
الشم ١٥ قرش رئيس التحرير
أحمد محمد الهادي جباري



رئيس التحرير
أ. همد فراف

قصص

وهي المجلة الأدبية والثقافية التي حققت انتشارا
في مصر والعالم العربي حيث أنها تأسس بشعوى
الآباء وأشد الأمل في أنها مجلة الوحيدة التي
أعيد طبع منذ عدة سنوات كالتيمات أعزوبة
مها والتكامل وقد وفرت لها الهيئة كل الامكانيات
الى جانب المصاحبة العالمية التي تبرز فيها عدد
القصص القصيرة من مختلف مساحات ولقوم على
تحريرها خمسة من أعظم أجداد والفكر والثقافة من
مصر والعالم العربي



الشم ٢ قرش

رئيس التحرير
أ. همد فراف

علم النفس

تعد مجلة علم النفس إحدى المجلات المبدعة من
الهيئة المصرية العامة للكتاب وهي مجلة متخصصة
في مجال الدراسات والبحوث النفسية التي تهتم
تقديرا للدراسات والبحوث النفسية كما أنها تهتم
بالتحليل في مصر والعالم العربي بالدراسات والبحوث
في هذا المجال
وهي مجلة فريدة تحمل معها التمسك على اهتمام
وتدبر الأهمية المتخصصة على مستوى العالم
العلمي كله وأنى لاحتياجات فاحية وفكرية

رئيس التحرير
أ. همد فراف



الشم ٢٠ قرش

رئيس التحرير
أ. همد فراف